أبحاث ودراسات في

التاريخ الأندلسي الموريسكي

أ.د حنيفي هلايلي

دار الهدى
عين مليلة - الجزائر

أ. د. حنيفي هلايلي
دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر
جامعة سيدي بلعباس

أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي

دار الهدى
عين مليلة الجزائر

دار الهدى

للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الصناعية ص ب 193 عين مليلة - الجزائر

الهاتف: 032.44.92.00 // 032.44.95.47 الفاكس: 032.44.94.18

web: www.elhouda.com e-mail: darelhouda@yahoo.fr

الفروع

عين مليلة

طريق باتنة

الهاتف: 030.34.46.85 الفاكس: 030.34.46.84

قسنطينة

حي كوحيل لخضر جنان الزيتون

الهاتف: 031.92.22.08 الفاكس: 031.92.27.08

الجزائر

01 شارع أوراس بشير باب الواد

الهاتف: 021.96.62.20 الفاكس: 021.96.61.11

02 شارع أحمد محند الحراش

تلفاكس: 021.52.13.07

وهران

05 شارع زيغود يوسف عمارة الحرية

الهاتف: 041.40.46.47/041.40.46.89

الفاكس: 041.41.46.54

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عنوان الكتاب: أبحاث في التاريخ الأندلسي الموريسكي

اسم المؤلف: حنيفي هلايلي

الحجم: 16 X 24

عدد الصفحات: 192

الرقم التسلسلي: 31 - 2010

رقم الإيداع القانوني: 1676 - 2010

ردمك: 1 - 251 - 26 - 9947 - 978

سنة الطبع: 2010

الإهداء

إلى

الصديقة في إخلاصها و الرفيقة في رقتها

و الشريكة في أمانتها و الزوجة في إعزازها

إلى زوجتي..

حنيفي هلايلي

مقدمة

لقد تميز القرن السادس عشر بإلحاح العثمانيين على احتواء العالم المتوسطي ويتجلى هذا التوجه في مختلف العلاقات التي نسجتها الدولة العثمانية مع مختلف القوى التي كان لها حضور في هذا العالم (المدن الدول، كالبندقية، ممالك مصر، بلدان شمال إفريقيا، الإمبراطورية الإسبانية والبرتغال وحتى إيران).

والواقع أن موضوع الموريسكيين الأندلسيين والعالم المتوسطي قد تم تناوله بأشكال مختلفة وفي مناسبات متعددة. وهي أبحاث تفوق الغرب بدراستها بحكم الوثائق الموجودة بحوزة باحثيه ومؤسساته الأرشيفية.

إن الحضور الموريسكي في عالم المتوسط وتاريخ الجزائر إجمالاً خلال العصر الحديث، واستقرار الحكم العثماني بالجزائر، مع عثمنة فضاء المغرب الأوسط، وتزايد عمليات الجهاد البحري، أدى إلى تغيير الخارطة الجغراسياسية لمنطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، ليصبح الصراع العثماني - الإسباني ذا أبعاد عالمية، وبموجبه أصبحت أيالة الجزائر محورها الرئيسي، وخاصة بعد تدفق تيار الهجرة الأندلسية على سواحل المغرب العربي .

درج المؤرخون على استعمال مصطلح الموريسكيين Moriscos كدلالة تاريخية لنعت مسلمي الأندلس أو العرب المتنصرين بعد سقوط غرناطة 1492، الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين 1499 -1526، وبقي أحفادهم حتى عمليات الطرد النهائي مابين 1609 -1614.

وسعت المملكة الإسبانية منذ ذاك إلى فرض العقيدة المسيحية على مسلمي الأندلس، وهذا ما يفسر تعدد إنشاء محاكم التفتيش في كامل أرجاء المملكة وملاحقة الموريسكيين على الصغيرة والكبيرة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، كان المسلمون في الأندلس يسمون Sarracenos أو moro وهي كلمة اشتق منها لفظ (موريسكي) ومن وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية الأسبانية يسمى الموريسكيون بـــ المسيحيون الجدد Nuevo cristianos.

أقدم إلى القارئ هذا السفر الجامع تحت عنوان: **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي،** ذلك أن فترة الحضارة الأندلسية قد ملأت نفوس الناس إعجابا واعتزازا، باعتبارها إحدى الحلقات الأساسية الفاعلة في فلسفة الحضارة العربية -الإسلامية وعطاءاتها المختلفة، وتطعيم مضمون المعرفة الإنسانية الشاملة حيث منحتنا الأندلس عن طريق أمرائها وعلمائها وفلاسفتها وكتابها وفقهائها وشعرائها وعمرانها أفضل القيم وأخلدها، فلا غرو أن عزف الناس باحثون ومؤرخون عن دراسة مأساة شعبها الذي حورب في لغته ودينه وهويته وحضارته.

إن هذه الدراسات والبحوث مع اختلاف المواضيع التي تتناولها والقضايا التي تطرحها، تتوزع على ثلاث محطات أساسية:

أولها يهتم بالهجرات الأندلسية إلى الجزائر خلال مراحل زمنية مرتبطة بأحداث تاريخية لها دلالتها السياسية والحضارية.

أما المحطة الثانية فتعالج موضوع العقيدة والدين، فمن خلال هذا الفصل نعلم الشيء الكثير عن الاحتضار السياسي للموريسكيين، لكننا لازلنا نحتاج إلى تأطير احتضارهم النفسي والثقافي. لقد استعمل الموريسكيون اللغة الإسبانية المعروفة بالأدب الألخميادو الموريسكي ونسخوها بالأحرف العربية، وقد سجلوا لنا في هذه

المخطوطات جوانب بالغة الأهمية في صراعهم الحضاري وارتجاجاتهم النفسية، ودفاعهم عن هويتهم الثقافية وتمسكهم بمبادئ دينهم.

أما القسم الثالث فتناول بالدرس الحضور الأندلسي في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء وثائق المحاكم الشرعية المحفوظة بالأرشيف الجزائري، وهذا من خلال الإسهام الحضاري للعناصر الأندلسية.بينما القسم الرابع من الكتاب يطرح أهمية النصوص الألخميادية الموريسكية في فهم طبيعة السلوك الديني والاجتماعي للأندلسيين خلال فترة المعاناة اليومية والاحتضار النفسي والثقافي لهذه الأقلية المسلمة في اسبانيا الحديثة. ويركز في مباحث أخرى على قيمة التراث الديني عند الموريسكيين وتخليد ذاكرتهم المأساوية في كتابات أحمد المقري.

إن هذه الدراسات الأكاديمية مع تنوع مواضيعها وتداخل المعلومات الواردة فيها، هي في أساسها بحوث علمية قدمت في مؤتمرات دولية ووطنية أو نشرت في مجلات علمية متخصصة.

إن الغاية من الدراسات التي يتضمنها هذا الكتاب هو المساهمة في ملأ الذاكرة الجزائرية وإبراز جوانب النشاط الإنساني والإسهام الحضاري للأمة الجزائرية.

وفقنا الله لما فيه الخير والنفع للجميع.

أ.د- حنيفي هلايلي

سيدي بلعباس في 1 محرم 1431هـ

الموافق لـ 18ديسمبر 2009م

القســـم الأول

الهجرات الأندلسية إلى الجزائر

عرف المغرب الأوسط نزوح الأندلسيين على ثلاث مراحل [1]تميزت كل مرحلة بأحداثها التاريخية، كما ارتبطت معظم هذه الهجرات بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية، وحددتها طبيعة الهجرة التي كانت لها أثار على منطقة المغرب الأوسط.

1 - الهجرة إلى المغرب الأوسط قبل سقوط غرناطة 1492م:

إن العلاقة بين العدوتين[2] في العصر الإسلامي تبتدئ مع الفتح الإسلامي الأندلسي، وتستمر إلى غاية سقوط غرناطة (1492م)، والموقع الجغرافي للدولة الرستمية في المغرب الأوسط وظروفها السياسية والمذهبية، أدى إلى تقارب ودي، عسكري وسياسي واقتصادي بين بني رستم في تاهرت وبني أمية في الأندلس.[3]

---

(1) حول موضوع مراحل التواجد الأندلسي بالمغرب الأوسط، راجع الدراسات التالية:
ناصر الدين سعيدوني: الأندلسيون (الموريسكيون) مقاطعة الجزائر (دار السلطان) أثناء القرن السادس عشر والسابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر 1993، ص: 107-129.
ولنفس المؤلف: "صورة من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر"، المجلة العربية، العدد 27، المنظمة العربية الثقافة والعلوم، سبتمبر 1994، ص: 222-236. وهناك رسالة ماجستير غير منشورة باللغة التركية من جامعة أنقرة. يتناول صاحبها موقف الدولة العثمانية من استقرار الجالية الأندلسية بالجزائر.
انظر:
Chakib Benafri: ENDULUSTE SON MUSULUMAN Kalintisi MORISKO LARIN CEZYIR: E Cuçu un Osmanli YARDI M (1492-1614), Ankara 1989, pp:. 84-124.

(2) أطلق المؤرخون على المغرب والأندلس اسم (العدوة) لسهولة الاتصال بينهما، فالساحل المغربي يكاد يتصل اتصالا مباشرا بالساحل الأندلسي عند مضيق جبل طارق

(3) استمرت العلاقات السياسية بين الإمارتين الرستمية والأموية أكثر من قرن ونصف (144-296هـ/761-909م).

وقد استفادت حكومة قرطبة بكل ما تحتاجه من المقاتلين من فرسان زناتة بالمغرب الأوسط، حيث لم تتردد حكومة تاهرت في إمداد الأندلس بهؤلاء المحاربين بصورة مستمرة.

واستفاد الرستميون من جراء هذه الخدمات بالخبراء الأندلسيين حتى أصبحوا أعضاء بارزين في مجلس الشورى الإباضي التاهرتي، واشتهر من بين هؤلاء الوافدين الأندلسيين **عمران بن مروان** الأندلسي **ومسعود** الأندلسي، اللذين كانا من بين السبعة أشخاص الذين رشحهم الإمام **عبد الرحمن بن رستم** لإمامة الإباضية في تاهرت قبل وفاته.[1]

وقد ساهم الرستميون في مد أمويي الأندلس بما يحتاجونه في إطار العلاقات الاقتصادية الثنائية، وشكلت التجارة عصب الحياة الاقتصادية بين تاهرت وقرطبة، وتعدت العلاقات الأموية-الرستمية إطار التعاون السياسي إلى الميدان التجاري، فكانت السفن التجارية تترد بين موانئ المغرب الأوسط وموانئ الأندلس، مثل ميناء فروج[2] ومرسى الجزيرة الخضراء وشاطبة، محملة بالتجار وبالعلماء والمسافرين.

ويبدو أن مشاركة الأندلسيين خلال هذه المرحلة كانت واسعة، حيث قام البحارة الأندلسيين بإنشاء المدن والثغور على طول ساحل المغرب الأوسط، وشكلوا جماعات هامة من سكانه، وكان بين هؤلاء من يسكن مرسى الحجاج ومدينة تنس، حيث ذكر **البكري** أن البحريين من أهل الأندلس قد ساهموا في تشييد وبناء تنس سنة (262هـ/875م)، وكان من بين مؤسسيها **الكركري وأبو عائشة**، وهم من

---

(1) أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، (تحقيق إبراهيم طلاي)، قسنطينة 1974، ج1، ص46

(2) كان مرسى فروج الجزائري الميناء الوحيد والرئيسي الذي ينفذ منه بنو رستم، ويقع في غرب الجزائر ما بين مدينتي مستغانم وآرزيو، ويسمى حاليا مرسى الدجاج

أهل البيرة وأهل تدمير[1] الأندلسية، وإن إقامة هؤلاء في تنس[2] لدليل على أنهم لعبوا دورا رئيسيا في عمليات التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والأندلس.

وكانت مساهمة الأندلسيين واسعة في مدينة تاهرت، حتى أطلق اسم الأندلس على أحد أبواب المدينة، وفي هذا الصدد يذكر **ابن حوقل** أن مدينة وهران فرضت الأندلس عليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال. [3]

وبإيعاز من قرطبة جدد تعمير مدينة وهران سنة 290هـ/903م من طرف أندلسيين هما: **محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون**، وجماعة من بحارة الأندلس الذين كانوا يترددون على مرسى وهران، وذلك بمساعدة العشائر المحلية القريبة منها، كنفزة ومسغن من ازداجة. [4]

وهناك ثلاثة عوامل دفعت الجالية الأندلسية لتجديد وتعمير مدينة وهران:

– **عامل طبيعي**: توفر المدينة على مرفأ طبيعي هام يجعل السفن بمنأى عن العواصف ويساعد على رسوها، زيادة على توفر المدينة على سهول واسعة خصبة مع وفرة المياه العذبة بها، وذلك ما أكده **الإدريسي** قائلا: (وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه ممكنة، وأهلها في خصب، والعسل بها موجود .[5]

---

(1) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشره دي سلان، باريس 1965، ص 61.

وقارن عند: ابن حقل، صورة الأرض، بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ، 78.

(2) يذكر صاحب كاتب الاستبصار أن مدينة تنس كانت كثيرة الزرع، ومنها يجعل الطعام إلى الأندلس؛ انظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق وتعليق: د. عبد الحميد زغلول، الدار البيضاء، 1985، ص 133.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 79.

(4) قبيلة مسغن أو مسكين: بطن من قبيلة ازداجة التي كانت تسكن منطقة وهران، انظر: البكري، المصدر السابق، ص 70.

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، الجزء الخاص بالقارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، (تحقيق وتقديم: إسماعيل العربي)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 153.

-**عامل تجاري:** كانت الجالية الأندلسية ترمي بهذا العمل إلى ضمان منفذ تجاري للبضائع الأندلسية داخل المغرب الأوسط وبلاد السودان، وكذلك تصدير بضائع المنطقة إلى الأندلس، ويقول **الإدريسي** في هذا الصدد: وبها (وهران) أسواق مقدرة وبضائع كثيرة وتجارة نافقة، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان ...ومراكب الأندلس، إليها مختلفة.[1]

- **عامل سياسي:** كانت الخلافة الأموية بالأندلس ترمي من وراء ذلك إلى جعل وهران قاعدة أندلسية ضد الفاطميين وضد الثائرين عليها من أدارسة المغرب، وذلك عن طريق بث دعاتها من قبائل مغراوة القاطنة بالمنطقة.

ولنا أن نتساءل: كيف كان سلوك الأندلسيين بالمنطقة؟

نورد في البداية نصا **للحسن الوزان** وهو يحمل بعض الأجوبة على هذا التساؤل، إذ يقول: (وكان الوهرانيون دائما أعداء لملك تلمسان، لم يقبلوا قط وال من ولاته، ما عدا أمينا للمال وقابضا يستلم مداخيل الميناء، وكانوا ينتخبون رئيس مجلس ينظر في القضايا المهنية والجنائية، كما كان التجار فيما مضى يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، ويجتاحون سواحل قطونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة، حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين[2].

نلاحظ أولا أن المؤلف لم ينص صراحة على أنهم أندلسيون، ولكن القرائن تدل بالفعل على أنهم أندلسيون، ذلك أن أفراد الجالية الأندلسية ظلت تتقاطر باستمرار على المنطقة كما تؤكد ذلك المصادر التاريخية المعاصرة، ثم إنّ هذا التصرف من قبل

---

(1) نفسه.

(2) الحسن بن محمد، الوزان،وصف إفريقيا،ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983،، ج2، ص30.

الوهرانيين هو في الحقيقة موقف جديد، وهو يشبه إلى حد قريب تصرف أندلسيي المهاجرين عندما استقروا بالرباط والقصبة(1)، مما يجعلنا نميل إلى التأكد بأنهم أندلسيون، أو على الأقل كانوا مسيرين من طرف أندلسيين، فهم في الحقيقة كونوا شبه جمهورية صغيرة مستقلة بالمنطقة تمارس جزءا كبيرا من سيادتها.

وهذا يعني بكل وضوح أن الجالية الأندلسية خلال هذه الفترة كانت تشعر بشخصيتها المتميزة، وبالتالي فإن تصرفها كان ينبثق من واقعها بكل مكوناته الحسية والخلقية.

لقد ساعدت سياسة السلاطين في بلاد المغرب على ازدياد النفوذ الأندلسي بالمدينة، فأصبح تولي الحجابة (الوزارة) وإسناد الوظيف الإداري والقيام بالمهام الدينية والتعليمية من نصيب الأندلسيين، فكان الوافدون من الأندلس يجدون مجالا واسعا لاستثمار مواهبهم في قطاعي التجارة والصناعة.

ولم تكن مدينة وهران الوحيدة التي جدد تعميرها من طرف الأندلسيين فقد شيدوا المسيلة في أوائل القرن الرابع الهجري، وأرزيو التي اشتهرت بتجارها الأندلسيين الذين كانوا يصدرون ملح سباخها إلى الأندلس.(2)

ارتبطت الهجرة الأندلسية خلال هذه المرحلة مع بداية تراجع المد الإسلامي بالأندلس وسقوط الحواضر الكبرى بيد النصارى الأسبان مثل طليطلة 478هـ/1085م، وسرقسطة 512هـ/1118م، ومع انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب las navas de Taloza سنة 609هـ/1212م، بدأت الحواضر

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تحقيق وتعليق: د أحمد مختار العبادي وأ- محمد إبراهيم الكتاني)، في كتاب تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964، القسم الثالث، ص 66.

(2) محمد رزوق: " الجالية الأندلسية بالمغرب العربي: تونس والجزائر"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 43-44، تونس، نوفمبر، 1986، ص 133.

الأندلسية الكبرى تتساقط تدريجيا، كقرطبة 633هـ/1236م، وبلنسية 634هـ/1238م ومرسية وجيان وإشبيلية 646هـ/1248م.

إن المتأمل في الخريطة السياسية لمراحل الاسترداد المسيحي في شبه الجزيرة الإيبرية يلاحظ دون شك أن انحصار المد الإسلامي بالأندلس أصبح حقيقة ومؤشرا للقضاء النهائي على الحضور العربي الإسلامي بالمنطقة.

وأمام هذه الأحداث المفجعة، نزحت جاليات[1] أندلسية إلى بلاد المغرب، ووجدت في المغرب الأوسط مكانا مناسبا، فاستقرت في المراكز الساحلية مثل هنين وهران وأرزيو ومستغانم وتنس والجزائر ودلس وعنابة، بينما فضلت أعداد أخرى الاستقرار ببجاية وتلمسان لمكانتهما العمرانية، حيث أصبحت المدينتان عاصمتين للإشعاع العلمي والحضاري بالإضافة إلى نشاطها التجاري في المغرب الأوسط.

وكان الأندلسيون يفضلون الاستقرار في مكان يستطيعون فيه تحقيق طموحاتهم العلمية والسياسية والعسكرية والاقتصادية.

وأثناء هذه الفترة التاريخية الحاسمة، كان المغرب الأوسط ملجأ هاما ومحطة انتقال للمهاجرين الأندلسيين، بحيث لم تستطع المملكة الزيانية[2] توفير المجال الجغرافي لحماية الشرق الجزائري والذي كان تحت النفوذ الحفصي، واكتفت بالجزء الغربي من البلاد كقاعدة لها (تلمسان).

---

(1) يلاحظ استعمال كلمة جالية أندلسية، حيث لم يكن القدوم الأندلسي إلى شمال إفريقيا فرديا بل كان جماعيا خلال هذه الفترة، وتواصلت الهجرة الأندلسية الجماعية بتجدد النكبات.

(2) تأسست الإمارة الزيانية حوالي سنة 633هـ/1235م، وانتهت بالفتح العثماني لتلمسان سنة 962هـ/1554م، وعرفت باسم دولة بين عبد الواد: إلى أن استولى عليها المرينيون، ودخلوا عاصمتها تلمسان سنة 738هـ/1337م، وبعد فتح البلاد من طرف السلطان أبي حمو موسى الثاني 1359-1389م، سميت الدولة باسم ولده زيان، فعرفت بالدولة الزيانية

ولنا أن نتساءل عن أسباب اختيار أهل الأندلس مدينتي بجاية الحفصية وتلمسان الزيانية؟ كان لهذا الاختيار عدة اعتبارات، منها أن بجاية تحتل موقعا جغرافيا ممتازا إلى جانب اعتدال مناخها وخصوبة أرضها، وكانت مرفأ للسفن القادمة من المدن الأندلسية كالمرية وقرطاجنة وبلنسية.

وقد اعتبر الأندلسيون مدينة بجاية نقطة عبور نحو تونس وبلاد المشرق بالإضافة إلى كون بجاية مركز إشعاع حضاري وقاعدة للحكم خلال فترة الحماديين والموحدين والحفصيين.

وقد حظيت العناصر الأندلسية بمكانة رفيعة لدى أمير البلاد الحفصي ببجاية، وهذا منذ عهد المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م)، حيث تقلد الأندلسيون مناصب حساسة في الدولة، كتولي الوزارة والحجابة والوظائف العليا في البلاد إلى جانب القيام بمهام التدريس والتعليم، واشتهر منهم أبو **يعلى الأندلسي** و**محمد بن أبي بكر الإشبيلي**، كما أسند **أبو عبد الله الحفصي** حجابة بجاية للأخوين: **يحيى بن خلدون** (765هـ)، ثم عبد الرحمن بن خلدون (766هـ). [1]

وكان أفراد الجالية الأندلسية يطمحون إلى الوصول إلى مناصب قيادية، بحيث دخلوا في اتصالات مع بلاطات المغرب العربي، إما عن طريق الوسائط أو بصفة مباشرة، وتتميز هذه المرحلة بالاضطرابات السياسية، فكان لزاما على أمراء المنطقة الاسترشاد بذوي الرأي والمشورة، ولم يستغن حكام المغرب عن المشورة الأندلسية، لما عرفت به من نقاذ البصيرة في شؤون الحكم والسياسة.

ومما يلاحظ أثناء هذه المرحلة، أن الأندلسيين مارسوا السياسة من موقع قوة، إما كوزراء أوحجاب أومستشارين، وقد حقق بعضهم نجاحات باهرة وعبروا بذلك عن كفاءاتهم وقدراتهم.

(1) ناصر الدين سعيدوني، صورة، المقال السابق، ص 225.

كما برع الأندلسيون في ميدان التجارة أكثر من غيرهم بالمغرب الأوسط، إذ أن خبرتهم بالبلاد المسيحية كانت تؤهلهم بأن يلعبوا الدور الحاسم فيها، ومما يدل على أن الميدان التجاري هيمن عليه الأندلسيون ما ذكر في بعض المصادر من أن هؤلاء كانوا (منظمين) في إطار جماعات، ففي إشارة **للغبريني** يوضح فيها: (أن **أبا بكر محمد بن محرز** (655هـ/1257م)، كان على رأس الجماعة الاندلسية ببجاية)[1]، ولا شك أن نجاحها يرجع إلى تنظيماتها، وهي تنظيمات سبق أن تعودوا عليها وهم بالأندلس.

وإلى جانب الدراية الأندلسية بشؤون الحكم والتجارة، فقد عرف علماء الأندلس ببجاية الحفصية بأنهم كانوا موسوعي الثقافة، متنوعي الاختصاصات، حيث اشتهروا بالتأليف في مختلف التصانيف والمعارف، وقد أحصى المؤرخ الجزائري **سعيدوني** حوالي خمسين عالما أندلسيا استقر ببجاية أو كان مقيما بها زمنا قبل انتقاله إلى تونس أو بلاد المشرق العربي.[2]

وقد ارتفعت مكانة الأندلسيين في شتى أمور المجتمع البجائي دينيا ووظيفيا وتعليميا، حتى أصبح علماء الأندلس مثالا للقدرة نظرا لمكانتهم العلمية والأدبية التي امتازوا بها في ظل احترام الحكام لهم آنذاك، مثل **ابن محرز البلنسي** (ت 685هـ)، و**أبي الحسن علي بن محمد الأنصاري الإشبيلي** (ت 685هـ)، و**أبي بكر ابن سيد الناس** (ت 659هـ)[3]، وكان **ابن محرز** على رأس الجماعة الأندلسية ببجاية، يجتمعون بمنزله، فكان منهم: (**أبو عبد الله بن الأبار وأبو بكر بن سيد الناس**

(1) أحمد أبو العباس، الغبريني، عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، (تحقيق: رابح بونار)، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1918، ص 287.

(2) ناصر الدين سعيدوني، صورة، المقال السالف الذكر، ص 227-230.

(3) حول هجرة علماء الأندلس إلى الجزائر خلال العهد الحفصي، انظر: محمد الطمار، الروابط بين الجزائر والخارج، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983، ص 177-212.

وأبو عبد الله الجنان[1]، كما دخل **أبو عبد الله محمد بن علي** الشهير **بمحيي الدين بن عربي** (ت 642هـ)، واستقر هذا المتصوف الأندلسي ببجاية منذ عام 597هـ، وله تآليف كثيرة كلها في علم التصوف[2]، ومن الأندلسيين من استوطن جزائر بني مزغنة **(كأبي الحسن علي محمد بن شعيب الأشولي)**، وكان نحويا لغويا أديبا حافظا و**(أحمد بن عبد الله بن خميس بن مرون)** البلنسي الفقيه الأديب الذي توفي بالجزائر سنة 547. [3]

أما تلمسان، فقد أصبحت أيضا مقصدا للمهاجرين الأندلسيين إثر انقسام دولة الموحدين وانكماش دولة بين الأحمر بغرناطة، وقد اتبع الملوك الزيانيون سياسة حسن الجوار إزاء حكام الأندلس ليتصدوا للأطماع الحفصية والغارات المرينية، وهذا ما شجع السلطان **النصري أبي عبد الله محمد الخامس** ملك غرناطة على إرسال وفد إلى تلمسان سنة 763هـ/1316م يطلب فيه العون والمدد من السلطان الزياني **أبي حمو موسى الثاني** (760هـ/1359م)، وكان على رأس هذا الوفد الكاتب **إبراهيم بن الحاج**، الذي نجح في مهمته وحصل من السلطان الزياني على خمسين ألف قدح من الزرع، وثلاثة آلاف قطعة من الذهب لكراء السفن وشحنها إلى الأندلس[4]، كما استدعى الأمير الزياني **أبي حمو يحيي بن خلدون**، بسبب المشاكل السياسية التي واجهتها الإمارة من جراء الفتن التي أحدثتها المنطقة الشرقية من البلاد، كثورة ابن عم الأمير **أبي زيان بن السلطان أبي سعيد الثاني**، فكان القضاء

(1) نفسه، ص 184-186.

(2) نفسه، ص 181-182.

(3) نفسه، ص 206-207.

(4) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، (العهد العثماني)، الجزائر: المؤسسة الوطنية الكتاب، 1984، ص 129

على منافسه هذا يتطلب الحصول على مساعدة عرب رياح، وخاصة قبيلة الدواودة من عرب رياح.

وفعلا فقد أرسل الأمير الزياني خادمه **يحيي بن خلدون** للتفاوض، ونجح هذا الأخير في مهمته، فكان لذلك أحسن وقع في نفس السلطان الزياني الذي عينه كاتبا له وقربه إليه وجعله من مستشاريه، وعندئذ طاب المقام ليحيي بتلمسان واستقر بها.(1)

وبنــــزوح الأندلسيين إلى تلمسان، أضحت معهدا للتدريس، حيث توافدت إليها شخصيات أدبية وعلمية، منها **محمد بن أبي يوسف الثغري** والشاعر **محمد بن علي ابن قاسم المرسى** والبركات **محمد بن الحاج البلفيقي**(2) كما حل بتلمسان المحدث **أبو عبد الله محمد بن جابر الواد آشي**(3) الذي برع في النسخ.

ومن بين الأسر الأندلسية التي اشتهرت بحسن التدبير في الشؤون المالية في الدولة الزيانية، عائلة بني الملاح القرطبيين الذين استقروا بتلمسان، وقد اتخذهم بنو زيان أمناء على بيت المال، وفوضوا إليهم ضرب السكة من دنانير ودراهم، كما واستقرت أسرة أندلسية أخرى بتلمسان، وهي آل الآبلي(4)، والتي استخدمها السلطان الزياني **يغمراسن** في جيشه إلى جانب شخصيات علمية ودينية مثل الشيخ **شعيب بن الحسن الإشبيلي** المعروف بأبي مدين(5) دفين تلمسان سنة

---

(1) يحي، بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (تحقيق: د. عبد الحميد حاجيات)، الجزائر 1980، ج1، ص 31-35.

(2) نسبة إلى بلفيق، حصن من عمل مدينة المرية.

(3) نسبة إلى وادي آشي، مدينة تقع شمال شرق غرناطة.

(4) نسبة إلى آبلة، مدينة تقع شمال غرب مدريد.

(5) أبو مدين شعيب: فقيه وشخصية صوفية مشهورة، سكن بجاية، واستقر بتلمسان المزيد من التفاصيل، راجع يحيي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 125-126.

594هـ/1197م. وتتجلى صورة التأثير الأندلسي نتيجة لاستقبال الإمارة الزيانية لجاليات أندلسية أكثر من المرحلة السابقة بفعل سقوط عدد من الثغور الأندلسية واكتظاظ الساحتين المغربية والتونسية بالأندلسيين، فجدوا في البحث عن أماكن شاغرة لاستثمار مواهبهم السياسية والعلمية والاقتصادية في المغرب الأوسط.

وذهبت **راشيل أربيه** (R. Arié)، وهي بصدد الحديث عن التأثيرات الأندلسية المتسربة إلى مملكة بن عبد الواد إلى أن بلاط تلمسان فقد في بداية القرن الثالث عشر الميلادي تحت حكم أبي حمو موسى الأول- طابعه البدوي بفضل التأثير الأندلسي، وتطرقت الأستاذة أربيه بعد ذلك إلى التأثير في المجال السياسي، فأوضحت أن أربعة من وزراء الأمير الزياني كانوا من عائلة أندلسية (تقصد عائلة بني الملاح) من قرطبة، وأن أكبر أمير زياني **(أبو حمو موسى الثاني)** كان ذا ثقافة أندلسية، وأنه كان يختار مساعديه الرئيسين من بين أفراد حاشيته الأندلسية، وذكرت في هذا المجال **يحيي بن خلدون، ومحمد بن يوسف القيمني** الأندلسي، اللذين عاشا معا الأحداث الكبرى التي شهدها عصر الأمير الزياني.[1]

وذكرت الأستاذة **أربيه** أن بلاط تلمسان فقد طابعه البدوي بفضل التأثير الأندلسي، ولكنها لم تذكر مجالات هذا التأثير، فهل يكفي أن يحيط الأمير الزياني نفسه بأربعة وزراء أندلسيين لتنسب إلى الجالية الأندلسية بالإمارة الزيانية ما سمته العمل التمدني(L'action civilisatrice)؟.[2]

ونلاحظ أن الباحثة **أربيه** لم تستطع أن تثبت وجود أقلية أندلسية متماسكة لها دورها السياسي والاقتصادي، ولعل السبب في ذلك يرجع في أن المصادر المعاصرة

(1) Arié, Rachelle L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, Paris, P.U.F. 1973, pp 451-458
(2) Ibid, p. 458.

نفسها لم تشر إلى وجود مثل هذه الأقلية، ذلك أن أفراد هذه الجالية كانوا يتعاملون مع السلطة.

واستطاع أفراد النخبة الأندلسية امتلاك ثروات لا بأس بها، وفي هذا الصدد ذكرنا الباحث **عطا الله دهينة** بأن استقرار الأندلسيين بالمغرب الأوسط كتلمسان، قد أثر في الحياة السياسية للملكة الزيانية بوجه خاص، وأصبحت الجالية الأندلسية تمثل النخبة السياسية والدبلوماسية في المجتمع الزياني المسيطرة على دواليب الحكم والاقتصاد.

ووجب التذكير هنا باستفادة البلاط الزياني من الخبرات الإدارية والعسكرية والديبلوماسية لأفراد الجالية الأندلسية، حيث عمل الأمراء على تشجيع بعض العائلات الأندلسية وتقديم المزيد من الامتيازات لها داخل الإدارة، ليتسنى لها السيطرة على بعض المواقع القيادية بهدف وضع حد للنفوذ المتزايد لشيوخ القبائل المحلية داخل البلاط الزياني، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى الحنكة والكفاءة والخبرة التي اختص بها أفراد النخبة الأندلسية داخل الإمارة الزيانية.[1]

2 – الهجرة الأندلسية إلى الجزائر ما بين 1492-1609م:

في المرحلة الثانية من الهجرة الأندلسية التي تبدأ بسقوط غرناطة (1492م)، قصد المهاجرون الأندلسيون مختلف المناطق الساحلية للمغرب الأوسط، واتخذوا من مدينة الجزائر ملجأ لهم، ومن الحكم العثماني نفوذا مناسبا لآمالهم وطموحاتهم.

وقد ربط الموريسكيون الأندلسيون في هذه المرحلة مصيرهم بالأتراك العثمانيين، وكان لهم دور فعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر وتمثلت

---

(1)A. Dhina les états de l'occident musulman au XVIè et XV è siècle, Alger, O.P.U, 1984, pp 182 183

مساعداتهم للعثمانيين من خلال التصدي للحملات الإسبانية المتكررة من جهة، والمساهمة في القضاء على تمردات الإمارة المحلية بالجزائر من جهة أخرى.

ومنذ سقوط، غرناطة عمل الأسبان على محاولة تصفية الوجود الإسلامي من المنطقة، وملاحقة الموريسكيين خارج شبه الجزيرة الإيبرية في إطار حركة الاسترداد.

وقد تركت الملكة الإسبانية الكاثوليكية إيزابيلا في وصيتها بعد موتها (1504م): (إنني أرجو الأميرة ابنتي (جين) والأمير زوجها (فليب) وآمرهما بإطاعة وصايا أمنا المقدسة طاعة تامة، وأن يكونا حامييها والمدافعين عنها حسبما يقتضي واجبهما، وألا يكفا عن متابعة إفريقيا، ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان)(1).

وتعود أصول الجهاد البحري الجزائري إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، بسبب الأزمة السياسية والاقتصادية التي عصفت بالمغرب الأوسط، والتي كانت من أهم عواملها هجرة مسلمي الأندلس إلى شمال إفريقيا واستقرارهم في المراكز الساحلية إلى جانب مساهمتهم في تموين سفن المجاهدين وكشجيعهم بدافع الحماية من جهة، بدافع الانتقام ممن طردهم من موطنهم من جهة أخرى.(2)

وقد وضعت إسبانيا لنفسها موضع قدم في إفريقيا، كان عبارة عن نقطة ارتكاز دائمة منعزلة للدفاع عن سواحلها الخاصة، كما شيدت سلسلة من القلاع على طول الساحل لشمال إفريقيا، واستولت على بعض المراكز الساحلية الجزائرية مثل المرسى الكبير (1505م)، وهران (1509م)، ومستغانم (1511م)، وتلمسان (1512م) وتنس (1509م)، وبجاية (1510م)، والجزائر (1511م)، وعنابة (1512م).

(1) فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، دمشق المطبعة الجديدة، 1981-1982م، ص 13
(2) نفسه، ص 16

وكان الجهاد البحري في شمال إفريقيا قد لفت أنظار أوروبا المسيحية، ولا سيما مجاهدي الجزائر، الذين وجهوا نشاطهم ضد السفن الأوروبية، وسببوا الكثير من المتاعب للدول الأوربية المواجهة للبحر الأبيض المتوسط، حيث نقلوا معهم الكثير من الأسرى والغنائم، وتكفلوا بعمليات إنقاذ مسلمي الأندلس من محنتهم، مما شغل الكثير من المؤسسات الدينية والسياسية الأوربية عصرئذ.

وعاصرت مشروعات الدولة العثمانية في البحر المتوسط الغربي، ظهور حركة عامة من رجال البحر، تستهدف العمل على حماية الموانئ والسواحل من التحرشات الإسبانية وتأمين وصول المهاجرين الأندلسيين على أكمل وجه، وكان من بين هؤلاء المجاهدين **عروج** وأخوه **خير الدين بربروسا.**

وبعد تأسيس الحكم العثماني بالجزائر (1519م)، كأولى قاعدة عثمانية في الصراع الإسباني - العثماني بمنطقة الحوض الغربي للمتوسط بدأ النشاط البحري الذي بذله الإخوان بربروسا وخلفاؤهما، أمثال **صالح رايس، وايدين رايس ،ودرغوت، ومراد رايس، وحسان فيزنيانو، وقليج علي باشا.**

إن المغرب العربي والدولة العثمانية كانا يعتبران في نظر الموريسكيين (أرض الميعاد)[1] التي بإمكانها تقديم ما يحتاجونه من دعم يومئذ، وعلى الخصوص من سلاح للدفاع عن أنفسهم، وفي هذه الفترة الزمنية بالذات، سجل تزايد اللاجئين نحو المغرب العربي ابتداء من سنة 1570م، كما تمكن الموريسكيون من أن يجدوا لهم موقعا بالجزائر، وقد أصبح وصولهم الجماعي مكثفا عندما بدأ النظام العثماني في الاستقرار.

---

(1) التميمي، عبد الجليل، "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1541م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد3، تونس، جويلية 1975م، ص 37-47.

وتمكن **خير الدين** من جعل إيالة الجزائر[1] قوة بحرية في المنطقة المتوسطية هزت إسبانيا وأرعدت أوروبا، واستحقت بأن يطلق عليها (بلد الجهاد) وعلى مؤسساها العسكرية (أكبر مدارس الإسلام البحرية).[2] كانت معرفة **خير الدين** بالملف الموريسكي جيدة، مما جعله يعتقد وجوب إنشاء دولة قوية وموحدة بالمغرب الأوسط، والتي انطلاقا منها يكون باستطاعته استرجاع الأندلس مرة أخرى، والعمل على انقاذ الموريسكيين من سياسة الاحتواء الثقافي والديني التي مارستها محاكم ودواوين التفتيش.[3]

ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن معظم المؤلفين الغربيين، قد وصفوا **عروج وخير الدين ودرغوت وقليج علي** بالقراصنة أو المغامرين المتوحشين، وكان مدلول القرصان محتقرا جدا وهو الشخص الذي لا يشتغل إلا بالاستيلاء على الغنائم والانقضاض على السفن وتدمير السواحل وفرض العبودية على الأسرى.

إن الموريسكيين سواء الذين كانوا مستقرين بغرناطة أو بمناطق أندلسية أخرى، كانوا منذ عهد مبكر متشوقين للهجرة نحو شمال إفريقيا، وازداد هذا الشوق بعد قيام الحكومة الإسبانية بمزيد من الضغط ومحاولتها منها إبادة من بقي من

---

(1) حول تأسيس إيالة الجزائر، راجع:

Grammont (H.D de), Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830, Paris, 1887, pp. 20-29.

—جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، (تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة)، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص 321 – 350.

(2) أجقو، علي، "الدولة الجزائرية الأولى 1514 - 1830" "دراسة مؤسساتية"، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة باتنة، العدد 2، ديسمبر 1994، ص 134 – 154.

(3) وولف. جون (ب)، الجزائر وأوروبا (ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 39.

الموريسكيين، أما بالنسبة للمقيمين في المناطق الشرقية لإسبانيا، فكانوا يفضلون الشريط الساحلي الجزائري الذي لم يكن يبعد سوى ساعات قليلة عن الإبحار.

ومن جهة أخرى كانت الإيالة الجزائرية في نظر الموريسكيين أكثر الإيالات العثمانية -المغاربية المهيأة عسكريا لتقديم الدعم والمساندة، وهذا نظرا لفعالية تحرك أسطولها البحري في المتوسط الغربي، وكذا لخبرة قوادها وبحارتها أمام الأسطول الإسباني الذي يراقب كل تحرك بحري في اتجاه سواحله.

إن القواد العسكريين والسياسيين والدينيين الإسبان كانوا يعلمون جيدا مدى الوزن العسكري لإيالة الجزائر العثمانية في ملف الموريسكيين، فقد سجل عدد كبير من الموفدين والمخبرين الإسبان إلى الجزائر على أنهم (تجار موريسكيون وكاتالونيون وإيطاليون، وأنهم علاوة على البعد الديني كانوا يقومون بوظائفهم التجارية مع المغرب العربي، وهم من خلال رحلاتهم التجارية كانوا الوسطاء والمخبرين عن الموريسكيين).[1]

وحول المهاجرين الأندلسيين الذين قصدوا مختلف مناطق إيالة الجزائر بعد سقوط غرناطة (1492م) وأنواع أنشطتهم، يمكننا أن نستقي ذلك من المصادر المعاصرة لهذا الحدث التاريخي الهام، فرغم اختلاف لغة وجنسية كل من **الحسن الوزان**[2] المعروف (بليون الإفريقي -Léon l'africain) في كتابه —وصف إفريقيا-

---

(1) عبد الجليل التميمي: "الدولة العثمانية قضية الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 23 – 24، تونس، نوفمبر 1981، ص 8.

(2) ولد الحسن بن محمد الوزان في غرناطة ما بين عامي 1495 -1500م،توفي سنة 1537، ووقع أسيرا في يد القراصنة المسيحيين، وقدموه هدية إلى البابا ليون العاشر، الذي قام بتعميده، وأطلق عليه اسم جان ليون الإفريقي. اشتهر بكتابه: وصف إفريقيا. للمزيد راجع: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط1، الرباط 1980، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ص 11.

ومرمول **كربخال**[1] (Marmol Carvajal) في كتابه **إفريقيا**. فقد تعرض إلى تواجد الأندلسيين بالمنطقة وخاصة في كل من برشك تلمسان وشرشال، والقل.

وكان للمهاجرين في شرشال حوالي 5000 مسكن، والذين يكون نواتهم كل من الثغرين (Tagarinos)، والمدجنين (Mudéjares)، والأندلسيين، وكذلك مدينة القل ذات الطابع الموريسكي الأصلي، والتي استقر بها في عهد **حسن باشا** 1546-1567، حوالي 300 عائلة من أصل مدجن وثغري،[2] وفدوا عليها من إقليم قشتالة والأندلس وبلنسية، تذكر بعض الدراسات أن مجموعة هامة من الموريسكيين بعد خروجها من الأندلس، لجأت إلى سواحل خليج أرزيو قرب منطقة المقطع، وذلك سنة 1492م، واستقبلهم أهالي المنطقة بحفاوة.[3]

وتشير المصادر الإسبانية إلى الحملة البحرية التي قام بها كل من **إيدين رايس** وصالح **رايس** في سنة 1529م بطلب من **خير الدين بربروس**، وأسفرت هذه الحملة عن نقل 600 موريسكي بلنسي، وكان هؤلاء ينتظرون النجدة والخلاص من سفن الرياس العثمانيين عند مصب نهر أوفيلا (Ovila)، وتمكنت تلك السفن من العودة بالموريسكيين إلى الجزائر رغم الاشتباك البحري الذي وقع مع الأسطول الإسباني قرب جزر الباليار[4]، وقد اختار هؤلاء النزول بمدينة الجزائر والاستقرار بسهول متيجة ونواحي البليدة ودلس، وقد شجعت إيالة الجزائر حركة إنقاذ مسلمي الأندلس، وذلك بعبارة من البيلرباي **خير الدين** .

---

(1) مرمول كربخال، رحالة ومؤرخ إسباني، كان خبيرا في الشؤون الإفريقية، ووقع أسيرا في المغرب الأقصى سنة 1556م، وكتابه طبع بعد معركة ليبانت (1571م).

(2) مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد زينبر و محمد الأخضر، الرباط: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1984، ج2، ص 362.

(3) Roland, Villot, Arzew des origines à nos jours, Oran, Edition Peritti, 3ème ed, 1961, p. 64

(4) عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987، ص 388.

في نطاق هذه الجهود التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون من أتراك وسكان السواحل من أجل مساعدة إخوانهم الأندلسيين، ذكر الكاتب التركي **شلبي** أن **خيرالدين** وجه حوالي 36 سفينة إلى السواحل الإسبانية، وذلك خلال سبع مرات، لنقل ما يناهز حوال 70 ألف موريسكي.[1]

وقد أشار كتاب غزوات **عروج وخير الدين** إلى بعض الحملات البحرية التي كان يقوم بها الإخوان بربروس لإنقاذ الأندلسيين، نذكر منها أن سفن خير الدين بعد أن تمكنت من الاستيلاء على مدينة مستغانم من يد الزيانيين، توجهت إلى سواحل الأندلس واستطاعت أن تنقل مسلمي الأندلس إلى الجزائر.

ونقتبس من كتاب غزواتها أيضا رواية أخرى تتعلق بالمساعدة في إطار إنقاذ أندلسيي جبال البشارات الذين ثاروا ضد الحكومة الإسبانية سنة (1502م)، وقد وردت بهذا النص):. أنه جهز لهم (خير الدين) ستة وثلاثين جفنا (سفينة) فنزل أهل الجبل من الأندلس (أي الثائرون المحاصرون بالساحل)، فرفعوا نساءهم وأبناءهم ما قدروا عليه من أموالهم وأثاثهم، فأتوا بها إلى الأجفان وسقوها بذلك، وركب عدد كبير منهم ورجعوا إلى الجزائر وخلفوا ألفي مقاتل من العسكر يحرسون جماعة المسلمين الباقية بالأندلس خوفا عليهم من عائلة النصارى، فلما وصلت الأجفان إلى الجزائر، وخلفوا ما حملوه من الأندلس بها، رجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين، فتكرر ذلك منهم سبع مرات، وكان من جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا، وبقيت عدة أجفان بالجزائر وأنهم في كل

---

(1) عبد الجليل التميمي"رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1541م"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد3، تونس، جويلية 1975م ،ص 39، وذكر غرامون عن إنقاذ 10 آلاف موريسكي، راجع:

Grammont (H D de) op cit, p 1

الكفرة يسافرونها برسم الغنيمة يأتون إلى سواحل الأندلس برسم نقل جماعة المسلمين)[1]، وبسبب هذه الأعمال الجليلة التي قام بها الأسطول البحري الجزائري، دفعت بقايا المسلمين بغرناطة إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية من خلال رسالة بعثها أهل الأندلس إلى السلطان العثماني **سليمان القانوني** عام 948هـ/1541م، أثنوا فيها على جهود خير الدين، وأشادوا بمآثره وبطولاته بقولهم:«فقد كان بجوارنا المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين وسيف الله على الكافرين، علم بأحوالنا واستغثنا به، أغاثنا وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين ونقلهم إلى أرض الإسلام وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان ولعمارة مدينة برشك وشرشال ونواحي تلمسان ... »[2].

وكان رد إسبانيا عنيفا عندما أسست ميليشيات مسلحة للرد على هجومات الأسطول الجزائري الذي كان يجوب سواحلها لإنقاذ مسلمي الأندلس، وكانت نتائج الحملات البحرية المتكررة للأسطول الجزائري على سواحل الأندلس أن بادرت إسبانيا بشن حملة كبيرة على مدينة الجزائر في أكتوبر 1541م بقيادة ملكها شارل الخامس.

وأثناء حصار مدينة الجزائر من طرف السفن الإسبانية، ظهرت شخصية حسن آغا الذي حث سكان المدينة على الصمود والمقاربة في وجه المحتل، وأشرف بنفسه على عمليات تعزيز المواقع الدفاعية وتحصينها[3]، ولم يتمكن قائد الأسطول

---

(1) مجهول كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1934، ص 48 و82.

(2) عبد الجليل، التميمي، رسالة من مسلمي، المقال السالف الذكر، ص 45-46.

(3) Haedo,(F. de Diego): Histoire des rois d'Alger, traduit et annotée par de Grammont Alger,1881 p. 62.

الإسباني أندري دوريا André Doria من اقتحام المدينة، وكانت الخسارة كبيرة في القوات الإسبانية، حيث خلفت المعركة فقدان الأسطول الإسباني (حوالي 150 سفينة) ومقتل 10 آلاف رجل، وتمكن سكان الجزائر من الحصول على كميات هامة من السلاح الذي تركه جند شارل الخامس، وبذلك استحقت مدينة الجزائر لقب (الجزائر المحروسة)، وبعد مرور الزمن فرضت إيالة الجزائر قوانينها وسيطرتها على المنطقة حتى أصبحت في نهاية القرن السادس عشر أكثر قوة من بين المدن الجديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط.[1]

ويذهب بعض المؤرخين الغربيين إلى أنه لو لا دخول بلاد المغرب العربي في حظيرة الخلافة العثمانية، لأمكن لإسبانيا تأسيس مملكة على طول الساحل (المغاربي)[2]، وللرد على مثل هذه الادعاءات التاريخية، فإنه يمكن القول أنه لو لم تكن الدولة العثمانية منشغلة بالفتوحات في المشرق وصراعها الدائم مع الصفويين لأمكنها مساعدة إيالة الجزائر وفتح الأندلس من جديد.

عرفت مدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني هجرة مكثفة من طرف الموريسكيين الذين وصل عددهم مع مطلع القرن السابع عشر إلى أكثر من 25 ألف موريسكي[3]، وباستقرار الحكم العثماني بالجزائر، تزايد نشاط حركة الجهاد البحري في الحوض المتوسطي، إذ اتخذ الصراع العثماني -الإسباني أبعادا عالمية.

---

(1) Braudel.(Fernand), La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, paris, Armand colin, 2ed. 1966, T2, p. 288.

(2) L. Guin, « Quelques notes sur les entreprises des espagnols pendant la première occupation d'Oran », in R.A. (N° 28), 1886, p. 313.

(3) ناصر الدين سعيدوني: دراسات العهد العثماني، المصدر السابق، ص. 132.

وهكذا استمر تدفق تيار الهجرة الأندلسية نحو إيالة الجزائر، وخاصة بعد فشل الثورة الموريسكية (1568-1570م)، مما دفع بحاكم الجزائر آنذاك **قليج علي باشا** الى التفكير في إمكانية تقديم المدد والذخيرة لمجاهدي غرناطة، حتى أطلق المؤرخون على **قليج علي** (بطل الإسلام).[1]

لقد عبرت إيالة الجزائر عن تعاطفها مع الأندلسيين، فبعثت إليهم بالرجال وكمية من الذخيرة الحربية، وقد اعترف حكام الجزائر وعلى رأسهم قليج علي بأن الأندلس لا يمكن استعادتها بدون أسطول عثماني وقوة برية كبيرة، ولكن مع هذا فإن ثورة الموريسكيين في إسبانيا كانت مفيدة لبيلار باي شمال إفريقيا، لأنها جمدت القوات البحرية الإسبانية بالإضافة إلى تجميدها للجيش الإسباني الذي كان قد بقي في حوض البحر المتوسط، كما أنها أعطت لقليج علي باشا فرصة ذهبية لمحاولة سيطرة الجزائر من جديد على ساحل الشمال الإفريقي كله.[2]

ولا يمكن إغفال الدور الهام عند تعرضنا للمرحلة الثانية من الهجرة الأندلسية إلى إيالة الجزائر، دون الحديث عن مبادرة الإخوة بربروسا وخلفائهم --كما سبق ذكره- حيث عملوا جميعا في استغاثة هؤلاء الموريسكيين والعمل على استقرارهم بمختلف المناطق الجزائرية، وتكشف لنا رسالة **السيد أقيلا** D. juan Aguilla إلى حاكم بلنسيه في 23 أبريل 1541م، عن خروج أفواج هامة ومتواصلة من موريسكي بلنسية نحو الجزائر، عقب فشل حملة **شارل الخامس** على مدينة الجزائر (1541م).[3]

(1) MAXANGE, Desfontin, Eudj'Ali, Paris, Ed A. Pedon, 1930, p. 120.

(2) جون (ب) وولف: المصدر السابق، ص: 34-85.

(3) C. Benafri, op. cit., p. 100.

وقد قام درغوت رايس بنقل حوالي 1500 موريسكي من منطقة بلنسية في عام 1569م، وكان من نتائج فشل ثورة البشارات بغرناطة (1570م)، نزوح حوالي 30.000 موريسكي بقيادة **الحبقي** إلى الجزائر، وهذا على إثر اتفاق عقد ما بين الموريسكيين ودون **خوان دي أستريا** (D. juan de Austeria)، **بتاريخ** 20 ماي 1570م.[1]

فحاكم الجزائر **حسن** فنزيانو (1582-1588م)، وكذا بقية البيلاربايات الأسبقين، قد قاموا بتسهيل إقامة الموريسكيين، إذ أن حسن هذا، قد جلب ألفي موريسكي من منطقة أليكانت (Alicante).[2]

إن إسبانيا التي تقدر حق التقدير الوزن العسكري للعثمانيين، وعلى الأخص تلك التحركات البحرية للأميرال **قليج علي** في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومدى فعالية ذلك تجاه الموريسكيين[3]، وتمكن **مراد رايس** من شن غارة بحرية على سواحل لورقة (Lorca) غرب قرطاجنة بغرض نقل الموريسكيين[4]، وفي سنة 1585 وصلت أعداد من أهالي منطقة كاطالونيا إلى الجزائر.

وكانت الجزائر والمدن المجاورة كالبليدة والقليعة وشرشال، قد امتلأت بهؤلاء الوافدين الجدد، وعليه فإن سكان مدينة الجزائر أصبحوا بالفعل يتشكلون من أغلبية أندلسية.

وبالرغم من مشروع الهدنة الذي أقرته إسبانيا مع الدولة العثمانية سنة 1581م، فقد ازدادت شقاوة هؤلاء الموريسكيين الذين انتزع منهم كل شيء: حق التملك

---

(1) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات العهد العثماني، المصدر السابق، ص 131.

(2) Haedo, Histoire, op. cit., pp. 193-194.

(3) محمد سي، يوسف، قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1988، ص 179.

(4) محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 388.

ودينهم الإسلامي، وفي هذا النطاق، استغاث هؤلاء من جديد بالجزائر والدولة العثمانية طالبين منهما، مدهم بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ضد سياسة الدمج والاحتواء الديني والحضاري.

وعندما صعب عليهم الأمر عبروا التراب الفرنسي واستخدموا ميناء مرسيليا محطة للانتقال والإبحار إلى مدينة الجزائر، وكان هذا قبل عمليات النفي الجماعي.

ففي سنة 1584م، وجه السلطان العثماني **مراد الثالث** (1574-1594م) فرمانا إلى حاكم الجزائر **حسان** (1582-1588م)، حيث يعرض علينا الفرمان بعض سفن الجزائر أثناء قيامها بحملة ضد السواحل الإسبانية، ثم الاستيلاء عليها من قبل سفن ... الدوق مرسيليا المعروف باسم دوق **هنري دي قيز** (Duc Henri de Guise) الذي كان يحكم المنطقة على عهد الملك الفرنسي هنري الثالث (1551-1589م).[1]

وقد أرسل الدوق معظم المسلمين الذين وقعوا في الأسر إلى مرسيليا على أساس ... حرب، وهناك بالسجن وحسب الذي أورد الخبر وجدوا اثنين من المسلمين ... من المدجنين الذين خرجوا من إسبانيا على أساس العبور إلى مدينة الجزائر، ... قدموا إلى مرسيليا، إلا أنه تم القبض عليهم، وعوملوا معاملة أسرى حرب، ... بإلقائهم في السجن والسعي لبيعهم لأحد أعداء المسلمين، وهذا هو النص كما ... في الوثيقة: (رسالة تعبر بأنه تم القبض على خمسة مسلمين من طرف الحاكم ... الذليل (يقصد به ملك إسبانيا)، وبعد خروجهم، ونظرا لمعرفتهم بأحوال ... الذليل، نزلوا بولاية مرسيليا التابعة لملك فرنسا **(هنري الثالث)**، في الوقت الذي ... من الساحل الغربي أو (دار الإسلام)، سفينة تحمل اسم (المسلمين ...)، والتي أثناء قصدها للغزو والجهاد في بلاد إسبانيا، التقت بالسفن التابعة

(1) ... "موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر مابين سنتي 1571و1573" في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية، ديسمبر 1991، زغوان، 1993، ج2، ص 35.

لدوق فرنسا الملعون، إن كفار هذه المنطقة أو قلعة (سان لوفيني) قاموا بالاستيلاء على تلك السفن وتعذيب رياسها، كما وضع معظم المسلين في الأسر، وتم إرسالهم على أساس أنهم أسرى حرب إلى ولاية مرسيليا وأثناء وجودنا بالسجن، وجدنا اثنان من المسلمين وأربعة من المدجنين، الذين خرجوا من أرض الكفار (إسبانيا) على أمل العبور إلى الجزائر، وقدموا إلى مرسيليا، إلا أنه تم القبض عليهم كذلك وألقى بهم في السجن على أساس بيعهم كأسرى إلى أحد الكفار)[1]

إن نص الوثيقة يعرض علينا بوضوح مصير الموريسكيين الذين قصدوا مرسيليا، وتكشف لنا أيضا خلفية الصراع الذي كان قائما بين إيالة الجزائر وفرنسا قبل معاهدة 21 مارس 1619[2]، خلال هذه الفترة قامت السفن التابعة **لحسن باشا ومراد رايس** بحملات عديدة ضد السواحل الجنوبية لفرنسا، في الوقت الذي قامت فيه السفن الإسبانية والجنوبية تحت العلم الفرنسي بالاستيلاء على السفن الإسلامية في عرض البحر المتوسط، وهذا ما دفع الدولة العثمانية إلى إرسال العديد من الأوامر إلى إيالة الجزائر لملاحقة هذه السفن والقبض عليها.[3]

ولعل هذه الوضعية هي التي كانت هدفا البند الأول من معاهدة 21 مارس 1619م بين فرنسا والجزائر، الذي يركز على أن: (الأسرى المسترقين من المسلمين الذين يفرون من أراضي الأعداء ويلجؤون إلى فرنسا، تعطى لهم حرية العبور إلى

---

(1) نفسه.

(2) نص اتفاق معاهدة 21 مارس 1619م على احترام الطرفين الفرنسي-الجزائري للمعاهدات المبرمة بين الدولة العثمانية وفرنسا، كما التزم الطرفان بوقف كل الأعمال العدوانية ضد بعضهما البعض، ونصت المعاهدة على إقامة سلم دائم بين البلدين.

(3) إن الأوامر السلطانية المهمة (مهمة دفتري)، والموجهة إلى بيلربايات الدولة العثمانية في القرن 16م، بينت بوضوح تقوية المقاومة ضد الأسبان، معتمدة على إيالة الجزائر التي [illegible] في هذه المقاومة

الجزائر، وإعطاء الأوامر إلى حكام المدن ومناطق حدود المملكة الفرنسية بعدم إرجاع وبيع هؤلاء المسلمين إلى أعدائهم).[1]

واستقر الأندلسيون في المرحلة الثانية من الهجرة في مدن جزائرية كثيرة مثل ...ة وبجاية ودلس وتنس، ووجد هؤلاء المهاجرون في الجزائر أرضا تشبه أرضهم وأهلا كأهلهم، فاستوطنوا وساهموا في الحياة الاجتماعية بإدخال عنصرين رئيسين: الأول تمثل في الكفاح ضد الإسبان في البر والثغور دفاعا عن النفس ومحاولة لاسترجاع ممتلكاتهم، والثاني نشر أنماط الحضارة الأندلسية في الجزائر.[2]

ويرجع الفضل في هذه الهجرات إلى توسيع النسيج الحضري لمدينة الجزائر، خلال الحكم العثماني، حيث أصبح لها مركزان رئيسان يسكنهما الأندلسيون في ... شرقا وشرشال غربا.[3]

ولم يتمركز الموريسكيون في مدينة الجزائر فحسب، فقد تمكن **رضوان باشا** (1607-1610م) من إرسال مجموعة من لاجئي الأندلس داخل البلاد للالتحاق ...ات السابقة، والتي كانت تعيش بالبليدة والمدية ومليانة وبجاية وقسنطينة[4]، واستطاعت الجالية الأندلسية تأسيس مراكز ساحلية وتعزيز خطوطها الدفاعية، ...وهران وشرشال، كما ساهم موريسكيو غرناطة ومرسية في بناء وتعمير المرسى الكبير، وجعلوا منه قاعدة بحرية[5]، واستوطنت عائلات موريسكية أخرى المدن

---

(1) جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م، ص 266.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 ج1، ص 142.

(3) ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون، المقال السابق، ص 110

(4) M. Gaïd, L'Algérie sous les turques, Alger, ed Mimouni, 2ème ed, S.D, p 120

(5) Alexander (P), Djaglov, « Mers El kebir », in, R A, (N°84), 1940, pp 157-185

المجاورة لمدينة الجزائر، مثل البليدة والمدية، وانتشروا في ربوع أحياء مدينة الجزائر، وخاصة باب الواد وبولوغين والحامة والقبة وبوزريعة وتاقران وتليملي.

ومن الحقائق الثابتة أن هذه المناطق عرفت خلال هذه الفترة بحدائقها الخضراء ومنازلها البيضاء[1].

بالإضافة إلى مساهمة الأندلسيين في توسيع عمران مدينتي هنين ومستغانم.[2]

ونظرا للضغط السكاني المتزايد على مدينة الجزائر العثمانية، فكر حكامها في تخصيص أماكن أخرى لإقامة المهاجرين الأندلسيين.

وكان **لخير الدين** السابقة في ذلك، إذ يرجع له الفضل في تأسيس مدينة البليدة عاصمة المتيجة، حيث اقتطع أجزاء من سهولها لأفراد الجالية الأندلسية بغرض الاستيطان، وشيد بها مسجدا جامعا سنة 1535م، وحماما وفرنا، وسارع الناس في بناء المنازل على الطراز الأندلسي[3]، فأضحت البليدة مدينة الأزهار والثمار وعرفت باسم (الوريدة).[4]

ويرجع الفضل إلى **عروج** الذي ساعد الأندلسيين في الانتقال إلى منطقة البليدة، وأصبح **سيدي أحمد الكبير** الوالي الرمز للأندلسيين، حيث تحمل مسؤولية الدفاع عنهم وتمكن من تشييد عدة قرى للاجئين منهم، وهذا ما بين مدينتي الجزائر والبليدة، خلال سنوات 1502م و1523م.

---

(1) M. Gaïd, op. cit., pp. 103-104.

(2) Moulay, Blchamissi, Histoire de la marine algérienne (1516-1830), Alger, ENAL, 2ème ed, 1986, p. 53.

(3) J. Monlaü, les Etats Barbaresques,que sais-je ?Paris,PUF,1964, p. 72.

(4) الجيلاني، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: المطبعة العربية، 1955، ج2، ص 314.

... ... عامة تمكن **خير الدين** من حمل المئات من الأندلسيين، والعمل على ... في مناطق ضفاف الوادي الكبير المعروف بوادي الرمان قرب قبائل شنوة.[1]

... سنة 1533م استنجد سكان منطقة تيبازة بسيدي **أحمد الكبير**، الذي وضع ... الجبليين[2]، بالإضافة إلى نزوح بعض العائلات الأندلسية إلى منطقة ... (Lorit) التي تبعد عن تلمسان بحوالي 7 كيلومترات، وبعد مضي عقد من ... دخل هؤلاء مدينة تلمسان واتخذوها مقرا لهم.[3]

ونلاحظ خلال هذه المرحلة أن المناطق الساحلية الغربية من الجزائر كانت أكثر ... في استيعاب هؤلاء المهاجرون من السواحل الشرقية، والذي يمكن أن يفسر ... الجغرافي بين إسبانيا من جهة وللعلاقات الأندلسية-الزيانية من جهة أخرى.

ولعله جدير بنا أن نوضح أن استقرار الأندلسيين في المرحلة الثانية من الهجرة لم يقتصر على مناطق معينة، بل شمل عدة جهات وخاصة المراكز الساحلية، ويمكننا ... هذه التجمعات في ثلاث أقاليم رئيسة:

- **الغرب الجزائري:** شمل وهران ونواحيها، ومستغانم وآرزيو وجهاتها، وتلمسان وقلعة بني راشد ومزونة.

---

(1) Kamel, Filali, Sainteté maraboutique et mystique, Contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination Ottomane XVI –XVII siècle, thèse inédite, Strasbourg, 1994, p. 134.

(2) C. Trumelet, Blida : récits selon la légende, la tradition de l'Histoire, Alger, 1887, p. 577.

(3) M. Ravillard, op. cit., T2,p.148

– **الوسط الجزائري**: شمل الجزائر (دار السلطان)[1]، البليدة، القليعة، مليانة، شرشال، المدية وسهول المتيجة.

- **الشرق الجزائري:** شمل بجاية، جيجل، عنابة، وقسنطينة.

3 - الهجرة الأخيرة (1609–1614م):

وفيما يتعلق بالمرحلة الأخيرة من الهجرة الأندلسية، التي أعقبت قرار الطرد الجماعي للموريسكيين في فترة حكم **فليب الثالث**، فإن الجهات الساحلية للجزائر قد استقطبت أعدادا كبيرة من المهجرين قسرا، بواسطة السفن الإسبانية.

وبصدور مرسوم نفي مسلمي بلنسية بتاريخ 22 سبتمبر 1609م، تم ترحيل 28 ألف موريسكي نحو ميناء دانية (Denia)، و15 ألفا آخرين إلى ميناء بلنسية، وقد حملتهم السفن الإسبانية على نفقتها الخاصة إلى مدينة وهران، بينما اعتمد المهاجرون الآخرون على أنفسهم، وعلى استئجار السفن والإبحار صوب السواحل الجزائرية.[2]

وعرفت مدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني خلال هذه المرحلة، هجرة مكثفة من الموريسكيين الذين بلغ عددهم في مطلع القرن السابع عشر حوالي 25000 موريسكي[3]، وقد توسعت مناطق تمركزهم واستقرارهم لتشمل مناطق طول الساحل الجزائري مثل: آرزويو وشرشال وتنس والقليعة وبجاية ودلس وعنابة.

---

(1) **دار السلطان**: **تمتد من داس شرقا إلى شرشال غربا**، ومن ساحل البحر **المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا**، **وتضم إقليمي الساحل ومتيجة وبعض الامتدادات في بلاد القبائل والتيطري**.

(2) **ناصر الدين ،سعيدوني، دراسات العهد العثماني**، المرجع السابق، ص 133.

(3) **ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون، المقال السابق**، ص113.

... هذه الأثناء تمكنت أفواج أخرى، وخاصة موريسكيو استرامادور (Extramadura) واراغون (Aragon) ولامانشا (la mancha) من الالتحاق ... وفحصها، عن طريق فرنسا عبر مرسيليا وليفورنة.

... لسياسية **هنري الرابع** ضد حكومة **فليب الثالث** ومساعي السلطان ... **أحمد الأول** لدى حكومة فرنسا، تم تسهيل عملية نقل الموريسكيين إلى دار ...، والتي أرخ لها **أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي** في كتابه ناصر الدين على القوم الكافرين بقوله: (لما صح عند سلطان إسطنبول خروج أهل الأندلس الذين ... م ببلاد الترك، المحنين، كتب كتابه السني إلى سلطان فرنجة بالوصية عليهم، ... ذلك الكتاب الأندلسيين نفعا عظيما)(1).

... وصلت أفواج هامة من الموريسكيين الذين خرجوا من موانئ ليفورنة ... ومرسيليا إلى شواطئ كل من إيالة تونس والجزائر، إلا أن حدث اغتيال ...، الفرنسي **هنري الرابع** عام 1610م، وموقف إسبانيا من الحكومة الفرنسية، ... العديد من الموريسكيين يتعرضون إلى المضايقات وسوء المعاملة، ليس فقط ... ف بعض حكام المقاطعات الجنوبية الفرنسية، بل التعدي عليهم ونهبهم من ... ربانيي السفن الذين تعهدوا بنقلهم.(2)

ولعل الرسالة التي بعثها الموريسكي الغرناطي من مدينة الجزائر التي وصلت عن ... مرسيليا إلى صديقه بمنطقة ترخيلو (Trujillo) في 25 جويلية 1611م، غنية

---

(1) الشهاب الحجري، أحمد بن القاسم، ناصر الدين على القوم الكافرين، (تحقيق: محمد رزوق)، الدار ...، 1987، ص49.

(2) M. Francisque, « les morisques en France »,in, Revue d'Histoire Maghrébine, (N ... 56),Tunis,Décembre 1989, pp.154-158.

بالتعبير عن الظروف الصعبة التي واجهها الموريسكيون خلال مرحلة العبور[1]، ونظرا لكثافة الهجرة الموريسكية في المرحلة الأخيرة من الهجرة،فإنها أدت إلى تعبير المقري في كتابه نفح الطيب:(خروج ألوف من أهل الأندلس نحو فاس، وألوف بتلمسان ووهران)[2]

ولجأت السلطات الإسبانية إلى نقل الموريسكيين رأسا إلى السواحل الغربية من إيالة الجزائر، وخاصة وهران والمرسى الكبير وآرزيو ومستغانم، بحيث استغلت إسبانيا فرصة استيلائها على كل من وهران والمرسى الكبير لتسريب الآلاف من الموريسكيين نحو هذه المناطق.

وقد كان من نتائج التركيز المتواصل على وهران والمرسى الكبير في هذه العملية أن ضاقت المدينتان وما جاورهما بالموريسكيين، وتشير تقارير ربابين السفن الذين شاركوا في هذه العملية الكبرى والموجودة بالأرشيف الإسباني بسيمانكا (Simancas)، إلى قوائم ومعلومات هامة حول عدد الموريسكيين الذين تم نقلهم وجنسهم (رجال، نساء وأطفال) ومكان نزولهم بالسواحل الجزائرية.

ومن أهم الموانئ الإسبانية التي تم منها ترحيل الموريسكيين نحو شمال إفريقيا (دانية (Denia)، أليكانت، قرطاجنة (Cartagena)، إشبيلية (Sevilla)، فيناروس (Vinaros)، ألفاكي (Los Alfaques)، بلنسية).[3]

(1) Cardaillac (L), «les Turcs suprême espoir des morisques», in études sur les morisques, Madrid, 1973, pp. 84 – 102.

(2) المقري، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، (نشر وتحقيق، إحسان عباس)، بيروت: دار صادر 1968، ج4، ص 528.

(3) op. cit., p.111. :. C. Benafri

وعلى ضوء المعلومات المتوفرة لدينا حاولنا رسم خريطة توضيحية تمثل أهم الهجرات الأندلسية إلى شمال إفريقيا، وخاصة في إيالة الجزائر ما بين سنوات (1492-1614م).[1]

بعد صدور قرار الطرد الجماعي، استعان الملك الإسباني **فليب الثالث** ببعض الدول الأوربية قصد إنجاح عمليات ترحيل الموريسكيين خارج إسبانيا، ومن بين الدول التي شاركت في العملية، البرتغال وبعض الإمارات الإيطالية ومالطة.

وفي 17 أكتوبر 1609 قاد **المركيز سانتكروز** (ElMarquis de Santacruz) 17 سفينة انطلقت من إسبانيا متجهة نحو وهران وهي تحمل على متنها 3406 موريسكيا.[2]

وبعد أن ضاقت المدينة وما جاورها بالموريسكيين أمر حاكم وهران الكونت دي **أقيلا** (le duc d'Aguillon) بتاريخ 7 أكتوبر 1609م القبطان المركيز **دي سانتا كروز** بقيادة ستة سفن لتحمل 6000 موريسكي، والعمل على نقلهم رأسا إلى المرسى الكبير، وبتاريخ 22 أكتوبر 1609م طلب الكونت دي أقيلا من ربانيي السفن **لويس فراخدو** (Luis Fajardo) **وخوان جيرونيمو** (Juan Doria Jeronimo) بقيادة 7 سفن، لحمل 3000 موريسكي إلى ميناء آرزيو ومزغران، وتفاوض المسؤولون الإسبان مع قبائل المنطقة قصد مساعدتهم من أجل نقل الموريسكيين نحو تلمسان ومستغانم، وكانت هذه القبائل العربية تشمل (أولاد موسى، وأولاد إبراهيم، وأولاد سيدي عبد الله، وبني عامر).[3]

وفي نفس السنة كلف حاكم وهران الكونت **أقيلار** (Comte d'aguillar) القبطان **دون ألفونسو هيرناندو** (D. Alfonso Hernando) بنقل حوالي 599

(1) انظر خريطة أهم الهجرات الأندلسية إلى إيالة الجزائر ما بين 1492-1614م، في ملحق الدراسة.
(2) Lapeyre (Henri), Géographie de l'Espagne morisque, paris, 1959, p57.
(3) C. Benafri, op cit., p.116.

موريسكيا إلى تلمسان، وهذا الجدول يوضح لنا هذه العملية ويوضح لنا من اختلاف جنس وسن الموريسكيين الذين تم ترحيلهم.

أسماء السفن	عدد الرجال	عدد النساء	الأطفال		المجموع
			ذكور	إناث	
Galeras Capitanes	47	43	22	8	**120**
Galeras Patronas	80	100	42	23	**245**
Galeras Molinas	85	88	32	29	**234**
المجموع	212	231	96	60	**599**[1]

ووصلت أعداد أخرى من الموريسكيين بواسطة سفن إسبانية أبحرت من موانئ أليكانت وغراو (Grao) متجهة نحو وهران والمرسى الكبير بتاريخ 5 و6 أكتوبر 1609م، وهي تحمل على متنها حوالي 1791 موريسكي، والجدول التالي يوضح لنا أسماء السفن التي شاركت في هذه العملية، وأعداد المهجرين الموريسكيين حسب الجنس والسن.

	أسماء السفن	المهجرون حسب الجنس	العدد
1	Galeras Capitanes Générales	رجال نساء أطفال ذكور أطفال إناث	64 70 16 20

(1) C. Benafri, op. cit., p.115.

10	رضع			
72	رجال	Galeras Capitanes de los Générales		2
90	نساء			
18	أطفال ذكور			
20	أطفال إناث			
06	رضع			
60	رجال	Galeras patronas Générales		3
76	نساء			
22	أطفال ذكور			
20	أطفال إناث			
12	رضع			
73	رجال	Galeras Descabonas		4
107	نساء			
23	أطفال ذكور			
14	أطفال إناث			
38	رضع			
66	رجال	Galeras de Capitanes del duque de Lerma		5
42	نساء			
28	أطفال ذكور			
30	أطفال إناث			
22	رضع			
40	رجال	Galeras patronade Del duque la Magisted		6
50	نساء			
16	أطفال ذكور			
32	أطفال إناث			
32	رضع			
57	رجال			7

	Galeras de lomelinos	نساء	87
		أطفال ذكور	54
		أطفال إناث	23
		رضع	16
8	Galeras Decigolas	رجال	74
		نساء	90
		أطفال ذكور	10
		أطفال إناث	10
		رضع	12
9	Galeras Oldas	رجال	54
		نساء	31
		أطفال ذكور	23
		أطفال إناث	21
		رضع	20
		المجموع	**1791** (1)

وأثناء انتقال المهاجرين الأندلسيين من وهران إلى المناطق المجاورة تعرض لهم الأعراب في الطريق ونهبوا أموالهم، حيث تذكر بعض المصادر أن بعض القبائل الوهرانية كانت تقوم بأعمال وحشية ضد المهاجرين الأندلسيين، فتشق البطون آملة أن تجد فيها الجوهرات، وتعمل على تجريدهم من أملاكهم، وقد سار على هذا النهج المؤرخ **أبو راس الناصري** في كتابه عجائب الأبصار في حديثه عن المهاجرين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، وما ارتكبته قبيلة هبرة بميناء آرزيو من تعذيب وتقتيل، مما دفع بالشيخ **محمد أقدار التوجيبي** الذي استنهض الشيخ **الحميدة العبد**، وحثه على أن يغزو بعشائر سويد قبيلة هبرة (بين المحمدية وسيق)، حيث أن

(1) op. cit., pp.57-58. . :C. Benafri وقارن عند H.Lapeyre op. cit., pp.117-118.

... بالأندلسيين:(يشقون، بطونهم لما يظنون من ابتلاع نحو الجواهر)[1]، ... المقري:(فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله)[2]

ولم يشر **المقري** إلى عملية شق البطون والتقتيل، لأن أية محاولة لتفسير هذه الرواية على أسس تاريخية لا قيمة لها ولا معنى، لأن كلمة بقر البطون لا يمتّ بصلة الأهالي، فهذا نوع من التزييف والمبالغة، وذلك لما كان يتمتع به الأهالي من ... ورغد في الجزائر قبل المرحلة السابقة لسقوط غرناطة.

إن القبائل الجزائرية في هذه الفترة كانت متحضرة وغير مستعدة للهجوم والبغي على إخوانهم في الدين، وفي هذا الصدد فإن أغلبية الرواة الغربيين و(المغاربيين) في تلك الفترة، يجمعون على أن بعض المدن والموانئ (المغاربية)، قد أساءت استقبال الموريسكيين في وهران وتلمسان، حيث قام البدو بسلبهم وقتلهم.

وقد كتب المؤرخ الأنجليزي **شارل لي** (Lea) حول هذا الموضوع:(لم يكن ... تطوان متسامحين، وقد أضيفت إلى الموريسكيين مأساة جديدة، وهذا إلى ... أن جميعهم لم يكونوا فرحين لعلمهم أن هناك موريسكيين مسيحيين ثابتون ... دينهم قد رجموا أو قتلوا، وهذا نتيجة لرفضهم دخول المساجد، وفي البلاد المغاربية، وكقاعدة عامة، كانت آلام المهجرين شنيعة جدا، وعندما نزلوا بوهران ...وا لتبني خطة إنشاء دولة موريسكية، ولا شك أن الموريسكيين لم يكونوا ... دون الوضعية العامة، إلى أن عايشوا بأنفسهم كره العرب البدو لهم، وأنهم لا ...بون الآن إلا في الرجوع إلى إسبانيا ليموتوا مسيحيين).[3]

---

(1) ابن سحنون، الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، (تحقيق وتقديم): المهدي البوعبدلي، ...، منشورات التعليم الأصلي، سلسلة التراث 1973، ص.: 27-28.

(2) المقري، **المصدر السابق**، ج4، ص528.

(3) شارل، لي، **العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، (تعريب: حسن الكرمي)، بيروت: منشورات ... لبنان للطباعة والنشر 1988، ص 212.

ومهما يكن من انتقاد لهذه الروايات، فإن بعض الباحثين المعاصرين تبنوا مثل هذه المواقف بهذه الفترة الحرجة، محللين إياها بشكل غير متوازن، وهو الأمر الذي جعلهم يرتكزون على الطابع غير الإنساني والسلبي لمواقف بعض الطبقات الاجتماعية للأهالي(1)،وهي الوضعية الناجمة عن الفوضى الإدارية والسياسية للمغرب، لكونها ظاهرة تاريخية قديمة، ومتمثلة في الصراع القبلي ونهب الأملاك، ولم يستطع النظام العسكري العثماني القضاء عليها.

وإذا كان بدو وهران وتلمسان قد نهبوا أو سرقوا أملاك وثروات الموريسكيين الذين حلوا بالساحل المغاربي دون أن يقع القصاص عليهم، فهذا غير معقول، لأن الأهالي لم يكونوا على علم بمأساة الموريسكيين السياسية والدينية، وعلى الخصوص نتائج طردهم من الأندلس، بل تم نهب هؤلاء الموريسكيين بسبب مظاهر الثراء البادية عليهم، ومن هذا المنطلق يطرح التساؤلان الآتيان:

- هل كانت السلطات تعلم بما ارتكبه البدو في حق الموريسكيين؟

- وهل كان هؤلاء واعون بعملية النهب والسلب التي مارسوها تجاه هؤلاء الموريسكيين الذين التجؤوا إلى الساحل المغاربي لالتماس الأمن والحماية؟

إن أعداد الموريسكيين الوافدين على إيالة الجزائر خلال هذه المرحلة، كان أقل إذا ما قورن بمثيله في كل من المغرب وتونس، ونرجحه في رأينا إلى تعرض هؤلاء المهاجرين البائسين للاعتداء والنهب والسلب من طرف القبائل المحلية من جهة،

---

(1) Juan, pennela, «le transfert des morisques Espagnoles en Afrique du Nord», in, les morisques et leur temps, paris, 1983, p 86. وأيضا: Domingnez (A),Vincent:, (B), Historia de los moriscos, vida y tragedia de una minoria, Madrid, biblioteca de la occidente, 1978, pp 225 – 245.

، اا ن ا ا لحكم العثماني بالجزائر على أساس كونها إيالة دار الجهاد ومحور صراع ا م م القوى المسيحية في المنطقة من جهة أخرى.(1)

ومما يلاحظ أن الأندلسيين خلال هذه الفترة كانوا يتعرضون إلى مخاطر كثيرة ، اريقهم إلى الجزائر، ففضلا عن الأضرار التي لحقت بهم من جراء غارات   ات الأعراب وانتشار الأوبئة، نجدهم يتلقون أبشع أنواع التعسف والظلم على أيدي ربابنة السفن الإسبانية، وقد ينتهي بهم الأمر إلى الغرق في البحر كما   لمهاجري سفينتين كانتا متجهتين من قرطاجنة إلى وهران، فغرقتا في وسط البحر في شهر ديسمبر 1609م.(2)

ولعل هذه الظروف الصعبة التي عرفها الموريسكيون الأندلسيون وهم يهاجرون إلى إيالة الجزائر، هي التي دفعت البعض منهم إلى العودة مرة أخرى إلى إسبانيا وإعلان تبعيتهم لملك إسبانيا والتظاهر باعتناقهم المسيحية، مثل الجماعة التي ا بها القبطان **باري** (Barret) من وهران إلى إسبانيا على ظهر سفينته، وهذا ما   ى إلى بعض الكتاب الغربيين بالقول بأن أكثر من ثلثي المهاجرين إلى وهران   لوا العودة إلى الأندلس نظرا للمضايقات التي تعرضوا لها، وهذا فيه كثير من المبالغة والتحيز.(3)

وصاحب الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قدوم جماعات كبيرة من اليهود الذين استقروا بالحواضر الكبرى، وأصبحت الجماعة اليهودية ذات الأصل الأندلسي تشكل طبقة اجتماعية ذات تأثير واضح على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما سنراه في دراستنا حول يهود شبه الجزيرة الإيبيرية.

(1) أبو القاسم ،سعد الله، : المصدر السابق، ج1، ص 141.

(2) H. Lapeyre, op. cit., p 60.

(3) ناصر الدين ،سعيدوني، دراسات العهد العثماني، المصدر السابق، ص 136.

4 -يهود شبه الجزيرة الإيبيرية في الجزائر.

عندما بدأت الحواضر الإسلامية بالأندلس تتساقط تحت ضربات الإسبان المسيحيين، أضحى العنصر اليهودي عرضة للبطش والقتل، وخاصة في سنة 1391 باشبيلية، حيث مارست الأوساط المسيحية أساليب الاضطهاد التعسفي ضدهم[1]، وفي عهد الملكين الكاثوليكين (إيزبيلا وفرديناندو)، صدر مرسوم بتاريخ 31 مارس 1492 يقضي بطرد اليهود من مملكتي قشتالة وأراغون وبعدها من إسبانيا[2]، وعملت محاكم التفتيش على مصادرة أملاكهم وملاحقتهم قصد تنصيرهم.

وتمت مطاردة اليهود حتى سواحل شمال إفريقيا، فقاسى هؤلاء اليهود الويلات من جراء هذه الملاحقة، وذلك من خلال ممارسات محاكم التفتيش الرامية إلى مطاردة اليهود والعمل على تشريدهم وتجريدهم من وسائل رزقهم، حتى ذهب أحد الكتاب اليهود إلى تشبيه التعذيب بتدمير هيكل القدس:(لقد شهدت مظالم هؤلاء الغزاة (الإسبان) الذين قاموا بتعذيب النسوة والأطفال والفتيان كما أحرقوا المعابد والكتب)[3]

عرف يهود إسبانيا أو (يهود الأندلس) في الأوساط العبرية بـــ (الميغورشيم)[4] و(بالكبوسيين) نسبة إلى (الكبوسة الحمراء) التي كانوا يضعونها على رؤوسهم، كما لقبوا (بالسفارديين) Sépharades.

---

(1) André, Chouraqui, les juifs d'Afrique du Nord, Paris, P.U.F, 1952, pp. 74-75..
Maurice, Eisenbeth, le judaïsme nord africain, études démographiques sur les Israélites, Constantine, S.D, pp. 25-37.

(2) حول طرد يهود شبه الجزيرة الإيبيرية راجع : Béatrice, Leroy, l'expulsion des juifs d'Espagne, Paris, ed, Berg international, 1990, p. 174.

(3) B. Cohen et R. Ayoun les juifs d'Algérie deux mille ans d'histoire judaïque, Paris, 1982, p. 378.

(4) هذه الكلمة العبرية مفردها Mégorach، ومعناها الهارب أو المطارد، أطلقت على اليهود الذين فروا من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى شمال إفريقيا، للمزيد من التفاصيل راجع : A. Chouraqui, op. cit., p. 271.

... اضطر اليهود تحت الضغوط والاضطرابات من جراء الاضطهاد الإسباني ... إلى البحث عن مواقع جديدة، لإعادة هيكلة أمورهم في مناطق أكثر أمنا ... استقرارا، مما أدى إلى تجمعهم في المدن الساحلية الجزائرية التي تتوفر فيها الشروط ... لممارسة الوساطة التجارية(1).

ومنذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، أصبحت مدن المغرب الأوسط ... الساحلية (الجزائر، شرشال، برشك، تنس، مستغانم، مزغران، وهران، هنين، ...)، مراكز حضرية تشكل أهم نقاط تمركز الجالية اليهودية بالجزائر(2).

وتشير بعض الدراسات إلى مساهمة يهود إسبانيا في دفع الحركة التجارية ... المغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية، وهذا من خلال نشاطاتهم المالية والتجارية(3).

وقد رحب حكام الجزائر منذ البداية باللاجئين اليهود باعتبارهم عناصر نشيطة في المجال الاقتصادي، حيث جلب اليهود معهم صناعة ضرب العملة وأعمال الصياغة، وسيطروا على نفوذ التجارة بشقيها الداخلي والخارجي بالمغرب الأوسط، ... قبل التواجد العثماني، وأصبح اليهود بالجزائر يشكلون طبقة بورجوازية مميزة في المدن الساحلية، واحتكروا الصنائع والتجارة(4).

وتجمع الدراسات التاريخية على أن الجالية اليهودية كانت قوية خلال العهد العثماني، وأنها كانت تعيش في أهم مدن أيالة الجزائر، وبالأخص مدينة الجزائر،

---

(1) فوزي، سعد الله، المرجع السابق، ص 120.

(2) B. Cohen et R. Ayoun, op. cit. pp. 88-89.

(3) محمد، دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق 1985، ص 22.

(4) نفسه، ص 35.

وقد عملت الدولة العثمانية على استقبالهم بكل حفاوة، وسهلت عملية إدماجهم في حركية اقتصاد الأيالة[1].

بدأ الاهتمام بالجالية اليهودية الأندلسية منذ عهد **خير الدين** بيلرباي الجزائر، الذي رخص لهم في الإقامة الدائمة في مدينة الجزائر مقابل دفع ضريبة[2]، كما رحب سكان الجزائر باليهود الوافدين من إسبانيا وأكرموا مترلهم، ووفروا لهم وسائل الأمن والاستقرار، وهذا حسب تعبير **إيزانبث**:(تمتع اليهود بعطف الحكام المسلمين الذين سمحوا لهم بالاستقرار في بلادهم)[3].

وأغلب المصادر اليهودية تثبت بأن الجالية اليهودية الأندلسية ظلت تشرف على شؤون اليهود القدماء (التوشابيم أو الأهالي)، من ناحية التمثيل المدني والديني، خاصة وأن يهود الأندلس كانوا على صلة وثيقة بالتراث الأدبي العبري في الأندلس، ويلاحظ أنه خلال الحكم العثماني كانت جميع المناصب الحاخامية بيد الوافدين من إسبانيا[4]، فنجد في مدينة الجزائر **إسحاق برفت**[5]

---

(1) F. Braude, op. cit., T2, pp.135-136.

(2) Grammont (H.D de), op. cit., p. 233.

(3) M. Eisenbeth: « les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque (1516-1830) », in, R.A (N°97), 1952, p.152.

(4) محمد ،دادة، المصدر السابق، ص24.

(5) ولد الحاخام إسحاق برفت في برشلونة حوالي 1360م، وتولى منصب الحاخامية في سرقسطة وبلنسية، هاجر إلى المغرب الأوسط عام 1391م، واستقر بمدينة الجزائر حيث انتخب على رأس الطائفة اليهودية حتى وفاته سنة 1408م.

...سيمون سماش دوران[1]، وفي وهران **عمران بن مراوس إفراني**، وفي قسنطينة ... بن منير، و**ميمون بن سعدية النجار**، وفي تلمسان **إبراهيم بن حكوم وإفراييم** ...، وفي بجاية **ابن يامين عمار**.

... معظم المؤرخين إلى **إسحاق برفت وسيمون سماش دوران** على أنهما ... حقيقيان لليهودية في المغرب الأوسط، وهذا من خلال دورهما في إحياء التراث ... اليهود وفي بعث اليهودية من جديد[2]، وتظهر هذه الريادة في حفاظ الجالية اليهودية ... على مركزها الديني وفي التحكم في توجيه المجتمع اليهودي بالجزائر.[3]

... اضطر بعض الحاخامين الأندلسيين إلى محاربة بعض العادات المحلية التي لا ... والعادات الجديدة لليهود الإسبان، مثل موقف الأحوال الشخصية من ... الزواج والإرث، هذه التعاليم استمدت من النظام الطائفي الأندلسي الذي ... ثورة في تقاليد اليهود المحليين.

ويعتمد هذا التنظيم الطائفي على نظام مركزي أحادي القطب، يرتكز على ... واحدة شاملة لجميع يهود الجزائر، يرأسها الحاخام الكبير (رئيس الأمة اليهودية)[4].

وقد كان للجماعات اليهودية الأندلسية بالجزائر هدفان:

- وضع مجلس طائفي يعتمد على نظام الحلخة[5] Halakha، ينتخب وفق ... اليهودية.

(1) ولد الحاخام سيمون بن سماش عام 1361م، هاجر من إسبانيا سنة 1391م ليستقر بمدينة الجزائر، حيث ... فيها حاخاما حتى وفاته عام 1442م.
(2) محمد، دادة، المصدر السابق، ص 27.
(3) نفسه.
(4) فوزي، سعد الله، المصدر السابق، ص120.

- نشر التعاليم الميغورشيمية الجديدة بين التوشابيم[1].

ومما يلاحظ أن الجماعات اليهودية الأندلسية بقيت تحافظ على مركزها الديني، حيث استطاعت التحكم في توجيه المجتمع اليهودي، الذي ظل يتخبط في مشاكله الدينية والمدنية، وكان اليهود الموجودون بتونس وفرنسا وغيرهما من الدول، يستشيرون يهود الأندلس في المسائل القضائية والطقوسية عن طريق المراسلات[2].

وبتقادم الزمن أصبح يهود إسبانيا بالجزائر في حالة جيدة، فهم يملكون العقارات والعبيد، ويزاولون تجارة القوافل، ويتاجرون في الصوف والحرير والنسيج والأصبغة والشمع وريش النعام، والأحجار الكريمة والصياغة والخمور وصيد الأسماك[3].

ومن الواضح أن الجماعات اليهودية القادمة من إسبانيا، تميزت عن اليهود الأهالي ليس من الناحية العددية والمادية فقط، وإنما في الناحية الفكرية والدينية وقد شمل الاختلاف العادات والممارسات الدينية والنطق باللغة العبرية، وعلى هذا الأساس شكلت الجماعات الوافدة من الأندلس مجتمعها الخاص، وعاشت على حدة، فقد عرفوا (بحاملي القبعات)، أما اليهود القدماء فاصطلح على تسميتهم بحاملي العمائم[4].

وعلى الرغم من وجود تعاطف نسبي بين الجماعتين اليهوديتين في بداية الأمر، فإنه لم يحدث اندماج وانصهار بينهما، ذلك أن أفراد الجالية اليهودية الأندلسية كانوا يشعرون بأن اللحمة التي تربط بينهم هي لحمة الجماعات المتنقلة إلى أرض غير أرضها.

---

(1) الحلخة: هي نصوص تشريعية من التلمود (كتاب مقدس عند اليهود، يحتوي على الهوامش والشروح الفقهية)، الممارسات الدينية اليومية عند اليهود.

(2) التوشابيم هم اليهود المحليون

(3) محمد، دادة، المصدر السابق، ص 26.

(0) M. Eisenbeth, les juifs en Algérie , op. cit., pp128-129.

(4) محمد، دادة، المصدر السابق، ص 23.

ولعل من أهم العوامل التي عاقت الاختلاط والامتزاج في بداية الأمر، الفوارق الاجتماعية التي كانت حاجزا يزيد عمقا واتساعا كلما اختلفت الطبقات والثروات والعادات التربية، إذ كان المهاجرون يعدون أنفسهم أرقى حضارة وألطف أخلاقا[1].

وتشير أغلب المصادر اليهودية إلى أن يهود إسبانيا قد جلبوا إلى المغرب الأوسط المال والعلم وكفاءاتهم واستعدادهم الفطري للتجارة والصناعة، وقد جلب هؤلاء اليهود من إسبانيا طاولات القانون المطرزة بالذهب، التي حفظت في معبدهم الموجود في الجزائر لغاية 1962م، كما حافظوا على المخطوطات التي ورثوها عن أجدادهم في إسبانيا[2].

لقد لقيت المجموعات اليهودية المهاجرة أولا إلى المغرب الأوسط استقبالا حسنا، بينما المجموعات الأخيرة، لم تحظ بالقبول وحسن الاستقبال، بسبب تخوف اليهود المحليين من نفوذهم ومصالحهم الاقتصادية، فعملوا على تحريض المسلمين لإبعادهم عن البلاد، كن التدخل المباشر للحاخام **إسحاق برفت** عمل على إقناع اليهود الأهالي بالترخيص للمهاجرين الأندلسيين بالإقامة[3].

ب- الإسهام الحضاري الأندلسي في الجزائر خلال العهد العثماني

بعد صدور قرارات الطرد الجماعي سنة 1609م، توجهت مجموعات كبيرة من الموريسكيين نحو الجزائر قادمة من غرناطة والأندلس وأرغوان وبلنسية وكاطالونيا،

---

(1) نفسه، ص 23-24.

(2) كورين ،شوفالييه، الثلاثون سنة لقيام دولة مدينة الجزائر، (ترجمة: جمال حمادنة)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية، بدون تاريخ، ص 15-16.

(3) Robert, Ayoun, « les juifs d'Oran Avant la conquête française », i,n R.H (N 542), 1982, p 377.

وخلال زيارة الأب دان DAN لمدينة الجزائر عام 1634م، حاول تقدير سكان المدينة ب 100000، وهذا ناتج مما لا شك فيه عن التروح المستمر للأندلسيين(1).

وقد تقاطر الموريسكيون على سواحل الجزائر، مثل عنابة، مستغانم، برشك، القليعة، جيجل وتلمسان، وخلال الهجرة الأخيرة فإن المناطق الساحلية للغرب الجزائري كانت أكثر حظا في استيعاب المهجرين، وخاصة مناطق وهران وآرزيو وسهول متيجة.

والرقم الذي أعطاه الأب دان يدل فيما يبدو على أن مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر أبقت على سكانها في رقم معقول مستقر، وهو ثلاثمائة ألف إلى مائة وخمسة وعشرون ألفا نسمة من أحرار وأرقاء، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الأمريكي **وولف** أن أعداد المهاجرين الأندلسيين نحو مدينة الجزائر خلال هذه المرحلة قد بلغ نحو سبعة آلاف نسمة، حيث يقول: (والثغريون والأندلسيون الذين جاؤوا إلى الجزائر في عائلات لاجئة من الأندلس، وهم في العادة يبلغون سبعة آلاف نسمة(2)

وأما هايدو، فقد ذكر أن حوالي 6000 موريسكي نزح من إسبانيا نحو الجزائر، معظمهم يمتهنون صناعة الجلود وصنع الأسلحة، ويتحولون بسرعة إلى جنود متمرسين للدفاع عن المدينة عند تعرضها للغارات الإسبانية(3).

وتشير مصادر أخرى إلى أن الأندلسيين نزلوا مدينة شرشال وأعادوا بناء عدد من دورها وزرعوا الأراضي بها، ثم صنعوا كثيرا من السفن الملاحية، واشتغلوا

---

(1) DAN (Père),Histoire de la Barbarie et ses corsaires, paris, 1673, p89. .

(2) جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 157.

(3) M. Ravillard,op. cit. T2, p. 145.

... الحرير، بعد حصولهم هناك على أعداد كبيرة من أشجار التوت الأبيض ... فعاشت الجالية الأندلسية في رخاء حتى أصبح عدد المنازل المقامة في ... ألفين وألف بيت[1].

إن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة، جعلت منهم نخبة مميزة في ... السلطات، حيث استفاد الأتراك العثمانيون من خبراتهم ومهاراتهم في شتى ...، وقد أثرت هذه المساهمة في فعاليات التاريخ الجزائري في العهد العثماني، ... راجع بالدرجة الأولى إلى حيوية الأندلسيين، التي اعتبرها أحد الباحثين بأنها ... السيكولوجي في المجتمعات (المغاربية)[2]، ومما يؤكد ذلك شهادة **هايدو** ... نشاطهم الجهادي والعسكري ومساهمتهم الفعالة في تدعيم إيالة الجزائر[3].

أ - الأندلسيون والنشاط الإداري والعسكري:

ساهم الأندلسيون في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر، فقد مدوا يد ... للإخوان **عروج وخير الدين بربروسا** في صراعهما مع الأسبان، ووقفوا ... في محاربة بقايا الإدارة الحفصية وناصروهما ضد الزعماء المحليين، مثل **سالم** ... شيخ الجزائر و**أحمد بن القاضي** أمير كوكو، وكثير من الكتاب يؤكدون على ... الأندلسيين قد أغنوا مدينة الجزائر بكفاءاتهم ومهاراتهم[4].

وتنوه معظم المصادر التاريخية بالدور التاريخي الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون ... المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر (1516-1541م)، حيث ساهموا في

---

(1) ... الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 34.

(2) R. (G), Landa, les morisques op. cit., p210. .

(3) Haedo, Topographie op. cit., p.495.

(4) ... (ب) وولف، المصدر السابق، ص151.

الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الغارات الإسبانية المتكررة. وفي هذا السياق يذكر مرمول بأن الأتراك أرسلوا حوالي 300 جندي من الموريسكيين ذو أصول أندلسية ومدجنية وثغرية إلى مدينة المدية لحمايتها واستتباب الأمن فيها(1).

وتؤكد أرشيفات محاكم التفتيش الإسبانية، على الدور الرائد الذي أدته يومئذ إيالة الجزائر في هذا الصراع ضد إسبانيا الكاثوليكية، ويرجع ذلك أساسا إلى عثمنة الإدارة الجزائرية من جهة، وإلى حسن اختيار المسؤولين الإداريين العثمانيين وحنكتهم من جهة أخرى، هذا فضلا عن الوحدة السياسية والجغرافية التي تمتعت بها إيالة الجزائر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

ويضاف إلى ذلك ما قدمه أفراد الجالية الأندلسية من خدمات إدارية لصالح العثمانيين، فقد اشتهر الأندلسيون بتحصيل الضرائب وجمع موارد الخزينة العامة والقيام بتسجيلها وفقا لتعليمات الإدارة العثمانية بالجزائر، وهذا ما سهل تعامل الإدارة مع بقية عناصر مجتمع الإيالة، وبفضل خبرتهم المالية مارسوا أعمال القرصنة والنخاسة ومبادلة الأسرى والمشاركة الفعالة في تمويل مشاريع القرصنة(2).

وشكل الأندلسيون القاطنون بإيالة الجزائر خطرا كبيرا على أمن الشواطئ الإسبانية، وخاصة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، إذ كانت هجوماتهم مع الأسطول الجزائري تزرع الرعب في قلوب سكان سواحل إسبانيا، وقد عبر أحد الكتاب الغربيين عن ذلك بقوله: (إن الميزة المشتركة لدى الموريسكيين هي أنهم يكرهون المسيحيين، وعندما تسمح لهم الفرصة وتتوفر الإمكانيات، يجهزون سفنا، ويلقون القبض على من في السفن الإسبانية، ويتخذونهم أسرى، رغبة في الانتقام)(3).

---

(1) مارمول، كربخال، المصدر السابق، ج2، ص 214.

(2) Laugier de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Paris, ed, Loysel, 1992, p.69.

(3) كورين، شوفالييه، المصدر السابق، ص14.

... الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري والهجوم المتواصل ضد ... الإسبانية بواسطة الأسطول البحري الجزائري، لمعرفتهم الجيدة للغة ... (الإسبانية) وللأماكن الجغرافية والطرق البحرية، وترجع المساهمة ... في ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن والمعدات وهذا من ... من بقي من المسلمين في الأندلس[1].

... رغم المجهودات المكثفة التي بذلتها إسبانيا لوضع حد نهائي لأي اتصال بين ... داخل إسبانيا والمجاهدين، فإن تبادل الرسائل ظل مستمرا، وذلك ... تدبير عمليات إنقاذ الموريسكيين وإمدادهم بالأسلحة، وهذا ما أكده ... دي ميراند **Compte de miranda** عام 1588م، عندما صرح بأنّ (الموريسكيين يجتازون البحر في الربيع إلى شمال إفريقيا)[2].

... منطقة شمال إفريقيا آهلة بموريسكيي غرناطة وبلنسية وأراغون، وتوجد ... الغابات اللازمة لصناعة السفن الصغيرة التي تتميز بسرعة الحركة والقدرة ... الهجوم، وفعلا فقد انتظم (موريسكيو شرشال في جماعات خاصة تقوم ... بهجمات سريعة وخاطفة على السواحل الإسبانية، إذ بمجرد ما تصل سفنها ... إلى الرمال، ينطلقون نحو الداخل لتخليص الأهالي وأسر المسيحيين الذين ... في سوق الجزائر)[3].

لقد ساعد الأندلسيون البحرية الجزائرية في الهجوم ببراعة على السواحل ... الإسبانية، وتمكنوا من صنع سفن شراعية وفرقاطات من الخشب بشرشال،

(1) Manlai (j),op.cit . p.72.

(2) F. Braudel, « Conflits de refus de civilisation,Espagnoles et Morisques au XVI . Siècle »,in,Annales,E.S.C,octobre décembre(N°4),1947, p. 403.

(3) Idem.

وكانوا يفضلون النزول ليلا إلى سواحل إسبانيا، وهذه إحدى الحيل التي استعملها الأندلسيون في حركتهم الجهادية(1).

وتشير معظم المصادر التاريخية إلى الدور الذي لعبه الأندلسيون الموريسكيون في المرحلة الثانية من تأسيس الحكم العثماني بالجزائر (1614-1830م)، حيث كان هذا التواجد واضحا في الإدارة والجيش خاصة، حيث أن معرفتهم باستعمال السلاح الناري ووحدة هدف هذين العنصرين، جعل منهم فئة نشيطة دائما في الجيش العثماني المؤسس بالإيالة، **فخير الدين بربروسا**، عندما دخل مدينة المدية بعد انهزام حاكمها **محمد بن عابد** عام 1517م(2)، ترك بها إلى جانب الحامية التركية فئة من الأندلسيين، وكذلك لدى دخوله مدينة تنس حيث رافقه ألف جندي انكشاري إلى جانب 500 رجل من أهالي غرناطة وبلنسية وأرغوان، وقد جرت معركة حاسمة قرب سهل الشلف، انهزمت فيها قوات **حميدة العبد**(3).

وتعرض **مرمول** الذي رافق شارل الخامس للحماس البطولي الذي تميز به **حسن** آغا خليفة خير الدين، الذي تصدى لحملة **شارل لخامس** على مدينة الجزائر (1541م) بقوات شكلها 800 جندي من الأتراك والقبائل المحلية وحوالي 5000 أندلسي(4).

---

(1) Haedo, Topographie … op. cit., pp.92-93.

(2) H. Federman : « sur l'histoire de l'administration du Beylik de Titeri », in, R A (N°09), 1865, p. 281.

(3) Haedo,, Histoire, op. cit., p.26 .

(4) ملاحظة: تعاقب على حكم الجزائر بعد خير الدين ابنه حسن باشا الذي تولى هذا المنصب ثلاث مرات بين 1545-1567، الولاية الأولى(1545-1552)، الولاية الثانية(1557-1561)، الولاية الثالثة(1565-1567) وقد اشتد الصراع في هذه المرحلة بين الأتراك والإسبان، وشارك المغرب في هذا الصراع بعد استلام السعديين للسلطة. ونجح الأتراك إبان هذه المرحلة في القضاء على مملكة بني عبد الواد سنة 1554، وحرروا بجاية من الإسبان سنة 1555. للمزيد: راجع: عمار، بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب، الجزائر: دار الأمل، 2006، ج1، ص 46-105.

انظر: مرمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 210.

ان هذا التواجد العسكري نستقيه كذلك من رسالة الملك **فليب الثاني** إلى سفير ... مدريد بتاريخ 6 جويلية 1566م، والتي جاء فيها أنه يوجد بإيالة الجزائر حوالي 10000 جندي جيد التنظيم والتسليح، من بينهم ستة آلاف (6000) موريسكي[1].

وإلى جانب الخدمات الأندلسية في الميدان العسكري، فقد استعان حاكم مليانة حسن **علي** من خبرات 500 أندلسي من مجموع 4000 مقاتل من المشاة، وقد شكل الأندلسيون فرقة الرماة للقضاء على ثورة **الشيخ بوطريق** بإقليم الجزائر[2].

كما شارك الموريسكيون في حملة البيلر باي في حملة حسن قورصو الذي ... الانكشاريون خليفة لصالح رايس في حملته ضد الحاكم الإسباني بوهران سنة 1556م، **ودرغوت رايس** ضد المحمية العسكرية الإسبانية بالمهدية، ويضاف هذا إلى مساهمتهم الفعالة في تسليح وتموين السفن وتكوين الفرق البحرية[3].

ولقن الموريسكيون سكان إيالة الجزائر فنون أوربا، وخاصة في المجال العسكري، وبذلك أصبحت مدينة الجزائر منطقة أسطورية في الدفاع، وتشير بعض الدراسات إلى براعة الموريسكيين في صنع الأسلحة وتحضير البارود وصناعة السفن ... في مدن الجزائر وشرشال وجيجل[4].

كما ساهم الأندلسيون في تقوية الجيش العثماني بإيالة الجزائر بفضل خبراتهم كمقاتلين محترفين، حيث تعتبرهم بعض الدراسات المؤسسين الحقيقيين للإيالة الجزائرية.

(1) Garcia Mercedes,.Arenale, los Moriscos, Madrid, Bibliteca de Visonarios, 1975, pp. 1.. – 178

(2) A. Berbrugger ,« El Hadj Pacha », in,, R.A (N°08), 1864, p. 296.

(3) J. Monlau,op. cit, p. 73.

(4) Garcia (A), Mercedos, los moriscos … op. cit p. 178.

وكان لهم نشاط بحري واسع في مدينة الجزائر، كما برعوا في تجارة الأسرى والغنائم، ولقد اشتهر منهم بحارة (رياس) كثيرون، منهم الرايس **بلانكو** والرايس **أحمد أبو علي** من أشونية **ومراد الكبير** و**جواد يانو** من نيودال **ريال**، وكانوا يعملون في الجهاد البحري ضد الإسبان[1].

وكانت السفن الفرنسية تهاجم السفن الجزائرية في عرض البحر على حين غفلة، وكانت هذه الاعتداءات والمخالفات تسبب الكثير من المشاكل لحكم الجزائر وخاصة في عهد مرحلة الباشوات (1587-1659).

ومما يدل على أهمية النشاط الأندلسي في الأعمال البحرية، أن المعاهدة الفرنسية-الجزائرية لعام 1640م[2]، خصت السفن الأندلسية بالذكر عندما حددت في البند العاشر مسؤولية ما يلحق بالمراكب الفرنسية من خسائر جراء التعرض لها من طرف السفن الجزائرية[3].

وتبدو أهمية الموريسكيين بشمال إفريقيا وبالأخص بإيالة الجزائر، من خلال التقارير الواردة من المنطقة إلى إسبانيا، ففي تقرير سري إسباني عن حالة الجزائر، بعث به من بجاية في 29 مارس 1535م، ورد ما يلي:(يوجد الآن في مدينة الجزائر ألفان (2000) من الأتراك وسبعة أو ثمانية آلاف من مهاجري الأندلس في مدن الجزائر ومليانة وبقاع أخرى وضع بها بربروسا **(خير الدين)** حاميات)[4].

---

(1) محمد عبد الله ،عنان، نهاية الأندلس، ص 388.

(2) هي معاهدة السلم التي أبرمتها فرنسا مع الجزائر بتاريخ 07 جويلية 1640، وتحتوي على 16 بندا.

(3) جمال، قنان: المصدر السابق ص 271.

(4) أحمد توفيق، المدني: المصدر السابق، ص 278-279.

... التحالف العثماني -الأندلسي في هذه المرحلة حدود الإيالة نفسها، ... حاكم إيالة الجزائر آنذاك، **رمضان باشا** (1574 -1577م)، بمساعدة ... عبد **الملك**، لاسترجاع عرشه بالمغرب عام 1576، كان يصاحبه إلى جانب ... الرماية عدد هام من الموريسكيين(1).

... هذه الإشارات التاريخية تدل ولا شك على قوة التحالف ووحدة ... التي ربط العثمانيين والأندلسيين في المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر، ... معظم العائلات الأندلسية المهاجرة إلى إيالة الجزائر، قد لفتت أنظار الرحالة ... الغربيين، وخاصة إذا علمنا أن هؤلاء كانوا يخرجون إلى البحر في أساطيل ... ويغيرون على بلاد الأندلس بمهارة ودراية لا تأتي إلا من معرفتهم بالبلاد.

وعليه فلن نستغرب أن تكون السواحل الجزائرية قد عرفت تطورا سريعا ... بحرية نشطة بفضل هؤلاء الموريسكيين ذوي الأصول الآرغواتية والبلنسية ... كما نال الثغريون شهرة بدفاعهم المستميت وقوتهم ضد محاولات الإنزال ...(2).

ب – الأندلسيون والحياة الاجتماعية:

لا يستطيع الباحث في تاريخ الجزائر الاجتماعي في العهد العثماني، وفي إطار ... الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك المجتمع، أن يغفل الدور الكبير الذي ... الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية بالجزائر العثمانية، إن اشتغال الأندلسيين ... استقروا بمدن الإيالة بالعمل التجاري والحرف المهنية والصناعية، وطلب العلم

---

(1) ... بن حفري، المرجع السابق، ص 33– ويلاحظ أن انضمام الأندلسيين إلى الحملة التركية ساهم في ... الهزيمة بالمتوكل (1573–1575)واسترجاع عبد الملك(1575-1578) العرش السعدي. ينظر: إبراهيم ...، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء: دار الرشاد، 2000، ج2، ص 256–258.

(2) جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 166.

والتدريس، مكنهم من ربط علاقات واسعة وقوية بمختلف شرائح وطوائف المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

وبالرغم من التصنيفات التي نعت بها الكتاب الغربيون الأندلسيين المستقرين بمدينة الجزائر من مدجنين وموريسكيين وتغاربين، فإن الأندلسيين المستقرين بمدن الإيالة، وبالأخص مدينة الجزائر، كانت غالبيتهم تتكون من الفلاحين وأصحاب الحرف والتجارة، عكس العناصر التي هاجرت إلى المغرب الأوسط قبيل الفترة العثمانية، والتي معظم عناصرها من النخب المثقفة والثرية، ويمكن تصنيف الأندلسيين بالجزائر العثمانية إلى ثلاث فئات متميزة حسب نشاطها الاقتصادي ومكانتها الاجتماعية:

فئة الفلاحين: المنتشرين عبر السهول، والتي تمتهن الزراعة وغرس الأشجار المثمرة، وتتمركز في سهول متيجة ومرتفعات الساحل وسفوح الأطلس.

فئة الحضر: المقيمة بالمدن وفحوص دار السلطان والبليدة والقليعة وشرشال، وتمتهن صناعة الأسلحة وتحضير البارود والحدادة والبناء والخياطة وصناعة الفخار والتجارة، كما عمل أفراد هذه الفئة في التوظيف الإداري والديني والعسكري.

فئة البحارين: وكانت تعيش بالقرب من الموانئ، وعلى متون السفن وبأحياء البحرية، وتمتهن زراعة الخضر والفواكه وتعمل في الملاحة، وتشرف على تزيين الحدائق والبساتين[1].

نزح عدد هام من الموريسكيين نحو إيالة الجزائر، خاصة بعد معركة ليبانت عام 1571م وما كان لها من نتائج على دول البحر الأبيض المتوسط، من استيلاء إسبانيا للمرة

(1) ناصر الدين، سعيدوني، الأندلسيون، المقال السابق، ص .166

[illegible] على تونس عام 1573م بقيادة **دون خوان دي استريا** (D. juan de Austria)، ثم [illegible] إلى حظيرة الخلافة العثمانية بعد حملة **قليج علي وسنان باشا** سنة 1574م.

في مثل هذه الظروف الدولية الحاسمة التي شهدتها الإيالة وكل منطقة البحر الأبيض المتوسط، أرسل السلطان العثماني **سليم الثاني** أحكاما إلى بيلر باي الجزائر **عرب أحمد باشا** (1572-1574م)[1]:

فالفرمان الأول الموجه إلى حاكم وقاضي الإيالة بتاريخ 28 جويلية 1571م[2]، يبين [illegible]ف أن جماعة العلم والصلاح الذين قدموا من الأندلسيين إلى الجزائر قاموا بإرسال مبعوث عنهم إلى الدولة العثمانية للشكاية من وضعهم الاجتماعي والاقتصادي بالجزائر، حيث لما طلب هؤلاء العلماء توظيفهم وخاصة في الوظائف الإدارية والتعليمية، رفضت السلطات المحلية تشغيلهم على أساس أنهم جاؤوا من الخارج.

وأمام هذه الوضعية قام الباب العالي بإرسال أمره السلطاني إلى حاكم وقاضي مدينة الجزائر، بإنصاف هذه الفئة من أفراد الجالية الأندلسية على أن يكون التوظيف على أساس الاستحقاق والجدارة، بعيدا عن التحزب ودون مراعاة الموطن الأصلي لهذه الفئة، وهو ما جاء في نص الوثيقة: (قامت جماعة أهل العلم والصلاح الذين قدموا من الأندلس بإرسال مبعوث عنهم على أساس أنه عندما طلب هؤلاء العلماء والصلحاء توظيفهم، فإن الأهالي رفضوا ذلك ومنعوهم على أساس أنهم

---

(1) عين عرب باشا بيلرباي على الجزائر "1572-1574"، بعد الضربة القاضية التي تلاقاها الأسطول العثماني في معركة ليبانت(1571).و هو عربي من مصر، مات مقتولا في سنة 1578 على يد الإنكشارية في جزيرة قبرص التي أصبح عليها واليا في سنة 1577م.حول هذه الشخصية راجع:
Haedo,Histoire…op.cit,pp.154-157.

(2) شكيب، بن حفري، المصدر السابق، ص 48.

جاؤوا من الخارج، وعليه فإن الحكم والأمر السلطاني يكون بإعطاء الوظائف والشغل إلى مستحقيه والجديرين به).

ومن خلال نص الوثيقة نستنتج بعض الحقائق الهامة حول الوضعية الاجتماعية للجالية الموريسكية بالجزائر، خاصة فئة العلماء والنخبة المقيمة بمدينة الجزائر، التي وجدت صعوبة في الحصول على بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء والإمامة والتعليم وغيرها من الوظائف الإدارية والدينية والتي كانت مجالا للمنافسة والمزاحمة من طرف طبقة الحضر المحلية بمدينة الجزائر.

وبالفعل فقد رفضت السلطات المحلية تشغيل هذه الفئة من الأندلسيين خلال هذه الفترة على أساس أنها جاءت من الخارج، ومن هنا يطرح السؤال: لماذا هذا الموقف السلبي تجاه الأندلسيين؟ وعلى أي أساس اعتبرت السلطات هؤلاء الأندلسيين دخلاء في وسط مجتمع الإيالة المعروف خلال العهد العثماني بتنوع أصول طبقاته الاجتماعية؟[1].

يمكننا أن نستشف خلفية هذا الموقف السلبي من خلال فتاوي **الونشريسي** في كتابه المعيار، وخاصة في الفصل الخاص (بالهجرة الأندلسية)، حيث ذكر أنه يرفض خطاب وقضاة المدجنين وذلك لكونهم رضوا بأن يكونوا تحت حكم النصارى[2]، ومن هنا نقتبس عناصر الجواب من كون هؤلاء الموريسكيين قبلوا بالحكم المسيحي والعيش تحت العادات النصرانية، وعلى أساس أنهم تهاونوا عن الهجرة إلى دار الإسلام، مما جعلهم محل شك وتحفظ من قبل السلطات المحلية والأهالي.

---

(1) أبو القاسم ،سعد الله، : المصدر السابق، ج1، ص 146-163.

(2) أحمد، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1981، ج2، ص119.

هذا الموقف يعكس من جديد عمق مأساة الأندلسيين، فهم مسلمون وأتراك ... ومسيحيون أو مسلمون من الدرجة الثانية في (دار الإسلام).

وتشير الوثيقة إلى أن الجالية الأندلسية أرسلت مبعوثا عنها إلى الباب العالي، فهل ... خلال هذه الفترة تنظيم أو وكيل يسهر على حماية حقوقها وتمثيلها أمام ... الإيالة والباب العالي؟ هذا ما سنراه في دراستنا لأوقاف أهل الأندلس.

... يتعرض للأسر نفسه فرمان موجه إلى نفس حاكم الإيالة عرب **أحمد باشا** ... 14 نوفمبر 1573م[1]، حيث جاء مكملا للوثيقة الأولى، فهو يخبرنا بأن ... والمدجنين الفقراء قاموا برفع شكوى إلى السلطان العثماني **سليم الثاني** ... تردي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالإيالة، ورغم أن معظم هؤلاء ... هم أهل علم وثقافة لا يملكون القدرة على العمل في مجالات أخرى، فإن ... وحكام مختلف مناطق الإيالة رفضوا تشغيلهم في الوظائف الإدارية والعلمية ... وكان الحكام يفضلون أهل البلاد عليهم، وعليه فإن الباب العالي أمر إلى ... الإيالة الاهتمام بهذه الجالية التي يسميها بأهل الإسلام وفقراء أهل العلم ... والعمل على توظيفهم وعدم التحيز إلى فئة معينة سواء أكانوا من ... أو من العرب المدجنين، فالوظائف تعطى لمستحقيها لا غير، كما ركز ... السلطاني على أن تعطى الأوامر لهذا إلى قضاة وقياد المناطق التابعة لإيالة ...

ومما يلاحظ من خلال موقف قضاة وحكام الإيالة والسلطات المحلية عموما، ... كانت تفضل تعيين الأندلسيين الذين هاجروا عقب سقوط غرناطة دون غيرهم ... الفئات الأندلسية.

---

(1) ... دفتري رقم 23/حكم 244/تاريخ 19 رجب 981هـ/السبت 14 نوفمبر 1573م

لقد وجدت الفئة الأندلسية المنافسة الشديدة في الوظائف الإدارية والدينية (كالقضاة والأئمة والوكلاء والنظار)، هذه الوضعية الحرجة دفعت بالأندلسيين إلى التذمر، والتي عبر عنها **الونشريسي** في باب الهجرة بقوله: (هؤلاء الأندلسيون الذين هاجروا واستقروا بدار الإسلام، ندموا على الهجرة وسخطوا وزعموا أنهم وجدوا المال عليهم ضيقة، بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة رفقا ولا يسرا وصرحوا بذمهم دار الإسلام وبمدح دار الكفر وأهله والندم على الهجرة[1].

وتكررت مراسلات الباب العالي بشأن الأندلسيين، ففي فرمان أرسل إلى بيلر باي إيالة الجزائر **عرب أحمد باشا** بتاريخ 23 نوفمبر 1573[2]، تعرض إلى شكايات الموريسكيين المتجددة، فهم الذين تركوا الأموال والمتاع ووسائل رزقهم بإسبانيا وقدموا إلى دار الجهاد الجزائر والمناطق التابعة لها، التي أصبحوا فيها فقراء لا يملكون شيئا، زيادة على فرض حكام المناطق لضرائب باهضة عليهم مثل باقي الرعية، وكلفوهم بتكاليف جعلتهم يشتكون من ضيق المعيشة، بل وكانت تؤخذ منهم أجورهم اليومية، بالإضافة إلى تعدي بحارة الإيالة عليهم، والذين أخذوا منهم أموالهم وأمتعتهم، مما جعل الدولة العثمانية تستقر عن هذا الموقف ضد هؤلاء المسلمين الذين خرجوا من دار الحرب (إسبانيا) إلى ممالكنا المحروسة.

لقد أمر الباب العالي بأخذ الحيطة والعمل على أن بأن لا تؤخذ الأمتعة ولا الأجور التي حصلوا عليها، وأن لا يعاملوا على أساس عمال مؤقتين، كما أكد على الكشف والتحقيق عن العناصر التي أخذت من أيديهم أجورهم اليومية، إعادة الأموال والأمتعة لأصحابها، وألا يتدخل أحد في شؤونهم، وكذلك على إعفاء هؤلاء الموريسكيين من دفع الضرائب وكل التكاليف لمدة ثلاث سنوات، حتى يتم

(1) المعيار، ج 2، ص 119.

(2) مهمة دفتري رقم 23/ حكم 284/ بتاريخ 27 رجب 981هـ/ الاثنين 23 نوفمبر 1573م.

استقرارهم واستيطانهم بمناطق الإيالة وبعد أن يكونوا قادرين على دفع الضرائب فإن حينئذ أخذها منهم شأنهم شأن بقية الرعية.

ومن خلال هذا الوثيقة نكشف توافد عناصر جديدة من الموريسكيين على إيالة الجزائر بعد فشل ثورة غرناطة (1568-1570م)، حيث تقدر المصادر التاريخية أعدادهم بحوالي 30000 موريسكي[1].

ظل الموريسكيون بالجزائر يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة، يترقبون الفرص للعودة إلى الأندلس، وقد عزز هذا الشعور تشبثهم بأصولهم وميلهم إلى عدم الاختلاط مع غيرهم من السكان، وهذا ما جعلهم يحجمون عن التزاوج خارج جماعتهم، فالمرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من غير أندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة والفقر إلى ذلك[2].

وقد اشتهرت العائلات الأندلسية باشتغال أفرادها بالتجارة والصنائع، مثل **ابن رامول**، **ابن هني**، **برزوان**، برحال، **بوناتيرو**، **ابن تشيكو**، **ابن الكبابطي**، **ابن الشاهد**، **ابن عمار وخوجة**، ...إلخ[3].

ووصف **لوجي دي تاسي** L. de Tassy[4] الجالية الأندلسية بطبقة الأغنياء في مجتمع إيالة الجزائر، فهم يسكنون المدن ويقيمون في منازل كبرى ويملكون الثروة ويتعاطون التجارة وخاصة تجارة الغذاء[5].

---

(1) Braudel, op. cit., T2, p. 367.

(2) Emerit, « Description de l'Algérie en 1787 par l'officier russe Kokovtsov », in, R.H.M. (N°04), Tunis, juillet 1975, p.213.: وقارن عند .Haedo,Topographie,p.97.

(3)- ناصر الدين، سعيدوني: صورة المقال السابق، ص 238-239.

(4) لوجي دي تاسي: ديبلوماسي فرنسي زار الجزائر ما بين سنوات 1724-1725م.

(5) De Tassy,op. cit., p. 54.

كما ساهم الأندلسيون في مداخيل خزينة الإيالة مثل جماعة الموريسكيين بشرشال التي كانت تتعهد لحاكم الضرائب سنويا بضريبة تقدر ب 60 ألف دوكة، وضريبة أندلسيي مستغانم عام 1570م ب 800 زياني ذهبا و600 قسيمة كبيرة من القمح والشعير و2000 رطل زبده و70 بغلا مهيأ للخدمة(1).

ومن النقاط التي تثير الجدل حول الجالية الأندلسية بالجزائر، هي أن معظم المصادر والمذكرات التي تركها القناصل والرحالة الأوربيون الذين زاروا مدينة الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، عند حديثهم عن أهل الأندلس كانوا يحصرونهم في جماعة الثغريين(2) (Tagarinos).فهم الذين يتعاطون بين الأسرى ويمارسون القرصنة، وهم أصحاب أملاك واسعة وأحوال هامة بالإيالة(3).

فالراهب الإسباني فرانسيسكو خمينث F. Ximénez الذي استقر بمدينة الجزائر ما بين 1714-1718، تحدث خلال زيارته لمدينة البليدة عام 1719م، عن الثغري الموريسكي **مصطفى بن عمار** الذي كان يملك بحوزته 100 رقيق من الأسرى المسيحيين.

وبتاريخ 23 ماي 1714، سجل الراهب وفاة **مصطفى بن عمار** والذي اعتبره من أغنى رجال إيالة الجزائر آنذاك، كما أشار إلى وفاة أحد أساتذة البناء الموريسكي، والذي حضر جنازته حوالي 500 موريسكي ثغري(4)، فلماذا التركيز على فئة الثغريين وحصر الكلام عن الجالية الأندلسية فيهم؟

---

(1) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات العهد العثماني، ص 142.

(2) لقب موريسكيوا مدينة الجزائر في العهد العثماني بالثغريين، والثغر هوالحدود، وربما يكون هؤلاء من سكان منطقة آراغوان، للمزيد من التفاصيل انظر:

Haedo: Topographie op. cit., p. 68 – H. Lapyre: op. cit., p.208.

(3) Brahimi, op. cit., p.39.

(4) Di Quesliti, « Argel, segun et dario inedito de Francisco Ximenez (1718-1720 », in, Revista, Sharq al Andalus, Annales de la universidad de Alicante,(N°3), 1986, pp.179-180.

نستشف عناصر الجواب من نوعية النشاط الذي مارسه الموريسكيون بالإيالة، زيادة على حالتهم الاقتصادية والاجتماعية الميسورة.

ونستنتج أيضا أن فئة الثغرين كانت الأكثر نشاطا والأكثر تحالفا مع السلطة العثمانية بالجزائر، ولعل تسمية إحدى قلاع مدينة الجزائر باسمهم (حصن الثغرين)[1]، وبقاء هذا الاسم الذي يحمله حتى يومنا هذا أحد أحياء مدينة الجزائر، لدليل على بعد الأثر الذي مارسته هذه الفئة الأندلسية بالذات.

كما أن الضعف الوزن السياسي والاجتماعي للجالية الأندلسية لا يعود إلى قلة عددهم بالأيالة، فمعظم المصادر تنوه بتلك الأعداد الهامة من الموريسكيين الذين نزحوا إلى أيالة الجزائر في المرحلة الأخيرة التي ضمت عناصر الجيل الثاني من الموريسكيين (1609-1614م)، الذين شكلت في معظم صفوفهم من عناصر متواضعة (فلاحين، صناع وحرفيين)، فالحالة النفسية عقب النفي ووضعيتهم الجديدة (المجهولة) في الموطن الجديد[2]، دفعت بهؤلاء الوافدين الجدد وخاصة الذين لم يلجؤوا إلى مدينة الجزائر، إلى الانضواء تحت نفوذ الحكام المحليين، فالبحث عن أماكن الاستقرار وتحصيل مصدر الرزق وتأمين وسائل العيش، هي التي كانت وراء امتصاص الوزن الاجتماعي والسياسي لهؤلاء الوافدين الجدد، ثم تلتها مرحلة ثانية تم فيها الاندماج الاجتماعي والثقافي.

---

(1) Devoulx (Albert), « Alger, étude archéologique et topographique sur cette ville aux époques, Romaine, Arabe, Turque », in, R.A, (N°20), 1876,pp.340-342.

(2) حول موقف الموريسكيين من مجتمع الإيالة، راجع: Garcia (A), Mercedes, « Los moriscos del campo de calatrava despues de 1610, segun algunos procesos inquisitoriales », in, Vahiers de Tunisie, T XXVI, 1978, N°103, pp. 173-196.

ومن المؤكد أن الجماعات التي وصلت إلى مدينة الجزائر، قاعدة الحكم العثماني، كانت أكثر تحصنا، وهذا لمؤازرة السلطة وللجالية الأندلسية المستقرة بها [1].

وتذكر بعض المصادر بأن الجفاف الذي حل بمدينة الجزائر وما جاورها ما بين 1611 و1612م، دفع بحاكم الإيالة آنذاك، **مصطفى باشا** (1606-1613م) أمام الأعداد الوافدة من الموريسكيين على المدينة أن أمر هؤلاء النازحين بمغادرة المدينة، وكانت هذه التعليمات وراء خروج الكثير منهم، بينما فضلت أفواج أخرى من الموريسكيين البقاء، وتحملت نتائج القحط والجفاف[2].

وعليه فإن الموقف الموريسكي المؤيد للتواجد العثماني بالجزائر، والمعادية للأهداف التوسعية الإسبانية على السواحل الجزائرية، يعود أساسا إلى إحساس أفراد هذه الجالية بالظلم وتأثرهم بضياع الأندلس، وقد نقل الراهب الإسباني **هايدو** إحدى روايات الأسرى المسيحيين التي تنم عن مشاعر الكره والانتقام الأندلسي منهم:(كل الأماكن والمنازل والشوارع والحقول والبساتين بالجزائر، حيث يوجد الأندلسيون هي في الواقع المسكن الطبيعي للشيطان، إذ لا تسمع فيها إلا الضرب والتعذيب والآلام المتكررة لقتل المسيحيين)[3].

وبسبب هذا العداء المستمر والذي بالغ الراهب في وصفه، هو الذي جعله يثير مسألة خطيرة تتمثل في وقوع حوالي 62 راهبا في الأسر بمدينة الجزائر عام 1579م[4].

---

(1) Mercedes(G.A), Los moriscos … op. cit ,pp. 263-265.

(2) Gramont, (H.D de), op. cit., pp. 150-151

(3) Haedo, Topographie …op. cit. p. 53

(4) Braudel. op. cit., T2, p. 206.

ارتدى الموريسكيون الملابس الإسبانية على غرار المسيحيين الذين فرضوا عليهم تلك الملابس مدة اضطهادهم في إسبانيا المسترجعة، ثم تدرجوا في الاندماج وارتدوا لباس الأهالي، وهذا اللباس المحلي بدوره لم يسلم من التأثيرات الأندلسية.

واتصف أفراد الجالية الأندلسية برقة الذوق في المأكل والملبس والمتاع فهذا الأسلوب في المعيشة توارثوه عن أسلافهم بالأندلس، ففي مجال اللباس استطاع الأندلسيون فرض أذواقهم على غالبية سكان مدن الجزائر والبليدة والقليعة وشرشال وتلمسان، وهذا في العديد من الألبسة، كالقمجة والطوق والفستان والحرمة والفقطان والصدرية[1]والبنيقة[2] والبليغة[3] والشبيكة المرصعة بالذهب، ومن أبرز ما يتباهى به الأندلسيون دلالة على أصالتهم وتميزهم الطبخ الرفيع، فقد عرضت المأكولات الأندلسية بالحلويات والأطباق (الطواجين)، ويتطلب إعدادها حذقا كبيرا وإنفاقا كثيرا لا يقدر عليه إلا العائلات الميسورة، ولا يهون إلا في المناسبات والأفراح، وتغلب عليها الفاكهة.

أما في مجال اللغة والتخاطب، فقد تميزت الجالية الأندلسية في البداية بلهجتها الغرناطية التي كانت سائدة في حواضر الأندلس، وتأثرت بها المدن الكبرى كالجزائر وبجاية وشرشال وتلمسان نظرا لرقة مخارج حروفها وسهولة التلفظ بها[4].

ويلاحظ أيضا انتشار واستعمال مفردات إسبانية مع شيوع تعابير لغة الفرنكا (Langua franca)[5]، والتي عرفت منذ التوافد الأخير للموريسكيين، ويغلب على هذه اللغة الطابع الإسباني، خاصة في مجال العلاقات الخارجية والأعمال التجارية.

---

(1) الصدرية أو البدعية، نقلها الأندلسيون إلى شمال إفريقيا، وقد استعملت لفظة الصدرية في الجزائر بدل البدعية.

(2) دخل هذا اللباس إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة، ويستعمل للحفاظ على زينة الشعر والوقاية من البرد عند الخروج من الحمام، انظر: Hadeo, Topographie op. cit., p. 109

(3) البليغة عبارة عن نعل، وكانت مستعملة في الأندلس.

(4) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات العهد العثماني، ص 145.

(5) هذه اللغة كانت عبارة عن صبير (لغة التعارف بالإسبانية)، وهي خليط من المفردات العربية والإسبانية والتركية والإيطالية، وكانت مستعملة في مدينة الجزائر في العهد العثماني حتى سنة 1830م، ويعتقد الفرنسيون

وظلت بعض العائلات الأندلسية تحافظ على تداول اللغة الإسبانية بالجزائر العثمانية، كما اعتبر هايدو لغة الفرانكا اللغة الثالثة في مدينة الجزائر، ويعتقد أنها أدخلت إلى الجزائر من طرف الجنود البرتغاليين بعد معركة وادي المخازن[1] (4 أوت 1578م).

وكان مهاجرو الأندلس يعيشون وضعا خاصا في الجزائر قبل اندماجهم في المجتمع الجديد نهائيا، فقد كانوا في البداية لاجئين يبحثون عن أماكن للاستقرار ووسائل للعيش والأمن، وبتقادم الزمن استقروا في المدن الساحلية، ومارسوا التجارة والتعليم والزراعة والصنائع المختلفة، ولكن هذه الأعمال لم تمنع من شعورهم بالحاجة إلى التضامن كفئة خاصة، لذلك أسسوا بتشجيع من السلطة التي كانت تتعاطف معهم مؤسسة خيرية كانوا يهدفون من ورائها إلى التضامن فيما بينهم من جهة وإلى خدمة فقرائهم من جهة أخرى.

إن حساسية البعد الثقافي الاجتماعي والاقتصادي بين أهل الأندلس والطبقات الاجتماعية المكونة لمجتمع الإيالة، كانت من العوامل التي دفعت بأغنياء الجالية الأندلسية إلى تأسيس جمعية أشرفت بدورها على إقامة مسجد وزاوية ومدرسة، وذلك في شهر محرم عام (1033هـ-1624م)، وكانت هذه الجمعية الأندلسية مكونة من الأشخاص التالية أسماؤهم: **محمد الآبلي وإبراهيم بن محمد بوساحل والمعلم موسى ومحمد شلالة ومحمد بن العنجدون ومحمد السميح وعلي بن عمر ويحيي الخياط**[2].

=أنها كانت لغة الموريسكيين، راجع:

M. Emerit, « le voyage de la condamine à Alger, 1731 », in, R.A (N°98), 1954, p: 375

وقارن عند: وليم، سبنسر: الجزائر في عهد رياسة البحر (تعريب وتعليق: د. عبد القادر زبادية)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980، ص.85.

(1) Haedo, Topographie op. cit., p.94.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات... المصدر السابق، ج2، ص 46.

وحبس أغنياء الأندلس على ذلك أوقافا داخل مدينة الجزائر وخارجها، لتنفق على شؤون العبادة وتقديم العون لفقرائهم، وكانت هذه الأوقاف تشمل العديد من الأملاك العقارية والأراضي الزراعية، حيث جعلوا **محمد الآبلي**[1] مشرفا عليها والذي أصبح وكيل أوقاف الأندلس[2].

وقد شجع السلطان العثماني **بايزيد الثاني** الأوقاف في الدولة العثمانية، وأسبغ عليها مناعة وحصانة أبعدت عنها أنظار الطامعين وجعلها في مأمن من الضرائب والمصادرات، الأمر الذي أكسب الأملاك العقارية والأراضي الفلاحية والمراعي التابعة للأوقاف، شكل مؤسسة رعاية اجتماعية ومركز تعليمي وديني كان له اليد الطول في رعاية الأعمال الخيرية والمحافظة على الحياة الدينية والثقافية[3].

ويعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، حيث يعبر به الفرد المسلم عن إرادة الخير وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي، وهو شرعة اتبعها المسلمون في بداية أوائل الإسلام، وقد تطور في العهد العثماني نتيجة لاعتبارات سياسية واقتصادية.

وتتجلى أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات، كما أنه مصدر الحياة والنمو للمدارس والكتاتيب والمساجد ولمعيشة العلماء والطلبة، ومن جهة أخرى لعب الوقف دورا

---

(1) Devoulx, « les édifices religieux de l'ancien Alger », in, R.A (N°12) 1868, p.279.

(2) وكيل الأندلس هو المشرف على الأوقاف، لمزيد من الإيضاح راجع: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب الجزائر: (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980م.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م. ص 141.

بارزا في الحياة الاجتماعية لتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة منه[1]، وفي الحقيقة إن كثيرا من الأوقاف كانت مشتركة بين الحرمين الشريفين والأندلس أو بين الجامع الأعظم بالجزائر وفقراء الأندلس.

وكان الأندلسيون يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري وخصوصا لدى العثمانيين، حتى أن بعضهم كان يعين على أوقاف حنفية عثمانية مثل **حميدة الأندلسي**، الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات[2]، ومثل **سليمان الكبابطي** الذي عينه **خضر باشا** وكيلا على أوقاف جامع سوق اللوح[3].

ويقدم لنا الجدول التالي بعض المعلومات المتعلقة بأملاك المؤسسات الخيرية، ويعطينا صورة عن مدى الدور الحيوي الذي لعبته الأملاك في النظام المالي تحت الرعاية المادية والأدبية للخزينة العامة، ومعلوماته مركزة على مدينة الجزائر دون سواها من أقاليم الإيالة في العهد العثماني.

المؤسسات الخيرية	عدد الأملاك الموقوفة	عدد المساجد والأضرحة التابعة لها	مدخولها السنوي	نفقتها السنوية
سبل الخيرات	119 بناية	/	16000 ف ف	14583 ف ف
أوقاف المرابطين	/	19 ضريحا	/	/

(1) أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص225-227.

(2) ينسب بعض الكتاب وانشاء مؤسسة سبل الخيرات إلى شعبان خوجة التركي سنة 1584م، واهتمت هذه المؤسسة بالإشراف على المساجد الحنفية.

(3) أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 237-238.

والأولياء				
أوقاف أهل الأندلس	40 بناية	61 مكانا دينيا	5000	/

ومن خلال ذكر الأوقاف الخاصة بالأندلسين والمشتركة بينهم وبين الحرمين الشريفين وعامة الناس، يتضح لنا أن أوقاف الأندلسين تأتي في المرتبة الرابعة من حيث الأهمية وعدد الأوقاف ومقدار دخلها، فتتفوق عليها أوقاف الحرمين الشريفين التي تستحوذ على ثلاثة أرباع الأوقاف كلها وتضم 1558 ملكية مردودها السنوي يقدر ب 43222,70 فرنك فرنسي، وبعدها تأتي أوقاف الجامع الأعظم في الدرجة الثانية، إذ تحصى ب 548 وقفا، وفي المرتبة الثالثة تدرج أوقاف سبل الخيرات التي ينفق منها على المساجد الحنفية والتي تشرف على 331 وقفا، مدخولها السنوي لا يقل عن 180000 فرنك فرنسي في السنوات الأولى للاحتلال، وبعد ذلك تأتي أوقاف الأندلسين لتحتل المرتبة الرابعة، فقد كانت تتصرف في السنوات الأولى للاحتلال في 40 ملكية و61 عناء (كراء) توفر دخلا سنويا لا يقل عن 4000 فرنك، وتراوحت مصاريف أوقاف الأندلسين خلال الفترة الممتدة من 1836 إلى 1841م بين 18736,20 ف و72515 ف، في حين بلغ فائض مردود هذه الأوقاف خلال نفس الفترة 19979,19 ف[1].

وتبقى وثائق الوقف رغم ما تتصف به من توزيع جغرافي غير متكامل وتغطية زمنية غير كافية، الوسيلة المثلى والمصدر الأساسي للتعرف على واقع الحياة الداخلية بالجزائر في العهد العثماني.

(1) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات، المصدر السابق، ج2، ص57-58.

وتتوفر الجزائر على غرار الولايات العثمانية على رصيد زاخر من الوثائق الرسمية المحلية العائدة إلى الفترة العثمانية، وهي محفوظة بمركز الأرشيف الوطني الجزائري، وتقتصر هذه الدراسة على سلسلة المحاكم الشرعية، وهي رصيد هام، حيث يضم ثلاثا وخمسين ومائة علبة، ويحتوي معظمها على أزيد من مائة وثيقة، وهي تخص في معظمها مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها وبعض المدن الأخرى، كالبليدة والقليعة ومليانة، أما اللغة المستعملة فهي اللغة العربية[1]، والأخبار التي تتضمنها الوثائق في مجال الحياة الاجتماعية متنوعة، من ذلك العلاقات ضمن الأسرة الواحدة، كما تكشف لنا عن الذهنية السائدة وقتذاك، كاستفادة المرأة من ممتلكات الآباء، وتتيح لنا التعرف على أعمال البر والتضامن والتكافل والتآزر.

وإذا كانت التركات تعرفنا بالثروة المخلفة عن المتوفي، مما يسمح لنا دون شك بدراسة مستوى الثروات وهو أمر في غاية الأهمية، فهي تعكس لنا شتى مظاهر الحياة المادية التي التي كان يحياها الفرد من بساطة ورفاهية، وتطلعنا على الممارسات الاقتصادية والاجتماعية للفرد، كالثروة الموظفة في تأثيث البيت وتلك الموظفة في الميدان العقاري، وفي هذا السياق فإن الحرة فاطمة بنت أحمد الغبري قد خلفت ثروة تقدر ب 17,173 دينارا بتاريخ 1681م، وأوصت بثلثها إلى فقراء الحرمين الشريفين وفقراء الأندلس[2].

وبعد وفاة المذكورة **فاطمة**، لجأ أمناء بيت المال[3] إلى تقويم ثروة الهالكة وتصفية تركتها بدءا بتنفيذ وصيتها، فأعطي الثلث من حساب 1500 دينارا إلى شقيقها محمد، وما تبقى كان حبسا للفقراء المذكورين في الوصية.

---

(1) عبد الجليل ،التميمي، "فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 2، تونس، جويلية 1975، ص 134-150.

(2) سجلات المحاكم الشرعية، علبة، 34، وثيقة 2-1ف.

(3) تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للإدارة الإسلامية بالجزائر، تدعمت في العهد العثماني وأصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل والأسرى، وتتصرف في الغنائم وتشرف على إقامة المرافق العامة، وتتولى تصفية التركات، وكان يشرف على هذه المؤسسة موظف يعرف ببيت المالجي، ويساعده قاضي يلقب بالوكيل.

كما ورثت ابنتها **آمنة بنت المرحوم الحاج مصطفى الأندلسي نصف التركة**، و**العاصب محمد** ثلثا واحدا، وأوصت المرحومة بحبس الثلث من الثروة المخلفة على أن تكون أربعة أتساع 4/9 لفقراء الحرمين، وخمسة أتساع 5/9 لفقراء الأندلس، ومن هنا نلاحظ أنه عندما تجمع الوصايا يعطى لفقراء الحرمين الثلثان وثلث واحد يعطى لفقراء الأندلس، وهذا يدل على أن فقراء الحرمين كانوا أشد فقر من غيرهم، وشهد تصفية التركة وتسوية الإرث كل من **محمد السعدي بن محمد التواتي** و**محمد ابن محمد** وبحضور **حسين** قاضي مدينة الجزائر.

ومما يلاحظ أن الوثيقة شملت جزأين، هما الصدر والحاشية، فصدر الوثيقة تعرض لوصية **فاطمة** وتصفية التركة على مستحقيها، بينما تعرضت الحاشية إلى تحبيس آمنة على ولدها **الحاج محمد الشريف أحمد بن الحاج علي** ما قيمته 4657 دينارا، وأمرته بتنفيذ وصية المرحومة أمها بخصوص الوقف الخيري الحاصل للفقراء المذكورين.

وأشرف **الحاج عبد القادر بن علي الغبري** على شؤون نظارة أوقاف الفقراء المذكورين، ويبدو مما لا شك في ذلك، أن هذا التكليف المزدوج في رعاية الأوقاف يدل على المكانة الرفيعة التي وصل إليها علماء وشرفاء أهل الأندلس في مجتمع الجزائر زمنئذ، إذ نصت الوثيقةعلى أن: (كله مبين ومفسر في رسم بعدالة بيت المال وقف عليه شهيدا وأراد الوارثان المذكوران وناظر الفقراء المذكورين وهو السيد **الحاج عبد القادر** في حق فقراء الأندلس وفقراء الحرمين الشريفين، لاستنابة ناظري أوقاف الحرمين الشريفين إياه فيما ستؤدي إليه التفاصل في متروك الهالكة)[1].

---

(1) س.م.ش، علبة، 34، وثيقة 2-1ف

وتطلعنا تركة **عائشة بنت أحمد** حويجات المتوفى، أنها خلفت حانوتين أحدهما كائن بالخضارين والآخر بالفكاهين قرب شارع باب عزون، وكانا فيما سبق لابن **الشريف الخضار وابن العباد**، واختص الحانوتان بنشاط التجارة وبيع الصابون، وقد ورثت **فاطمة بنت علي** الصباغ الحانوتين المختلفتين عن أمها **خديجة بنت الحاج محمد الحجام**، ورصدنا من خلال الوثيقة، تنفيذ **فاطمة** لوصية جدتها **خديجة** بإعطاء ثلث التركة لبيت المال، والباقي يوزع حسب الفريضة، حيث أخذت **فاطمة** النصف 1/2، والثلث رجع إلى أبناء **الحاج محمد الخياط بن علي الحجام** زوج **عائشة** عن طريق الوصية أيضا، وهم **الحاج عمر والحاج علي وعزيزة**[1].

وكما هو معروف فإن الوصية في عرف الفقهاء عقد يوجب حقا في ثلث مال عاقده يلزم بموته أو نيابة بعده، وهي مشروعة بنص الكتاب والسنة والإجماع، وبعد تسوية الإرث، اشترى **الحاج علي بن حسن الأندلسي** صانع الشواشي الحانوتين بثمن قدره 2800 دينار، وأشهر على نفسه بأنه حبسها لفائدة فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة وفقراء الأندلس، مناصفة بينهما، وجعل الناظر على فقراء الحرمين الحاج **محمد بن سالم**، والناظر على فقراء الأندلس كلا من **الحاج يحيي الخياط وابن محمد الأندلسي**، إذا نصت الوثيقة على أنه: «اشترى مكان الناسك ابن الحاج على صانع الشواشي ابن حسن الأندلسي الحانوتين الاثنين بحدودهما وحقوقهما وفي كافة حقوقهما ألف دينار اثنتان دينار كلها جزائرية ثم أشهر المسمى الحاج علي المذكور به على نفسه أنه حبس على فقراء الأندلس القاطنين المحروسة الجزائر وعلى الفقراء القاطنين بالحرمين الشريفين مكة والمدينة وأذن المحبس

(1) س.م.ش، علبة 16 مكرر.

المذكور الحاج **يحيي الخياط** وكيل فقراء الأندلس في التاريخ **وابن محمد الأندلسي**، السيد الحاج **محمد بن سالم** وكيل فقراء الحرمين الشريفين»[1].

وتمكن **علي طوليض** الأندلسي من تحبيس دار وجنينة بمليانة وبحيرة بفحص ...روشة قرب مليانة والمحاذية لوادي بوتكتون، لصالح فقراء الحرمين الشريفين، وهذا بتاريخ شهر ذي الحجة من عام 1152هـ/1739م[2] إن قضية التركات ...لتسي هي الأخرى أهمية قصوى، إذا تطلعنا على الواقع المادي الذي كانت تحياه شرائح مختلفة في مجتمع مدينة الجزائر العثمانية، إذ نصت وثيقة على أن **السيد عبد القادر ابن الحاج عبد الرحمن** المعروف **بابن العطار**، أوقف دارا على ابنتين، **ديرومة وآسية**، وعلى زوجته **الزهرة بنت إبراهيم**، وفي حالة زواجها ينتقل نصيبها من ذلك لأولادهما[3].

وقلد الموصي ما ذهب إليه الإمام الأعظم **أبو حنيفة النعمان**، حيث حدد الأطراف المستفيدة من المحبس، إذ يعود إلى شقيقه **إبراهيم** وذريته، وفي حالة انقراضهم يرجع المحبس المذكور إلى شقيقه **نفسه**، وبعد ذلك يؤول المرجع لصالح فقراء الحرمين الشريفين، والشطر الآخر يعود إلى فقراء زاوية الأندلس بالجزائر، ونستنتج من هذا المحبس أن الموصي كان حريصا على أن يكون الوقف في العائلة في أي حال من الأحوال[4]، ونقرأ في أحد العقود الشرعية أن جماعة من شرفاء الأندلس وهم **علي التواتي الحاج ابن الناسك الخير**، والحاج **ابن محمد بن قاسم**، **والناسك ابن ابن قاسم**، قد تملكوا دارا بمدينة الجزائر بتاريخ 1073هـ/1663م عن

---

(1) س.م.ش، علبة 16 مكرر.
(2) س.م.ش، علبة 34، وثيقة 163-34ف
(3) س.م.ش، علبة 5-1.
(4) نفسه.

طريق الشراء بثمن قدره 6000 دينار ذهبية، وحبسا المنزل لفائدة فقراء الحرمين وفقراء الأندلس مناصفة بينهما[1] .

ويتضح لنا من خلال وثائق المحاكم الشرعية عدم اقتصار الأندلسيين على تخصيص الأوقاف على فقرائهم، وعدم الاكتفاء بمشاركة ذويهم فيما كانوا يحسبونه، بل عمدوا إلى وقف أملاكهم لفائدة فقراء الحرمين الشريفين، وذلك للمكانة التي كانت تحظى بها الأماكن المقدسة بالحجاز.

وتكشف لنا الوثائق مدى إسهام الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية والثقافية بما حسبوه من ممتلكات وعقارات على المؤسسات الدينية والثقافية، ونوه الباحثون بالأهمية التي تكتسيها دراسة الوثائق الشرعية الخاصة بالوقف في الكشف عن جوانب عديدة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع ما.

ويمكننا التعرف بواسطة وثائق وقف الأندلسيين على ثرواتهم ومختلف الأنشطة التي مارسوها ومستوى المعيشة التي كانوا عليها، وذلك بحصر الأموال التي أنفقوها في شراء العقارات وامتلاك المحلات التجارية، أو التي كانوا يدفعونها مقابل استغلالهم لبعض الأوقاف.

كما يتضمن الوقف أخبارا ذات صلة وطيدة بالحياة الاقتصادية من ذلك العمليات المتداولة وقتذاك وأسعار الجنات والمنازل، ومن الصعوبة بمكان أن نضع قائمة جامعة لأصحاب هذه العقارات لصعوبة حصر ذلك لكثرتها، وتكفي الإشارة إلى أن الباحث كلما تمتد يده إلى سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة بالأرشيف الوطني الجزائري إلا ويجد فيها العديد من الوثائق المتعلقة بهذه الأوقاف والعقارات

---

(1) س م ش، علبة 1، 47.

طريق الانتفاع بها، فبالمحكمة يتم تسجيل عقود البيع والشراء والأحباس، بل ويتم إضفاء الشرعية على تلك المعاملات.

وفي هذا السياق نشير إلى أن **سنان بن عبد الله** اشترى ثلاثة حوانيت، حيث حبس حانوتين لصالح جامع القصبة حيث مرقد الوالي الصالح **سيدي رمضان** بمدينة الجزائر، وجعل المشرف على الحبس السيد **سعيد بن علي الأندلسي**، والحانوت الثالث حبسه لفائدة جامع السيد داخل مدينة الجزائر، وجعل المشرف على ذلك خطيب الجامع المذكور **أبا عبد الله محمد بن حسن التركي**[1]، وثقة أهالي الجزائر في تولي أفراد الجالية الأندلسية الإشراف على أحباسهم ورعاية شؤونها تدل على المكانة الاجتماعية المميزة التي وصل إليها الأندلسيون في العهد العثماني.

ومن استقراء سجلات المحاكم الشرعية، والقيام بعملية التتبع لأسماء الأماكن والشوارع والأحياء التي كان يقيم بها الأندلسيون ولهم فيها عقارات وأوقاف، يستطيع الباحث أن يقف على مدى انتشار أفراد الجالية الأندلسية على خريطة مدينة الجزائر، وكيف أنهم أصبحوا يلعبون دورا في بنيتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد كان هذا الدور في مجمله إيجابيا ومؤثرا.

إلا أن أوقاف أهل الأندلس ما لبثت أن اضمحلت وتلاشت وتناقص مردودها، ولم يعد يستفيد منها عام 1837م سوى 71 فردا ينتسبون إلى أفراد الطائفة الأندلسية، كما تعرضت زاوية أهل الأندلس إلى الهدم من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1843م[2]، وصدر قرار من طرف السلطات الاستعمارية بتاريخ 1

(1) س.م.ش، علبة 32، وثيقة 32-111ف.

(2) مرسوم 1 أكتوبر 1843م نص في مادته الثالثة على رفع صفة المناعة عن الحبس، واعتبره مندمجا في قانون المعاملات التجارية التي تهم الأوروبيين

أكتوبر 1844م، يقضي بإخضاع الأوقاف للمعاملات التجارية، ونزع صفة المناعة عنها، ولكن ماجعل حدا نهائيا لأوقاف الأندلس بالجزائر.

ومن الملاحظات الأولية التي يجب تسجيلها من خلال دراستنا للعقود الشرعية ما يلي:

أولا: تعرفنا وثائق الوقف على أسماء العديد من رجال العلم وموظفي السلك الديني من الأندلسيين وغيرهم من وكلاء ونظار وفقهاء، وعلى سبيل المثال نذكر اعتمادا على الوثائق الموجودة بأيدينا أسماء بعض هؤلاء الأعلام: **الحاج عبد القادر ابن الحاج الغبري** ناظر أوقاف الأندلس سنة 1681م، **والحاج يحيي الخياط** وكيل فقراء الأندلس سنة 1568م، والمشرف على فقراء الأندلس السيد **ابن محمد الأندلسي والسيد محمد بن علي الأندلسي** وكيل الولي **الصالح سيدي عمر التنسي**، **وأبو عبد الله محمد بن حسن التركي** إمام جامع القصبة، والحاج **محمد بن سالم** ناظر أوقاف الحرمين الشريفين سنة 1662م، **وحسن القاضي والحاج محمد بن عبد الرحمن.**

ثانيا: تعرفنا وثائق الوقف على نوعية النشاط الاقتصادي لأفراد الجالية الأندلسية بالجزائر، وتعطي لنا فكرة عن الأعمال التجارية والحرف والصنائع، وهذا ما يمكن استنتاجه من الألقاب الحرفية التي كانت تضاف إلى أسماء الأعلام أو المتخرجة من الحرف الوادة في الوثائق، ونذكر من ذلك، مهمة الخياطة والعطارة والحدادة، والحياكة والحرارة وصناعة الشواشي، ومن خلال وقوفنا عند الأسماء والألقاب المهنية التي صاحبت أسماء الشهود والمشرفين على البيع والأحباس، استطعنا رصد بعض الألقاب التشريفية التي وصف بها أفراد الجالية الأندلسية، ولا بأس أن نشير إلى البعض منها كالمنعم والمكرم والأجل والناسك والعلامة والأبرار وفضلاء الأندلس والعظيم وفضل الخير وغيرها من الألقاب.

ثالثا: تعطينا وثائق الوقف صورة عن الحياة الاقتصادية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، لما ورد فيها من أسماء الأسواق، مثل سوق المقايسة وسوق الفكاهين وسوق الخضارين وسوق الكتان وسوق الشواشي.

رابعا: إن القراءة في عقود التحبيس الخاصة بوثائق الوقف تسمح لنا برصد الملكيات العقارية والاطلاع على المالكين وعلى كيفية توزيعها ضمن الشرائح الاجتماعية، وتمكننا من التعرف على طوبوغرافية المدينة وعلى معالمها من أسواق ومرافق عامة، في غياب الخرائط والأوصاف الدقيقة في كتب الإخباريين(1)، وإنه لمن الأهمية بمكان التنويه بالدقة التي روعيت من قبل الموثقين في تحرير العقود مما لا يدع مجالا لأي التباس أو غموض، ويرجع الفضل في هذا إلى الطريقة المتبعة في تحديد مهنة الواقف والموقع (المكان) والأطراف المستفيدة منه والغرض من الوقف، ومن هنا نستنتج أن أصول التوثيق كانت دقيقة في المجتمع الجزائري في العهد العثماني بالمحاكم الشرعية، والوثائق التي اشتملت عليها المحاكم الشرعية، قد حددت الدور الذي أضحى يلعبه الحاكم الشرعي، أي القاضي بالمدينة، فهو قاضي الأحوال الشخصية والوصايا والعتق والقائم على الأحباس والمشرف على البيع والشراء والهبات(2).

خامسا: تتعرض الوثائق الشرعية للحبس من مختلف جوانبه سواء كان أرضا زراعية أو ملكا عقاريا، كما تنص الوثائق على كيفية التعرف على الوقف والإصلاحات التي يتطلبها والنفقات التي يستوجبها، مع إثبات مقدار الدخل الذي

---

(1) عائشة ،غطاس، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة إنسانيات، وهران، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد 3، 1997، ص 72.

(2) نفسه، ص 71.

يوفره الحبس، وتحديد الوصايا وتسوية الإرث، زيادة على ذلك ذكر المحبس ومرجعه والمنتفع به والمشتغل به المشرف عليه والتاريخ الذي يعود إليه[1].

سادسا: من استقراء المصادر المعاصرة لفترة الحكم العثماني في الجزائر، وسجلات المحاكم الشرعية التي كانت قائمة خلال هذه الفترة، تستنتج أن الجالية الأندلسية أصبحت قوة لا يستهان بها، وأصبح لها دورها في توجيه سياسة النظام الإداري في المدينة، وقد اكتسب الأندلسيون هذه القوة نتيجة لعاملين أساسيين:

الثراء الضخم الذي أصبح عليه كثير من أفراد هذه الجالية وبخاصة من فئة التجار وأصحاب الحرف.

وانتماء كثير من أفراد هذه الجالية انتماء عضويا إلى النخب العثمانية والتمتع بامتيازاها المادية والأدبية، وقد وصل هذا الانتماء إلى حد الارتباط الاجتماعي والتزاوج والمصاهرة.

ومن بين النتائج التي يمكن استخلاصها من دراسة أوقاف أهل الأندلس بالجزائر في العهد العثماني ما يلي:

لم تعرف الأوقاف توسعا ملحوظا وانتشارا واسعا بالجزائر إلا أثناء الفترة العثمانية، وقد ساعدها على ذلك انتشار الروح الدينية وسياسة الحكام، وتأثير رجال الدين والمرابطين.

وبفضل عوائد الأوقاف تمكن حكام الجزائر من إيجاد حلول ملائمة لتسيير الشؤون الثقافية، التي ما كان لها أن تتم لولا مداخيل الأحباس التي كانت تساهم

---

(1) للمزيد حول سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، راجع: عائشة،غطاس، المقال السالف الذكر، ص 71-81.

في نفقات التعليم وسد حاجة العلماء والطلبة، والتكفل بأجور المعلمين والقائمين على شؤون العبادة بالمساجد والزوايا وصيانة الأضرحة.

كانت الأوقاف خير مساعد لتخفيف شقاء المساكين والفقراء والمحتاجين، بما كان لهم من صدقات وإعانات.

وحدت من المظالم والأحكام التعسفية للحكام، حيث كان الوقف يوفر وسيلة فعالة للمحافظة على الثروات والأملاك والأراضي الموقوفة.

ويفضل الوقف تمت رعاية وصيانة المرافق العامة، مثل العيون والسواقي والآبار والطرق.

كما أدى الوقف إلى إقرار حدود الملكيات الزراعية التي تعتمد على العقود الشرعية[1].

ج – الأندلسيون والحياة الثقافية:

لم يقتصر الموريسكيون الأندلسيون على التأثير على النشاط الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية بإيالة الجزائر فحسب، بل كان لهم دور مهم في ميدان التعليم ومجال الفن ونمط العمارة.

ونلاحظ أن توافد الأندلسيين إلى الجزائر وخاصة (دار السلطان) عمل على تعميق الإحساس بالانتماء العربي-الإسلامي لدى السكان الذي ساعد على توطيد وتدعيم مكانة الفقهاء في المدن وزيادة نفوذ المرابطين بالأرياف، وذلك منذ فترة متقدمة تعود إلى مبادرات علماء وصلحاء أهل الأندلس بالمغرب الأوسط.

(1) ناصر الدين، سعيدوني: دراسات في الملكية العقارية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986، ص101-106

وقد ارتقى العديد من الأندلسيين في الوظائف الإدارية والدينية كالقضاء والإمامة والنظارة، واشتهر منهم ابن النيقرو وابن الكبابطي، كما سارعت النخبة الأندلسية إلى تأطير مجموعتها من خلال تخصيص الأوقاف للإنفاق على المحتاجين من أبناء جلدتهم للمحافظة على نفوذها في أوساط الأندلسيين، ولإظهار نفسها للحكام العثمانيين بالجزائر على أنها الحليف الطبيعي لهم في حربهم ضد الإسبان[1].

وعلى الرغم من أن الهجرة الأندلسية المتأخرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين فإن غالبيتها لم تكن من ذوي الثقافات الواسعة التي تماثل مستوى الهجرات السابقة من حواضر الأندلس، إلا أنها ضمت من بين أفرادها بعض العلماء والصلحاء الذين تعاونوا مع الفقهاء والمرابطين من أهل الجزائر، مثل سيدي **أحمد بن يوسف** دفين مليانة سنة 951هـ/1524م، كما دعي بعضهم إلى الجهاد لطرد النصارى من السواحل، وكانوا عونا للسلطة العثمانية بالجزائر[2].

و لم يتوقف نشاط صلحاء وعلماء الأندلسيين عن إثارة الحماس والدعوة إلى الجهاد، بل تعداه إلى الأعمال الخيرية والخدمات التعليمية في رعاية شؤون الناس، مما زاد من تقدير السكان لهم، فأصبح الوالي الأندلسي **سيدي فرج** محل تقدير، وتحول ضريحه بعد موته إلى مزار، ونال **سيدي يعقوب الشريف** الزبوج القرطبي مكانة لدى سكان الأطلس البليدي، فتحول ضريحه إلى مكان للزيارة والتبرك بالقرب من سطوح الشفة سنة 927هـ/1521م، **وسيدي أحمد الكبير الأندلسي** الذي أيد **خير الدين بربروسا**، وأصبح محل تقدير من قبل سكان البليدة، **وسيدي**

(1) ناصر الدين، سعيدوني: صورة ...،المقال السابق، ص239

(2) ناصر الدين، سعيدوني: الأندليسون، المقال السابق، ص 119.

علي بن مبارك الأندلسي الذي التف حوله المدجنون بالقليعة، وبعد وفاته، نسبت الكرامات إليه، حيث ظلت سلالة هذا الولي تحظى بالتقدير لدى الناس.

لقد احتكر الأندلسيون ميدان التعليم واحترفوا مهنته بالجزائر في العهد العثماني، ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم، كما ساهم التراث الأندلسي في الميدان العلمي في تلقين السكان طرق وأساليب علمية أندلسية من تصانيف في مختلف العلوم النقلية والعقلية، فعمل أهل الأندلس على تجديد طرق التدريس، وطوروا أسلوب تلقي المعلومات التي تجاوزت الطريقة المغربية التقليدية، التي كانت تعتمد على حفظ القرآن واستظهار الحديث النبوي، إلى طريقة البحث والتفكير والاعتماد على أسلوب المحاورة والمناقشة، كما عمل الأندلسيون على نشر خطهم حتى ساد على الخط المغربي، ويمكننا تسجيل الفروق في المناهج التعليمية بين الأندلسيين والمغاربة عموما استنادا على ما أورده **ابن خلدون** في هذا الصدد:(ولم يتصل سند التعليم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية)[1].

أما في مجال تعليم الأطفال من لدن الأندلسيين والمغاربة، فيورد:(فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، لا من حديث، ولا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب، وأما أهل الأندلس فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب .وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة)[2].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة: ط 6، بيروت، دار القلم، 1989، ص431.
(2) نفسه، ص 538.

ولا تكاد المؤسسات الثقافية بالجزائر في العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزوايا والمكتبة، لهذا ساهمت الجالية الأندلسية بإنشاء الزوايا والمعاهد وخاصة في مقاطعة الجزائر (دار السلطان) ومن أشهرها:

زاوية أهل الأندلس الملحقة بالمسجد بحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر، وقد ظلت هذه الزاوية منذ إنشائها سنة 1639م مقصد للعلماء والطلاب، وأشرف عليها الكثير من النظار والفقهاء الأندلسيين أمثال **محمد بن محمد الآبلي، ومحمد العنجدون ومحمد السميع ومحمد بن بكير** وغيرهم.

زاوية **سيدي أحمد الكبير** الأندلسي بالبليدة.

زاوية سيدي علي بن مبارك بالقليعة.

كما ساهم الأندلسيون في نشاط الزوايا ببلاد القبائل مثل زاوية **الشيخ محمد التواتي** ببجاية[1].

وأما في الميدان الفني، فقد نشط الأندلسيون الحياة الفنية بإيالة الجزائر من خلال الموسيقى التي طوروها عبر الموشحات والأزجال المالوف[2].

وتناول الغناء الأندلسي وصف الطبيعة والمولوديات والإخوانيات التي تعكس النموذج الأندلسي المغربي، الذي حافظت عليه الأجواق المحلية بالجزائر والبليدة وشرشال وبجاية وتلمسان.

---

(1) ناصرالدين، سعيدوني: الأندلسيون المقال السابق، ص 120.

(2) المالوف الأندلسي: اخترعه زرياب، وهو فن تلحيني على نظام النوبات، للمزيد راجع: أحمد سفطي: دراسات في الموسيقى الجزائرية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1988. ويرى المؤرخ طالبي، أن المالوف المعروف بالمغرب العربي، لم يأتي به الموريسكيون لأن هؤلاء كانوا يجهلون اللغة العربية، انظر: محمد طالبي: "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، جويلية–أوت 1975، ص. 64-78.

وغلب على الموشحات قصائد المدح (المولوديات) ومن أشهر روادها **أبو العباس أحمد بن عمار الأندلسي** (ت 1766م)، **وعمر بن محمد بن سيدي علي الأندلسي** (ت 174و1م)، **ومحمد بن الشاهد الأندلسي** (ت 1793م) والذي عرف بترديده لموشحات **ابن سهل وابن زهر ولسان الدين بن الخطيب**(1).

وكانت الموشحات تنشد بالآلات الموسيقية في المواسم الدينية والحفلات والسهرات العائلية، وقد تفنن سكان دلس وشرشال والبليدة والجزائر والقليعة وتلمسان بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية كالعود (الكويترا) والرباب والقانون والكامنجا، أو الصوتية كالقصبة والزرنة والغايطة، أو الإيقاعية كالطبل والدف والطبيلة والطار والدربوكة، وعمل الأندلسيون على تحسين معظم هذه الآلات(2)، ولعل أعمق تأثير خلده الأندلسيون في الجزائر هو حدث الموسيقى، ومما لاشك فيه أن استيطان العناصر الأندلسية ببجاية، هو الذي جعل منها مدينة تشبه إشبيلية في شغفها بالموسيقى(3) وانصرافها في الطرب.

وحافظ سكان تلمسان على جانب كبير من التراث الموسيقي الغرناطي، حتى أن كلمة غرناطة بتلمسان صارت مرادفة لكلمة موسيقى، ففي تلمسان اشتهر **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب الأندلسي** (ت 1776م) بنظم الموشحات وتلحينها، وقد نسب إليه نظم حوالي 3034 قطعة شعرية (مالوف) معظمها في مجال المدائح النبوية (المولوديات)(4).

(1) ناصر الدين، سعيدوني: الأندلسيون،المقال السابق، ص121.
(2) وليم، سبنسر، المرجع السابق، ص101.
(3) طالبي، محمد، المقال السابق، ص 73.
(4) ناصر الدين ،سعيدوني، دراسات العهد العثماني، ص 144.

د – الأندلسيون والنشاط العمراني:

وفي مجال العمارة، فقد تميزت أماكن تجمعات الأندلسيين بمدن وفحوص الجزائر والبليدة وشرشال والقليعة ودلس بطابع عمراني خاص، فاستعمل الأندلسيون القرميد بدل السطوح المستوية التي كانت شائعة قبل حلولهم بالجزائر الغربية، كما عرفوا أيضا باستعمال الزخارف والمجصصات والتفنن في بتشكيلها وترخيمها، ولعل أحسن صورة لرقي هذا الفن على يد الأندلسيين نجدها مائلة للعيان بمساجد الجزائر وتلمسان، مثل **الجامع الكبير** (530هـ/1136م) **وجامع سيدي بلحسن** (696هـ/1296م) **وجامع العباد** (739هـ/1338م) هذه المساجد التي لا زالت محاريبها تشهد على تفوق المهندسين الأندلسيين في مجال فن الزخرفة والنقوش والكتابة[1].

أما المنظر الخارجي للمنازل الأندلسية، فهي تتميز بطلاء أبيض ناصع بمادة الجير الذي اشتهرت به مدينة الجزائر التي عرفت (ببلد الجير)، ويستخدم القرميد الأجوف الأحمر أو المائل إلى الزرقة في تغطية المنازل، كما هي الحال في مدن البليدة وشرشال والقليعة ودلس، وأدخل الأندلسيون بمدن الجزائر نمطا جديدا من العمارة، يعتمد أساسا على وجود ساحة عامة، ومنها تنطلق الشوارع المستقيمة.

ويرى الباحث التونسي **سعداوي** أنه من مميزات المدينة الموريسكية بالمغرب العربي تماثل الفضاءات العمرانية التالية:

تخطيط منظم للطرقات والعمل على توسيعها بشكل مستقيم.

إقامة ساحة عامة في وسط المدينة بمثابة الصعب الذي تنطلق منه الشوارع.

---

(1) نفسه.

البعد الديني للنشاط العمراني من خلال بناء المساجد والمنارات وإقامة الحمامات والأسواق[1].

وتوصل الباحث التونسي في بحثه في الفضاء العمراني الموريسكي إلى أن هذا النموذج يعمل على إقصاء النمط العمراني البدوي الذي عرفه المغاربة في البناء، وأن المدة التي شيد فيها الموريسكيون ما شيدوه تشبه في نهضتها الجديدة ما أنجزه الرومان سابقا في شمال إفريقيا[2].

ومن الإنجازات العمرانية الأندلسية، شوارع مدينة البليدة القديمة[3]، وتأسيس الموريسكيين لحي الأبيار بالجزائر سنة 1610م[4]، ويرجع الفضل لإسهامات **سيدي معزوز** المري في تطور عمران مدينة مستغانم، بالإضافة إلى تشييد مدرسة مدينة مازونة من طرف الشيخ محمد بن الشريف البولداوي.[5] وتفنن الأندلسيون في تشييد الأسبلة، حيث أنجز **الخشاش** الأندلسي إحدى هذه الأسبلة بمدينة الجزائر[6] عام 1579م، كما ساهم هؤلاء الأندلسيون في إنشاء قناة لجلب مياه عيون بير طريلية على عهد عرب **أحمد باشا** سنة 1573م، لتأمين مياه الشرب للجزء الشمالي من مدينة الجزائر المهددة آنذاك من طرف الأساطيل الإسبانية، ويبلغ طول هذه الساقية 1700م[7].

---

(1) Ahmed, Saadaoui, Etablissement des moresques andalous au Maghreb, son impact sur l'urbanisation et la vue urbaine, D.E.A, Paris, 1984, pp.40-43.

(2) Ibid, p. 44.

(3) trumelet (c), Blida, récit selon la légende, la tradition de l'histoire, Alger, 1887, p.102.

(4) M. Ravillard, op. cit., T2, p. 146.

(5) Belhamissi, Mazona, une petite ville, une longue histoire, Alger, SNED 1982, p. 49.

(6) Haedo Topographie op. cit., p. 383.

(7) ناصر الدين، سعيدوني،"من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م، ص72.

ومن أشهر مظاهر الشبكة المائية في العهد العثماني، إنجاز ساقية الحامة على يد أحد المهندسين الأندلسيين يعرف ببساطة **موسى** الذي أنهى العمل فيها عام 1610 - 1611م، في ولاية قوصة **مصطفى باشا** الذي حكم الجزائر في فترتين متقاربتين (1605 - 1607م و1610 -1613م)، ومنبع الساقية يبعد عن مدينة الجزائر ب 4300م[1].

ومما تجدر الإشارة إليه هو دور الأسبلة والمنشآت المائية بصفة عامة في المجتمعات العربية الإسلامية منذ عهودها الأولى حيث كانت إحدى مميزات حضارتنا، فهي تؤكد على المرامي السياسية والدينية والأهداف العمرانية والاجتماعية في انتصاب المرافق العمومية.

وتعتبر الأسبلة إحدى نماذج العمارة الأندلسية بالبلاد المغاربية وبالرغم من المساهمة الفعالة للأندلسيين في إيالة الجزائر طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر فما لبث أن ضعف التأثير الأندلسي مع مستهل القرن الثامن عشر، حيث اندمج العنصر الأندلسي مع بقية السكان في مطلع القرن التاسع عشر.

والملاحظ أنه ابتداء من أواسط القرن الثامن عشر، فإن الأخبار عن الجالية الأندلسية تكاد تكون معدومة، فكتابات الرحالة الأوربيين أمثال **فانتور دوبارادي** (Venture de Paradis)[2] (1788-1790م) **وبايصونال**[3] (Peysonnel)

(1) نفسه.

(2) Venture, de Paradis, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, (présenté par Joseph Cuoq), Paris, ed, Sindbad, 1983, p. 292.

(3) J (A), Peyssonnel, Voyages dans les régences de Tunis d'Alger, présentation et notes (Lucette Valencia), Paris, ed la découverte, 1987, p. 267.

وديسفونتان[1] (Des fontaines)، وكذا تقارير القناصل الذين زاروا الجزائر أمثال الطبيب الإنجليزي شاو (Shaw)[2]، فهذه المصادر لم تعد تذكر الأندلسيين على أنهم عنصر متميز في المدن، فهم كغيرهم من سكان المناطق، يحملون اسم المور (Maures)، وأصبحوا يصفون الأندلسيين ضمن طبقة الحضر بإيالة الجزائر، ولم يبق العنصر الأندلسي محافظا على نسبه كما كان في السابق، ولم يعتز بأصوله، سواء تلك العائلات الأندلسية الثرية أو تلك العناصر التي تعاملت بقوة مع السلطة العثمانية.

ولم يستطع الموريسكيون بالجزائر الاتصال المباشر باسبانيا خارج العلاقات الديبلوماسية والتجارية، بسبب تفوق الأساطيل الأوروبية على القوة البحرية الجزائرية، وظل الحكم العثماني ينظر إلى الموريسكيين المستقرين بالجزائر على أنهم لا يختلفون عن باقي سكان الإيالة[3]،وكان انكماش المدن بالإيالة والبليدة والقليعة وشرشال باديا بفعل انتشار الفقر وظهور الأوبئة وانعدام العناية الصحية، وانخفاض مستوى المعيشة، وتكرر حدوث المجاعات بمقاطعة الجزائر، وما نتج عن تقلص سكان المدن، كان سببا رئيسا في اندماج العائلات الأندلسية في بقية الطوائف.

ويرجع السبب في تلاشي العنصر الأندلسي بمدن إيالة الجزائر إلى ضعف نشاط أفراده في الميدان المالي، نتيجة مضايقة واستبداد الحكام الأتراك وقادة الجيش، وهذه العوامل حددت من إمكانيات التطور الاجتماعي والاتصال القائم على مبدأ العمل والمبادرة الفردية للجالية الأندلسية.

---

(1) R (L), Desfontaines, Fragments d'un voyage dans les régences d'Alger et de Tunis, 1785-1786, Paris, !958.

(2) Thomas, Shaw (D), Voyage dans régence d'Alger, Traduction par S Mac Carthy, paris, 1834, p. 405

(3) M. Emerit, le voyage op. cit., p. 376.

بالإضافة إلى انغلاق الطائفة التركية على نفسها، ومنافسة جماعة الكراغلة الأهالي، وضغط القبائل المحلية والجماعات الريفية على الوسط الحضري بالمدن، حيث تمركزت الجالية الأندلسية، وشيوع البداوة، كلها أمور عملت على طمس المساهمة الأندلسية في مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية[1].

وعلى الرغم من أن الاسم أندلسي (Andalous) يحمله أفراد الجالية، فإن اختلاف مصادر الثورة، ونوعية النشاط الممارس، ومراحل ومكان الاستقرار، والتوزيع الجغرافي بالجزائر، كانت كلها عوامل جعلت عند الحديث عن الأندلسيين بالجزائر، لا يكتسي نفس البعد من التشابه والمضمون لدى التحدث عن العناصر الأندلسية بتونس أو المغرب الأقصى.

وعليه، فإن العنصر الأندلسي بإيالة الجزائر، وبالأخص في مقاطعة الجزائر، قد ساهم بنشاط اقتصادي اجتماعي وحضاري مميز، وكان له تأثير واضح خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

---

(1) سعيدوني، ناصر الدين، النظام المالي...، المرجع السابق، 1985، ص 226.

القسم الثاني:

حرية الاعتقاد عند الموريسكيين الأندلسيين بين إزدواجية مراقبة محاكم التفتيش والهجرة

لم تكن المحاولات الحثيثة للسلطات القشتالية النصرانية لتنصير مسلمي الأندلس قسرا، طيلة القرن 16م، كافية لتشفي غليل رجال الكنيسة و تضع حدا لجرائمهم ضد المسلمين الذين سقطت آخر دولهم بشبه الجزيرة الأيبيرية سنة 1492، و أجبروا جميعا على اعتناق الكاثوليكية ابتداءا من سنة 1502م. فرغم الترسانة الرهيبة من القرارات والنقاط التنظيمية الهادفة لإدماج الأندلسيين في المجتمع النصراني القادم غزوا من الشمال، ورغم بطش محاكم التفتيش وإرهابها لمن حافظ على الإسلام ولو خفية، فقد بقيت التعاليم و المظاهر الإسلامية قائمة في المجتمع الأندلسي بشكل أرّق سلطات الاحتلال الإسباني وجعل مشروع كثلكة إسبانيا غير قابل للتطبيق في ظل وجود أحفاد للمسلمين يرفضون رفضا قاطعا اعتقاد النصرانية، بل و يرفضون حتى التشبه بالنصارى في أبسط أمورهم كالقذارة و نبذ النظافة مثلا.

استمر الوجود الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا على طول أكثر من تسعة قرون متتالية، وقد كان هذا الوجود مصحوبا بقوة سياسية عسكرية طوال القرون الثمانية الأولى(منذ فتح الأندلس سنة 92هـ/711م حتى سقوط غرناطة في سنة 897هـ/1492م)، ثم أصبح هذا الوجود متمثلا في بقاء مجموعات كبيرة من المسلمين منتشرة في شتى أنحاء إسبانيا حاملة لتسميات مختلفة : المدجنين Mudejares أولاً ثم الموريسكيين Moriscos بعد ذلك[1].

---

(1) حدد المؤرخ الإسباني ميكال دي إيبالزا وجود ثلاثة مراحل للإطار الديني والاجتماعي للأندلسيين من وجهة نظر القانون الإسباني، وتشمل المراحل التالية:

- مرحلة المدجنين: قبل التعميد القسري(1502-1525).

ولم يكن لهؤلاء سلطة سياسية ترعى شؤونهم، وإنما ظلوا مجرد رعايا يخضعون للسلطة المسيحية، ويتعرضون لشتى ضروب الاضطهاد، حتى صدرت ضدهم في النهاية قوانين الطرد الجماعي فيما بين سنتي 1609-1614م، وحتى بعد هذا التاريخ بقيت مجموعات كبيرة من هؤلاء الموريسكيين متظاهرة بالتنصر وإن احتفظت بعقيدتها الإسلامية في الباطن، ويدل على ذلك ما احتفظت لنا به وثائق كثيرة لمحاكمات قام بها ديوان التفتيش Inquisicion ضد من اتهموا بالحفاظ على الإسلام وراء ستار من اصطناع المسيحية. وترجع آخر وثائق هذه المحاكمات إلى تاريخ سنة 1729[1].

سقطت غرناطة (آخر قلاع المسلمين في إسبانيا) سنة 897 هـ/1492م، وكان ذلك نذيرًا بسقوط صرح الأمة الأندلسية الديني والاجتماعي، وتبدد تراثها الفكري والأدبي، وكانت مأساة المسلمين هناك من أفظع مآسي التاريخ؛ حيث شهدت تلك الفترة أعمالاً بربرية وحشية ارتكبتها محاكم التحقيق (التفتيش) لتطهير إسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين، وإبادة تراثهم الذي ازدهر في هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان.

1 – محاكم التفتيش: المراقبة والتعذيب.

ظهرت فكرة تأسيس محاكم التفتيش[2] منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حيث كان البابوات يعهدون إلى الأساقفة بمعاقبة المارقين والملحدين. وتأسست هذه

= – المرحلة الموريسكية: اعتبر فيها المسلم متنصراً أو مسيحيا رديئاً، ونعتتهم الكنيسة بالهراطقة(mauvais chrétiens).

– مرحلة الطرد النهائي(1609–1614)، وهي مرحلة عودة الأندلسيين إلى ديار الإسلام، للمزيد راجع: حنيفي ،هلايلي، الموريسكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 1999، ص15–17.

(1) لعبت محاكم التفتيش دور الحارس الأمين على المصالح الأسبانية وهي تلاحق الموريسكيين وتطاردهم أينما كانوا، وقد شبهها أحد الباحثين الأسبان، بأنها كانت تمارس بيداغوجية الخوف والقهر. انظر: Bartolomé,Bennassar: l'inquisition espagnol XVé -XIXé siècle,Paris, Hachette,1979, pp.72-101

(2) بلغت البيبليوغرافيا الخاصة بدراسة محاكم التفتيش سنة 1963 حوالي 1950 عنوانا.

الدواوين في إسبانيا خلال عهد الملكيين الكاثوليكيين إيزابيلا وفرديناندو (1474-1516)، فكانت أولى المحاكم في إشبيلية وقرطبة وجيان وبلد الوليد سنة 1482، والتي تابعت اليهود وفرضت عليهم التنصير، وفي سنة 1483 أصدر الفاتيكان براءة تقضي بإنشاء مجلس أعلى لمحاكم التفتيش تشرف على شؤون الدين الكاثوليكي[1].

وبفضل جهاز محاكم التفتيش أضحى الموريسكيون عبيدا بدون سيادة، وبدأت عمليات الاستيلاب الثقافي والتغريب بعد مصادرة أملاكهم، وتؤكد وثائق محاكم التفتيش أن روح المعاهدة التي بموجبها سقطت غرناطة (25 نوفمبر 1492/21 محرم 897هـ)، لم تحترم بنودها التي وقعت بين الطرفين، بل سرعان ما تنكر لها الطرف المسيحي، وبدأ المسؤولون السياسيون والدينيون الإسبان، وهم المنغلقون دينيا وحضاريا على أنفسهم، والمؤمنون بوجوب محاربة كل ما هو غير كاثوليكي، في عملية جديدة، تقضي ليس باسترداد ليس المدن فقط، بل أيضا باسترداد روحي وحضاري لكافة سكان المملكة.

وصف ريشليو - كاردينال فرنسا ورئيس وزرائها في عهد لويس الثالث عشر - عمل إسبانيا في إبادة العنصر العربي الإسلامي في الأندلس وطرد جميع من تبقى منهم فيها عامي 1609و1614 بأنه أكثر ما عرفه التاريخ في جميع عصوره من أعمال القسوة والبربرية[2] .

ويصعب إعطاء تاريخ محدد لنشوء محاكم التفتيش، لكن فكرة التحقيق في العقائد الكنسية الرومانية ظهرت في وقت مبكر، فخلال المجلس الكنائسي الثالث في لتران Latran سنة 1179 أصدر البابا **ألكسندر الثالث** أمراً بمتابعة المارقين وحجز ممتلكاتهم،[3] ويرجع تأسيس محاكم التفتيش بإسبانيا إلى عهد الملكيين الكاثوليكيين، إذ تحصلا على براءة من الفاتيكان، فأنشئت محكمة التفتيش الأولى في اشبيلية سنة 1480.

(1) Guy, Testas et jean Testas,L'inquisition, que sais-je,Paris,PUF,1964,p.7.

(2) أسعد، حومد: محنة العرب في الأندلس، ط2، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1988، ص5.

(3) Guy Testas et jean Testas,op.cit,p.7.

وبدأت مشروعها في قشتالة ضد اليهود المتنصرين، فطاردت ألوفا منهم. وبعد صدور قرار التعميد الإجباري ضد الأندلسيين سنة 1502 أصبحت محاكم التفتيش تتابع الموريسكيين بصرامة. ففي وصية **لفرديناندو** إلى **شارل الخامس** نجده يأمره:« بضرورة اختيار محققين أكفاء ومخلصين للكاثوليكية وتضييق الخناق على طائفة محمد — عليه الصلاة والسلام[1].

لقد وزعت محاكم التفتيش قائمة مفصلة لكل المظاهر التي تنبئ عن اتباع ملة الإسلام من طرف الموريسكيين، وفتح باب الوشاية بهم من طرف العناصر الإسبانية، والجدير بالملاحظة أن أملاك الكنيسة ومحاكم التفتيش تأسست أساسا من الأحباس والإستيلاء غير الشرعي على أملاك الموريسكيين.

ولهذا الغرض وزعت محاكم التفتيش بيانا كاشفا عن مظاهر اتباع الدين الإسلامي للوشاية بأصحابها، وفيه:

((إذا تم الاحتفال بيوم الجمعة، وإذا احترموا تعاليم الإسلام الخمسة، وإذا تزوجوا على النهج المحمدي، وإذا غنوا الأغاني العربية، وإذا غسلوا موتاهم ولفوهم في كفن، وإذا سمعنا أن الدين الإسلامي هو الأحسن وأنه لا يوجد غيره للوصول إلى الجنة.))[2].

وقد تسبب هذا البيان في محاكمة الآلاف من المتّهمين الذي وقعوا في فخ الوشاية والحقد والانتقام، وحكم عليهم بالسجن والجلد والإسترقاق والتهجير، وكان من مظاهر مأساة الموريسكيين إجبارهم على تغيير أسمائهم العربية بأخرى مسيحية، وقد وجد هذا المظهر في سجلات محاكم التفتيش، بحيث اكتشف أمر

---

(1) شارل، لي، ص125.

(2) لوي، كاردياك: الموريسكيون الأندلسيون، المجابهة الجدلية (1492-1640)، (تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي)، تونس- الجزائر: الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1989، ص114- 115.

موريسكية واسمها لويزا الأزرق التي اختلط عليها أسماء زوجها وأبنائها السبعة على أن تناديهم بأسماء لاتينية أمام أعضاء محاكم التفتيش فأحرقت وهي حية[1]، كما أصدرت محكمة التفتيش بغرناطة في سنة 1526 البيان التالي:((نطالب من الآن فصاعداً كل الجراحين والأطباء والأشخاص المرخص إلا لهم بألا يقوموا بقطع مقدم عضو أي شخص دون إذن من الأسقف أو الحاكم، وكل من يخالف ذلك يعرض إلى النفي من المملكة[2].

لقد أقرت محاكم التفتيش قطع الموريسكيين عن جذورهم وهويتهم الثقافية وذلك بالقضاء على نظامهم الإجتماعي انطلاقا من قمة الهرم، أي سحق الزعماء والمتضلعين في شؤون الإسلام. وبسبب تعنت الموريسكيين وتشبثهم بالهوية الإسلامية ورفضهم لكل محاولات الإدماج، هو الأمر الذي جعل المؤرخ الفرنسي برودال يصر على «أن المشكل الموريسكي هو صراع ديني، وبمعنى آخر صراع حضاري يصعب حله، فهو مدعوا لأن يستمر»[3].

وكان دور المرأة الموريسكية أساسيا في رفض اندماج مجتمعها في المجموعة المسيحية، فقد لعبت دورا مشرفا في مواجهة محاكم التفتيش، ذلك أنها مثلت الحارس الأمين للقيم والتقاليد الاجتماعية منها والدينية.فإيزابال كالافار Isabel Calavara أحرقت لأنها لم تخبر عن والدها وأختها، وهي في العشرين من عمرها، ومن النساء من شنقن أنفسهن أو رمين بأنفسهن في البئر، أو قطعن ألسنتهن كي لا يبحن بأسرار العائلة عند الاستنطاق والتعذيب[4]،وفي البيت كانت المرأة

(1) أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية الأندلسية حول دين وهوية الموريسكيين الأندلسيين ومصادر وثائقهم، تقديم: عبد الجليل التميمي:تونس، 1984، ج1، ص59-69.

(2) نفسه، ج2، ص191.

(3) Fernand, Braudel,op.cit,T2,p.118.

(4) Jeanne Vidal,Quand on brûlait les morisques (1544-1621),Nîmes,1986,p.165.

الموريسكية ضامنة للطعام الحلال وإحياء الأعياد الدينية ومتكفلة بتعليم أبنائها تعاليم الإسلام. وفي بعض الأحيان كانت تعقد اجتماعات سرّية في بيتها لتعليم القرآن وقواعد الإسلام مثلما فعلت خوانا لوبيز Juana Lopez[1].

وبلغت نسبة الموريسكيين المقدمين لمحاكم التفتيش لغاية 1533 حوالي 3.3% . ويمكن تصنيف الأعمال المرتكبة من طرف الموريسكيين والمعاقب عليها من طرف محاكم التفتيش إلى ما يأتي: الوضوء- الطهارة- الصلاة- صوم رمضان — الاحتفال بيم الجمعة — عدم شرب الخمر — عدم أكل لحم الخنزير — قراءة كتب عربية — القول بأن الإسلام هو الأصلح — ختان الأطفال — الزواج على الطريقة الإسلامية[2].

والمتتبع لمسار سياسة محاكم التفتيش تجاه الجالية الإسلامية، يلاحظ تطبيق قوانين صارمة منها :

- منع الآباء من تلقين أبنائهم شعائر الإسلام.
- إجبار الصغار والكبار على حضور الحفلات الدينية في الكنائس.
- تحويل المساجد إلى كنائس.
- إنشاء مفتشية تدقق في أموال ومداخيل الموريسكيين وعقاراتهم.
- مصادرة الكتب[3].

كما صدرت عدة إجراءات وتدابير تتعلق بمحاولة إدماج الطفل الموريسكي في المجتمع الإسباني، وهي محاولات لقطع صلة الأطفال الموريسكيين عن هويتهم الإسلامية، وتتمثل في الأساس من :

---

(1) لوي، كاردياك، المرجع السابق، ص 72.
(2) الأرشيف الإسباني المتعلق بملفات محكم التفتيش بلنسية،مدريد، قضية رقم : 799.
(3) نفسه

- منع الموريسكيين من ختان أطفالهم.

- منع تسميتهم بأسماء عربية.

- تسليم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات وخمسة عشر سنة إلى السلطات الإسبانية قصد تلقينهم مبادئ المسيحية[1].

2- التقية أسلوب المواجهة الجديدة.

بعد عمليات التنصير القسري (1502)، لجأت الجماعات الموريسكية إلى تأسيس جمعيات سرية، واستمر الفقهاء في تأطير تنظيماتهم الاجتماعية، وكانت محاكم التفتيش في مقابل ذلك ترفض وبشكل قاطع كل أشكال الحوار والجدال مع المسلمين. لذلك رخص الإسلام للمسلمين، بعدم إظهار الواجبات الدينية في ظروف قاهرة أو خشية مضرة كبيرة بالشخص[2].

اتبع الموريسكيون أسلوبا جديداً لمواجهة المد المسيحي يعتمد أساسا على مبدأ التقية، وقد عبر بهذا الصدد الشهاب الحجري الأندلسي: «وكانوا يعبدون دينين: دين النصارى جهراً ودين المسلمين في الخفاء (خفية)، وإذا ظهر على أحد شيء من عمل المسلمين، يحكم فيه الكفار الحكم القوي، يحرقون بعضهم كما شاهدت من عشرين سنة قبل خروجي منها»[3].

(1) العروسي الميزروري: الطفل الموريسكي وأزمة هوية، في أعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات الموريسكية الأندلسية، حول العائلة الموريسكية النساء والأطفال، تقديم عبد الجليل التميمي، تونس، 1997، ص 54.

(2) ناصر الدين ،سعيدوني: من التّراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، ص ص 344-350.

(3) أحمد بن قاسم، الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص 21.

لقد احتار الموريسكيون في بداية الأمر في الكيفية التي يمارسون بها الشعائر الدينية وسط المجتمع الإسباني الضاغط وتحت المراقبة الشديدة والمستمرة من طرف محاكم التفتيش، لهذا سمح فقهاء الإسلام في عدوة المغرب للموريسكيين بممارسة العبادات سرّاً، ففي سياق الرد الذي جاء به الفقيه الونشريسي عن تساؤلات سكان غرناطة الذين سألوه عن احتمال رجوعهم إلى أرض الإسلام أو البقاء في دار الكفر (اسبانيا) أباح الفقيه لهم العودة إلى دار الإسلام، وكأنه واجب ديني[1]،وقد استغرب لوي كارديياك من هذا التصريح وألح على أنه خطأ كبير صدر من فقيه بوزن الونشريسي[2]، وهذه الفتوى كانت وراء تصاعد حدة التوتر بين الفئتين المسلمة والمسيحية، خاصة فيما يتعلق باستعمال أسلوب التقية.

بقي الإسلام الخفي قائما على أرض الأندلس يحمله جيل بعد جيل، على الرغم من وسائل الإرهاب والإقصاء إلى غاية سنة 1614، وهذا يعني أن سياسة محاكم التفتيش والكنيسة الرامية إلى تنصير الأندلسيين قد فشلت .

حاول الراهب الإسباني **بدرو لونقا** Pedro longas دراسة عقيدة الموريسكيين وتحليل أركان الإسلام مع محاولته تحديد الأطر العامة للإسلام الخفي المتبع في اسبانيا من خلال وثائق محاكم التفتيش، فوصل إلى تحديد أربع ركائز شملت مايلي

- الخط السياسي المتبع باستمرار على المنطقة من طرف الموريسكيين في المجال الديني ما بين 1492-1614 باستمرار على المنطقة، كما تؤكد ذلك المصادر التاريخية المعاصرة، ثم إن هذا التصرف من قبل الوهرانيين هو في الحقيقة موقف جديد، وهو

---

(1) نفسه.

(2) لوي، كارديياك، المرجع السابق، ص93.

... إلى حد قريب تصرف أندلسيي المغرب عندما استقروا بالرباط والقصبة[1]، مما ... نميل إلى التأكد بأنهم أندلسيون، أو على الأقل كانوا مسيرين من طرف أندلسيين، فهم في الحقيقة كونوا شبه جمهورية صغيرة مستقلة بالمنطقة تمارس جزءا ...را من سيادتها، وهذا يعني بكل وضوح أن الجالية الأندلسية خلال هذه الفترة ...انت تشعر بشخصيتها المتميزة، وبالتالي فإن تصرفها كان ينبثق من واقعها بكل مكوناته النفسية والخلقية.

- تمسك الموريسكيين بممارسة شعائر الإسلام رغم مراقبة محاكم التفتيش لهم.

- اختلاف وضعية الموريسكيين زمانا ومكانا .

- عدم فعالية الوسائل التي استعملتها محاكم التفتيش لتحويل الموريسكيين إلى المسيحية[2].

لقد اعتبر الموريسكيون مبدأ التقية موقفا سياسيا يواجهون به الظروف التاريخية الصعبة، وهذا ما أشار إليه جل الباحثين. ومن أسباب استعمال التقية من طرف الموريسكيين في إسبانيا خلال القرن السادس عشر ما يلي :

- تعنت محاكم التفتيش ورفضها لأسلوب الحوار والتسامح والتعايش.

- ازدياد الضغط الكنيسي على المسلمين بعد صدور مراسيم التعميد القسري

- نقض بنود اتفاقية تسليم غرناطة (1492) والتي تعهد فيها الملكان الكاثوليكيان باحترام الحريات والدين الإسلامي.

(1) محمد ،رزوق: "الجالية الأندلسية بالمغرب العربي: تونس والجزائر"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 43-11، تونس، نوفمبر 1986، ص. 132.

(2) بدرو، لونقا، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، (تعريب جمال عبد الرحمن، مراجعة عبد الجليل التميمي)، تونس، 1993، ص 40-42.

- إطلاق الصفات القبيحة التي ألصقتها الكنيسة بالموريسكيين.

- إجازة الإسلام لأتباعه بالتستر في أداء الواجبات الدينية عند الشعور بالخطر.

- ظهور فتاوي تجيز استعمال التقية في الأندلس لأول مرة، حيث أصر الموريسكيون على استعمال التقية كأسلوب للدفاع عن الهوية الثقافية والدينية، وهذا انطلاقا من التوجيه القرآني الذي يراعي اليسر والآمان للمسلم وعدم الإلقاء بالنفس إلى التهلكة. ولهذا استعمل الموريسكيون الأساليب التالية :

- التحايل على رجال الكنيسة وعيون محاكم التفتيش.

- رفض العمل بالشعائر المسيحية جملة وتفصيلا.

- التمسك بالإسلام دينا وعقيدة.

إن الالتجاء المستمر للتقية كان يمثل بالنسبة للموريسكيين خطر، لا شك فيه، فتكرار حركات غريبة على الديانة المسيحية يجعل أعين محاكم التفتيش تطارد بلا هوادة الموريسكيين. لقد حافظ الموريسكيون وإلى اللحظات الأخيرة على فقهائهم وتنظيماقم الدينية، وقد توبع الموريسكيون من طرف محاكم التفتيش على الصوم والوضوء والصلاة، والصدقة والحج، كما امتنع الموريسكيون بصفة عامة عن أكل لحم الخترير وشرب الخمر رغم الضغوط الكبيرة التي كانت تمارس ضدهم.

بعد قمع السلطات القشتالية لثورة أندلسيي غرناطة سنة 1570م، التي تزعمها **محمد ابن أمية** ثم ابن عبو، تمّ توزيع مسلمي هذه المملكة على باقي المماليك الإسبانية رغبة منهم في كسر شوكتهم وتفريقهم للفت من قوهم، عندها اعتقدت الكنيسة والدولة أن مشكلة إسلام الأندلسيين في طريقها إلى الحل. لكن خيبتهم كانت كبيرة حيث جاءت النتائج عكسية، فبعد بضع سنين على نفي الغرناطيين ظهر أن هذا النفي ساعد المسلمين بمناطق أخرى على التشبث بالإسلام وقوّى عزمهم على المقاومة؛ فاستحكم اليأس في نفوس رجال الدولة والكنيسة من تنصير المسلمين قبل أن ييأس الأندلسيون أنفسهم من تخليص أنفسهم من الاستعباد النصراني القشتالي الذي وقعوا فيه، ومن مساندة إخواهم المسلمين من وراء البحار. فبعد إرغام الأندلسيين على التنصر، وحرق كتبهم، ومسخ ثقافتهم، ومصادرة أموالهم، واستعباد أبنائهم ونسائهم، وقتل رجالهم وقمع ثوراتهم، ومتابعتهم لأتفه الأسباب، ومنعهم من لغتهم العربية وعاداتهم وأسمائهم، ومتابعة تشريدهم وتشتيتهم، وحرق زعمائهم. لم تصل الكنيسة الكاثوليكية ولا الدولة الإسبانية إلى النتيجة المبتغاة منهم. فالهزمت الكنيسة أمام تصميمهم على الثبات على الإسلام، وارتعبت الدولة منهم على ضعفهم وقلة حيلتهم وهوالهم على الناس كلما اكتشفت أو تخيلت مؤامرة ضدها من طرفهم«**اطمأنت الدولة الإسبانية من وقوع ثورات جديدة في مملكة غرناطة بعد أن طردت عددا كبيرا من الغرناطيين سنة 1570 وشتتهم على أنحاء قشتالة، فوجهت اهتمامها إلى مسلمي مملكتي بلنسية وأراغون القديمة، هدد تجمعاهم بالطرد والتشتيت».**[1]

هذا اليأس من تنصير المسلمين أدى إلى التفكير في حلول أخرى تُخرج إسبانيا من ورطتها. فأخذت الدولة والكنيسة في جمع الاقتراحات التي انقسمت إلى عدة حلول:

(1) Caro Baroja, Julio. Los Moriscos del reino de Granada. Madrid. 1976. p 225.

– **الحل الأول:** اقترحه الراهب فرانسيسكو دي رباس سنة 1582، وألونسو كوتريس سنة 1588م، ويعتمد على تجميع الأندلسيين الذين يرفضون التنصير ويختارون الإسلام في أحياء خاصة هم، على أن يُضيّق عليهم تضييقا شديدا.

- **الحل الثاني:** اقترحه الراهب تريخوس سنة 1573(و هو من أب نصراني وأم أندلسية. حمته عائلة أمه من بطش النصارى إبان ثورة غرناطة الكبرى)، ومضمون هذا الاقتراح هو اختطاف كل الأطفال الأندلسيين الذين لا تتعدى أعمارهم 10 سنوات وتسليمهم للنصارى القدامى لتربيتهم على دين النصرانية، ومنعهم من الزواج حتى لا يتناسلوا، وبهذا ينقرضون مع الأيام.

– **الحل الثالث:** اقترحه المطران ربيرا، ويهدف إلى القضاء على الأندلسيين بالاسترقاق، وأخذ كل سنة بضعة آلاف منهم للعمل في السفن والمناجم حتى يتم إفناؤهم.

– **الحل الرابع:** اقترحه بعض وزراء الملك فيليب الثاني، يقوم على جمع الأندلسيين وحملهم على السفن ثم إغراقهم في عرض البحر.

– **الحل الخامس:** اقترحه مارتين دي سالبتيرة، أسقف سقوربة بمملكة بلنسية، يقوم على إخصاء كل الذكور الأندلسيين، كبارا وصغارا، وبهذا ينقرضون بسرعة.

– **الحل السادس:** اقترحه أيضا ألونسو كوتريس، ويقوم كذلك على الإخصاء، لكن لتحديد نسلهم فقط.

– **الحل السابع:** قتل الأندلسيين دفعة واحدة، أو قتل البالغين منهم واسترقاق الباقين وبيعهم.

الحل الثامن: اقترحه بدرو بونسي دي ليون، الذي قضى عشرين عاما في ... ويعتمد على إرسال شباب الأندلسيين الذين تتراوح أعمارهم بين 18 ... في السفن، وبذلك يقل نسلهم وينقرضون مع الوقت.

الحل التاسع: وهو الذي لاقى قبول كبار رجال الدولة والكنيسة، ويقوم ... الأندلسيين خارج إسبانيا، وهذا الحل هو الذي سيتم تطبيقه سنة 1609م ... مملكة بلنسية ثم على باقي المناطق خلال السنوات الخمس التي تلتها. ... الثالوث الشر والحقد خوان دي ريبيرا، دوق دو ليرما وخايمي بليدا ... لإقناع الساسة، النبلاء ورجال الكنيسة بحسنات طرد الأندلسيين.

ثم توالت الأحداث بسرعة في اتجاه طرد المسلمين:

- 30 يناير 1608: اجتمع مجلس الدولة القشتالي بكامل أفراده ووافق ... على طرد الأندلسيين من الأراضي الإسبانية. وبقي هذا الاتفاق سرا حتى ... الأندلسيون.

- 4 أبريل 1609م: إصدار مجلس الدولة قرار الطرد (للمحافظة على أمن ...). وقرر مجلس الدولة الابتداء بطرد أندلسيي مملكة بلنسية على أن يبقى ... سرا إلى حين.

- 11 شتنبر 1609م: توقيع الملك فيليب الثالث لقرار طرد أندلسيي بلنسية.

- 17 شتنبر 1609م: السفن الإيطالية ترسوا في موانئ مملكة بلنسية، وتولت ... العسكرية حراسة حدودها مع أراغون القديمة.(1)

---

(1) ... عام 1598 م أصبح فيليب الثالث ملكاً على اسبانيا ، وكانت الأقلية الموريسكية تثير المخاوف واعتبرت ... الاندماج، فأصبحت أقلية مهمشة ومطاردة. وفي عام 1609 وقعت اسبانيا هدنة مع هولندا مدتها 12

-في 21 شتنبر 1609م: اجتمع الملك مع أعضاء مجلس الدولة والنبلاء وكبار رجال الدولة.

-في 22 سبتمبر 1609م: الإعلان الرسمي لقرار طرد الأندلسيين من مملكة بلنسية.

بعض الأندلسيين رفضوا القرار وثاروا في بعض مناطق بلنسية، لكنهم تعرّضوا للتقتيل.

وفي 12 يناير 1612 صدر قرار الطرد الخاص بمنطقة إقليم الأندلس (حسب التقسيم السياسي الحالي لإسبانيا) ومرسية عدا بلدة أورناتشوسو في 17 ابريل 1610م صدر قرار طرد أندلسيي قطلونية. وفي 29 ماي 1610م صدر قرار طرد أندلسيي أراغون القديمة. وسنة 1614 صدر قرار بطرد أندلسيي وادي ريكوتي بمرسية. هكذا أسدل الستار رسميا – أو هكذا أريدَ له – على الوجود الإسلامي بالأندلس، وسطّرت الكنيسة الكاثوليكية بهذا العمل العنصري صفحة جديدة من صفحات جرائمها بحق المخالف لها، وأسست سلطة الاحتلال القشتالي أول دولة عنصرية في التاريخ، كما وصفها الأندلسي المعاصر **رودريغو دي زياس**. أمّا الأندلسيون، فرغم الفظائع والجرائم التي تعرّضوا لها أثناء الطرد، فقد اعتبروا ذلك فرجا من الله وجزاءا لهم على ثباتهم على الإسلام وتشبثهم به! قال **الشهاب الحجري الأندلسي**: «وبعد ذلك باثنتي عشرة سنة (1018هجرية) فرج الله تعالى على مسلمي الأندلس الذين كانوا فيها تحت قهر سلطان البلاد المسمى بفلب الثالث».[1] وقال ابن عبد الرفيع: «**ولا يخفى أن هذا أمر عظيم ومحال عادة، لما**

= سنة فتفرغت للمشكلة الموريسكية ، فصدر قرار الطرد الذي استمر مابين سنوات 1609–1614.ليصل عدد المهجرين حوالي 300 ألف نسمة.

للمزيد راجع: أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثث، الموريسكيون: حياة ومأساة أقلية،(ترجمة: عبد العال صالح طه ومحيى الدين الأصفر)، ط1، قطر : دار الأشراق،1988، ص 219-229.

(1) الشهاب، الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين (تحقيق: محمد رزوق)، الدار البيضاء، 1987،ص 2.

لما فيه معه من الشدة والضيق في الدين والنفس والمال. فسبحان رب السماوات والأرض الذي إذا أراد أمرا قال له كن فيكون؛ فيا لها من أعجوبة ما أعظمها، ومن فضيلة ما أشرفها»[1].

بينما رفض أندلسيون آخرون الخروج وحاولوا الاختفاء قدر ما أمكن. وقد كان للفقهاء دور عظيم، فقد شرحوا للعوام أن هذا الطرد فرج لهم من عند الله، وإنقاذ لعقيدتهم، ونهوهم عن المقاومة التي لا فائدة منها، ونصحوهم بالصبر.

3– موقف فقهاء الإسلام من الهجرة الأندلسية.

تردد الأندلسيون في مسألة الهجرة أو البقاء في الأندلس، فعرضوا أمرهم على علماء المغرب قصد إيجاد حلول لمحنتهم، ومما لاشك فيه فإن مسألة الهجرة كانت أعسر على اجتهاد فقهاء ذلك الزمان، وهي مشكلة بقاء جماعات إسلامية منقطعة تماماً عن بلاد الإسلام داخل بلاد النصرانية، ولابد من أن نقرر بأن المأساة لم تبدأ منذ سقوط غرناطة، وإنما يوم خطا **ألفونسو السادس** ملك قشتالة وليون خطوته الحاسمة التي قررت مصير الأندلس الإسلامي باستيلائه على إمارة طليطلة سنة 478هـ/1085م، إن الاستيلاء على طليطلة تم بصورة سلمية نتيجة خيانة أميرها العاجز الذي ابتلى به المسلمون في طليطلة وهو **عبد القادر بن ذي النون**، ولم يقتصر الأمر على سقوط طليطلة بل سقطت معها توابعها، ولقد ذكر ابن **الكردبوس** في كتابه **الاكتفاء** أنه سقط بسقوطها ثمانون منبراً.[2]

---

(1) ابن عبد الرفيع، محمد، الأنوار النبوية، في آباء خير البرية، مخطوط بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم 2648، ص 336.

(2) أحمد،الونشريسي: أسنى المتاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،

(تحقيق حسين مؤنس)، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 5، العدد 1-2، 1957، ص : 135-138

أ – فتوى الونشريسي الأولى:[1]

كتب **الونشريسي** الفتوى الأولى قبل سقوط غرناطة 1492، وذلك سنة 1484م، في شأن أندلسيين هاجروا إلى المغرب، ولم ترق لهم ظروف العيش، ((ندموا على الهجرة بعد حلولهم بدار الإسلام وسخطوا وزعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة وأنهم لم يجدوا بدار الإسلام التي هي دار المغرب.بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش))[2] وصرح آخرون منهم: ((إن جاء صاحب قشتالة إلى هذه النواحي نسير إليه فنطلب منه أن يردنا إلى هناك)).

لقد رد الونشريسي على هذه المزاعم بقوله: ((إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة. ولاتسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية (الملك) لعنه الله على معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز بكل وجه وحال الوطن والمال، فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع، قال تعالى:﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[3]وأما المستطيع بأي وجه كان وبأية حيلة تمكنت، فهو معذور وظالم لنفسه إن أقام[4].

---

(1) أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي: ولد حوالي 834هـ/1430م، عرف بفصاحة لسانه وبراعة قلمه وشجاعته الأدبية، هاجر من فاس إلى تلمسان بسبب مجاهرته بالحق تقلد بفاس الفتوى والتدريس ، ألف العديد من التصانيف.يعتبر كتابه المعيار من أبر كتب الفقه المالكي. للمزيد حول حياته، راجع : أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ج1، ص : 123-132. وأيضا : ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، ص ص 277-289.

(2) أحمد، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1981، ج2، ص119.

(3) نفسه، ج2، ص 121-122. سورة النساء: 98 – 99.

(4) نفسه.

كان الونشريسي صارما حينما صرح في حقهم:«ماذكر عن هؤلاء المهاجرين من قبيح الكلام وسب دار الإسلام وتمني الرجوع إلى دار الشرك والأصنام، وغير ذلك من الفواحش المنكرة، التي لا تصدر إلا من اللئام، يوجب لهم خزي الدنيا والآخرة ويترلهم أسوأ المنازل، والواجب على من مكنه الله في الأرض وسيره اليسرى، أن يقبض على هؤلاء وأن يرهقهم العقوبة الشديدة والتنكيل المبرح ضربا وسجنا، حتى لا يتعدوا حدود الله، لأن فتنة هؤلاء أشد ضرراً من فتنة الجوع والخوف ونهب الأنفس والأموال».[1]

هل كان على الموريسكيين أن يعلنوا تنصرهم ويخفوا إسلامهم ؟ فالنص الذي أجاب به عن تساؤلات الموريسكيين، قد جعل **الونشريسي** يستنج أن هجرة هؤلاء كانت للدنيا وليست للدين، بينما الهجرة من أرض الكفر إلى دار الإسلام واجب شرعي.

لقد انتقد المؤرخ المصري **حسين مؤنس** هذه الفتوى قائلاً: «**فهذا الشيخ الذي تصدى لإبداء الرأي في مصير المسلمين المتخلفين في الأندلس، لم يكلف نفسه، عندما جلس يكتب هذه الفتوى عناء البحث عن أحوال من يفتي فيهم، وتقضي أخبارهم، والتعرف على الأسباب التي تضطرهم إلى البقاء في الأندلس وتحول بينهم وبين الهجرة إلى المغرب.ولم يذكرأهم أولا وقبل كل شيئ بشر ضعفاء عسر عليهم مغادرة الأوطان ومعاهد الحياة الطويلة التي تقلب فيها الآباء والأجداد قرونا متطاولة...**»[2].

---

(1) حسين مؤنس: المقال السابق، ص 132.

(2) نفسه، ص 133-134.

ويضيف **حسين مؤنس** في موضع آخر: «**وقد فاته (الونشريسي) أن ضعاف الناس أكثر من الأقوياء، وأن العاجزين عن الرحلة والهجرة هم الغالبية العظمى، لقد كان لفتوى الونشريسي وأمثالها أسوأ الأثر على مصير الجماعات الإسلامية الباقية في الأندلس، فقد حكم عليها بالكفر وأنها مقيمة في الجحيم الذي كانت تعانيه**»[1].

بالرغم من انتقادات **حسين مؤنس** للفقيه واتهامه بقصر النظر في إصدار حكم قاسي على مسلمي الأندلس في مثل هذه الظروف الحرجة، وأنه لم يكن في موقع تقصي الحقائق لإصدار حكم شرعي بخصوص هجرة الأندلسيين، فإن بلاد الأندلس بعد سقوط غرناطة وصدور قرارات التعميد الإجباري أصبحت أرض كفر وحرب، وأصبح من الصعوبة بمكان على المسلمين هناك تأدية شعائر الإسلام بكل حرية.

ب – الفتوى الثانية للونشريسي:

وجه **الونشريسي** الفتوى الثانية سنة 901هـ/1495م، في شأن أحد الأندلسيين الذي أراد البقاء في الأندلس لمؤازرة إخوانه المسلمين لدى السلطات الأسبانية: «**يتكلم عنهم مع حكام النصارى فيما يتعرض لهم من نوائب الدهر، ويخاصم عنهم، ويخلص كثيراً منهم من ورطات عظيمة بحيث يعبر عن تعاطي ذلك عنهم، وبحيث يلحقهم في فقده ضرر كبير إن فقدوه.**[2] **وكان رفض الونشريسي في هذه المسألة واضحا : «لأن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة. لا تجوز ولا تباح، لما تنتجه من الأدناس والأوصار، والمفاسد الدينية والدنيوية.**»[3].

(1) نفسه، ص 144-147.
(2) نفسه، ج2، ص 137.
(3) نفسه، ج2، ص 138.

لقد بين الونشريسي في فتواه صعوبة القيام بشعائر الإسلام في وسط البيئة المسيحية المعادية لكل ما هو مسلم قائلا : «فكيف يتوقف مشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع القواعد الإسلامية الشريف[1]».

من خلال هذه النوازل يتضح أن الونشريسي أكد على مبدأ وجوب الهجرة لارتباطها بالعقيدة الإسلامية والحفاظ عليها من الشرك والتضليل والردة بفعل الضغوطا والتنكيل المسلط من قبل محاكم التفتيش زمنئذ. والظاهر أن الفقيه لم يتصور حدوث هذه الظاهرة الدفاعية في وسط بيئة مسيحية معادية، لم يسبق وأن أبدى فيها فقهاء الإسلام برأيهم.

عندما ندقق في حكم الهجرة الصادر عن **الونشريسي** نصرح بأن دخول بعض المسلمين تحت حكم النصارى أمر لم يعرفه المسلمون إلا في القرن الخامس الهجري بعد استيلاء النرمانيين على صقلية، لذلك لم يتعرض جمهور الفقهاء لمسألة الهجرة من قبيل هذه المشكلة. والواقع أن هذا الإهمال عرفه علماء المشرق والمغرب معاً،ففي أثناء الصراع الطويل بين الإسلام والنصرانية لم يخل الأمر بين حين وحين من أن تقع بعض بلاد الإسلام في أيدي غير المسلمين[2].

---

(1) نفسه، ج2، ص 139.

(2) في أيام المهدي العباسي استولى الروم على الحديثة وحكموها أعواما حتى استردها المسلمون أيام الهادي. للمزيد

راجع: حسين، مؤنس: المقال السابق، ص 134-137.

ج – فتوى المغراوي[1].

بعث مفتي وهران أبو جمعة المغراوي، فتواه إلى مسلمي غرناطة الذين فرض عليهم التنصير الإجباري ومنعوا من تأدية شعائر الإسلام، حيث شملت فتواه خطابا شاملاً لقواعد الإسلام، وفيه تشجيع صريح للموريسكيين على التمسك بأركان الإسلام ، والعمل بها:

«الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته. وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثوي سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يلطف بنا وأن يعيننا وإياكم على مراعاة حقه بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً بعد السلام عليكم من كاتبه إليكم، من عبيد الله أصغر عبيده وأحوجهم إلى عفوه ومزيده، عبيدالله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني. كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلاً من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار ومؤكداً عليكم في ملازمة دين الإسلام، آمرين به من بلغ من أولادكم، إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس.»[2].

وعليه فإن **المغراوي** دعا الموريسكيين إلى استعمال الإسلام الخفي في إطار مبدأ التقية، لأن الله عز وجل سمح للمؤمنين بذلك، وقدم المغراوي حلولاً مناسبة تساعد

---

(1) نشر نص هذه الفتوى في الدراسات التالية : محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987، ص 342-344.و أيضا ، بدرو، لونقا: المرجع السابق، ص 198.

(2) محمد عبد الله ،عنان، المرجع السابق، ص343.

الموريسكيين على ممارسة أركان الإسلام خفية من النصارى:.«وإن ذكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور وحجر جلمود لايضر ولاينفع، وإن الملك ملك الله، ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، فاعبدوه واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقير دم أو رياء، لأن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة ولو عوماً في البحور، وإن منعوكم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتيمم ولو مسحاً بالأيدي على الحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء، والصعيد، إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتمَّم به، فاقصدوه بالإيماء، (نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله صلى الله عليه وسلم فأتوا منه ما استطعتم) وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية وأنووا صلاتكم المشروعة وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام، وأن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوكم آكل خنزير فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه. وكذا إن أكرهوكم على محرّم، وإن زوجوكم بناتهم فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم ولو وجدتم قوة لغيَّرتموه، وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلاّ رؤوس أموالكم وتصدقوا بالباقي إن تبتم لله تعالى وإن اكرهوكم على كلمة الكفر فإن أمكنكم التوبة والإلغاز فافعلوا، وإلا فكونوا مطمئني القلوب بالإيمان إن نطقتم بها ناكرين لذلك ،وإن قالوا اشتموا محمداً فإنهم يقولون له مُمَدْ، فاشتموا مُمَداً، ناوين أنه الشيطان، أو مُمَد اليهود، فكثير بهم اسمه وإن قالوا عيسى توفى بالصلب فانوو من الوفية والكمال والتشريف من هذه وإماتته وصلبه، وإنشاد

ذكره إظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله على حسب ما تكتبون به. وإنا أسأل الله أن يديل الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ولا وجلة، بل بصدمة الترك الكرام، ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به، ولا بد من جوابكم، والسلام عليكم جميعاً، بتاريخ غرة رجب عام عشرة وتسعمائة، عرف الله خيره يصل إلى الغرباء إن شاء الله تعالى»(1).

أثارت المؤرخة السورية **ليلى الصباغ** في بحثها عن فحوى فتوى المغراوي إلى وجود ثلاث نقاط هامة :

1 — لاحظت وجود عدة ثغرات في الفتوى التي حللت وحققت أربع مرات عند ترجمتها إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية، فجل التعابير المستعملة لم توضح مدى عمق تمسك الموريسكيين بدينهم.

2 — لم يقارن الباحثون بدقة بين النسخ الثلاث للفتوى، ولم يدركوا بأن هناك اختلافات بين النسخة العربية ونسختي الألخميادو(2).

3 — وجود هفوات في الترجمة التي تعرضت لها الفتوى(3).

---

(1) نفسه .

(2) ترك الموريسكيون تراثا أدبيا يسمى بالأدب الألخميادو، عمد مؤلفوه إلى تسجيله بلغة خاصة وجديدة تعد من ابتكار الموريسكيين، واعتمد على الحرف العربي كإطار خارجي عوض الحرف اللآتيني، وتضمنت الكتابات الألخميادية ما يلي :

– كتابات جدلية دينية.

– كتابات فقهية.

للمزيد راجع: حنيفي ،هلايلي : الحرف العربي تعبير مقدس في النصوص الألخميادية الموريسكية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد الأول، جامعة وهران، جوان 2003، ص64-75.

(3) Leila ،Sabbagh ، »La religion des morisques entre deux fatwas« ،in ، les morisques et leurs temps ، ،1983 ،Paris ،CNRS .45-50 .PP

لها. جاءت فتوى **المغراوي** مدعمة لبقاء الأندلسيين الضعاف بأرضهم والتمسك بدينهم على الطريقة الموريسكية، والمتمثلة في اعتناق المسيحية ظاهراً والإسلام باطنا، فإبطان الإسلام في القلب قد لا يتفق إلى ما ذهب إليه **الونشريسي** في فتاويه الصادرة بخصوص مسألة الهجرة.

والحقيقة أن **المغراوي** تساهل مع مسلمي الأندلس انتظاراً للفرج، وقد أوضح في فتواه أن المسلمين يعيشون غرباء في الأندلس بعد سقوط غرناطة(1).

يلاحظ في آخر الوثيقة (رسالة المغراوي) أن الآمال كانت معلقة آنذاك على الدولة العثمانية في تخليص الأندلس وإعادة فتحها، وفي الوقت نفسه كان مسلمو الأندلس ينتظرون الخلاص من العثمانيين الذين كانت محاولاتهم عديدة بفضل جهود البحرية الجزائرية منذ عهد **خير الدين بربروسا** إلى البيلرباي **قليج علي باشا**.

وعليه فإننا نلاحظ عدم تعارض جوهر كلا الفتوتين من حيث المبدأ الفقهي، بحيث جاءت فتوى **المغراوي** مكملة ومتممة لفتوى **الونشريسي**، **فالمغراوي** قدم الحلول المناسبة لمسلمي الأندلس للتكيف مع الأوضاع الراهنة، بينما أباح **الونشريسي** للمستضعفين البقاء المؤقت، واستعمال التقية (الإسلام الخفي).

إن المساجد السرية والفقهاء كانت بمثابة أعمدة الحياة الدينية في المجتمع الموريسكي، حيث أصبحت العبادات تمارس سرّا داخل البيوت،كان الموريسكي

---

(1) الغرباء في قاموس اللغة تعني الأباعد، وتعني المنفيين الذين يشعرون بالغربة في مجتمع مغاير لهم في الحياة اليومية والدينية، وهذا الوصف ينطبق على الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، أما تسمية الغرباء فأطلقها الموريسكيون على أنفسهم أثناء نداء الاستغاثة الموجه إلى السلطان العثماني سليمان القانوني(1520-1566) في عام 1541 كما أطلقها عليهم الفقيه المغراوي تنزيها لهم عن اسم الموريسكيين. للمزيد راجع : حنيفي، هلايلي " الأندلسيون في فكر أحمد المقري: أزهار الرياض ونفح الطيب نموذجا"، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 16، جوان 2004، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص ص 107-123.

متمسكا بصلاته إلى أقصى حد ممكن، مارسها وهو في السجن وهو تحت التعذيب، وهو ذاهب إلى الحرق، وكثيراً ما اكتشف من طرف جواسيس محاكم التفتيش وهو يمارس الصلاة.

بعد سقوط غرناطة على يد الملكين الكاثولكيين عام 1492م بدأت مرحلة من الحياة المليئة بالمصاعب والمتاعب بالنسبة للمسلمين، فتحول التسامح إلى مواقف عدائية وعنصرية وقد ظهرت تلك المعاملة بصورة قوانين فرضت الارتداد الإجباري عليهم، وحكمت على غير الراغبين بالطرد من الأندلس، وخلال قرن من الزمان تظاهر قسم كبير منهم بالنصرانية وسموا بالموريسكيين، وكانوا بالسر يمارسون الشعائر الإسلامية، وكانوا أبطال كفاح أليم من أجل الحفاظ على هويتهم ضد سياسة الاحتواء من قبل المملكة الإسبانية ومحاكم التفتيش.

إن معرفة تاريخ الأندلس وفهم أحداثه وتفاعلاتها ومسبباتها بالإضافة إلى دراسة الآثار التاريخية التي تظهر كشواهد ملموسة على مرور الزمن، يؤدي ذلك إلى تكوين رؤية واضحة لجوهر حضارتنا الإسلامية عبر عصور ازدهارها، كما يفضح حقيقة الحضارة الغربية القائمة على التسلط والقهر والإكراه، والتي كان من أوائل ضحاياها شعب الأندلس المسلم، الشعب الذي استمدت من جهوده عناصر الحضارة عندما أنارت الأندلس أرجاء أوروبا المظلمة، ولا يزال الغرب منذ تلك العصور وحتى اليوم يصور المسلمين والإسلام بأبشع الصور ويشن عليهم الحرب بمختلف الأساليب.

4ـ الجزائر الملف الموريسكي الأندلسي.

كانت الخريطة السياسة لشبه الجزيرة الإيبرية في القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع الهجري)، تتألف من عدة كيانات سياسية، تمثلت في مملكة قشتالة، ومملكة الأرغوان، ومملكة النفار، ومملكة البرتغال، وهي ممالك مسيحية، وإلى جانب منها مملكة غرناطة الإسلامية.

مع العلم، أن هذه الممالك المسيحية كانت ترغب في التوسع والانتشار خارج حدودها من شبه الجزيرة الإيبرية، وذلك ما نراه في سعي البرتغاليين إلى اكتشاف المحيط الأطلسي، والسيطرة على السواحل الغربية لإفريقيا، وتمكن الأرغوان من بسط سيطرته على جزء كبير من غرب البحر الأبيض المتوسط، والسيطرة على أغلب جزره، وأما مملكة النفار الصغيرة، فلم يكن لها شأن يذكر، كما أن قشتالة، كانت تمزقها عدة حروب داخلية.

وفي سنة 1469م (874هـــ)، تزوج **فرديناند** ملك الأرغوان **ايزابيلا**، ملكة قشتالة، وبهذا الزواج توحدت المملكتان في الأهداف والمسعى، اذ توسعتا داخل المحيط الإسباني وذلك بالقضاء على مملكة غرناطة الإسلامية، وخارجه في البحر الأبيض المتوسط ببسط نفوذها لى ممراته.

I– ظهور الوحدة الاسبانية وبداية المأساة الموريسكية.

إن زواج **فرديناند** و**ايزابيلا** قد جمع بين مملكتين من الممالك الثلاث[1] (قشتالة، الأرغوان، البرتغال)، التي صارت موجودة تحت سلطة تكاد تكون مشتركة، رغم أنه لم يؤد ذلك إلى توحيد مملكتي قشتالة وأرغوان في دولة واحدة، لأن مملكة

(1) كانت المملكة الثالثة هي البرتغال، وقد استغرق قرار ايزابيلا، في هل تتزوج من أسرة الأرغوان أو من أسرة البرتغال؟ وكان قرارها الأخير مصيريا بالنسبة للمالك الثالث.وكان على ايزابيلا أن تختار ما بين الزواج الأرغواني والبرتغالي، ما بين الأطلسي والمتوسطي، ومن هنا اختمر مشروع الوحدة الإسبانية.

أرغوان استمرت في تكريس اهتمامها على جزر البحر الأبيض المتوسط؛ وعلى ايطاليا. التي كانت محكومة من قبل ديبلوماسيين وسياسيين ذوي اتجاه تجاري، بينما كانت لمملكة قشتالة -التي يسيطر عليها نبلاء عسكريون- نظرة سياسية أكثر عدوانية، ولم تكد تسقط غرناطة - آخر مملكة في شبه الجزيرة - حتى مد رجال قشتالة عيونهم عبر مضيق جبل طارق إلى ميادين جديدة للنشاط العسكري. وقد أرسلت **إيزابيلا** جاسوسا ليتعرف على ما يجري في شمال افريقيا فكان تقريره كالتالي:«إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة»(1).

وتعود أصول الوحدة الإسبانية إلى الزواج الذي تم بين **فرديناند** و**إيزابيلا** سنة 1469م. وبعد القضاء على آخر قلعة إسلامية بغرناطة عام 1492م، وانضمام إقليم النفار إلى المملكة سنة 1512م. وعلى إثرها تحقق حلم الوحدة ومن جراء ذلك تولدت أسطورة إسبانيا (الأمبريالية) .

وهكذا، تتجلى لنا قضية الوحدة الإسبانية مجسدة على أرض الواقع في عهد الملكة **إيزابيلا**، حيث جعلت من بين أهدافها إخراج العرب المسلمين والاستيلاء على أراضيهم، وضرب آخر معقل من معاقلهم لتتجه بعد ذلك إلى الوحدة مع أرغوان(2)، ممثلة في شخص ملكها **فرديناند** الذي كانت تحركه نفس الأهداف.

ويرى **أحمد توفيق المدني**، أن إسبانيا المسيحية الموحدة ظهرت سنة 1474م(3)، وباحتفالها حينئذ بنصرين هما: النصر على المسلمين بعد تحطيم مملكة غرناطة

---

(1) جون (ب) وولف، المرجع السابق، ص24.

(2) تختلف أرغوان عن قشتالة من حيث بنيتها الاقتصادية. فقد كانت الأولى تعتمد على ازدهارها التجاري ونشاطها في الحوض الغربي للمتوسط، في حين كانت الثانية تعتمد على الفلاحة، أما الصناعة فكانت بيد المسلمين والتجارة كانت بيد اليهود.

(3) بعد وفاة ملك قشتالة هنري الرابع يوم 2 ديسمبر 1474م، أصبحت إيزابيلا ملكة على قشتالة، أما فرديناند فتمكن من اعتلاء عرش أرغوان بعد وفاة جون الثاني سنة 1479م.

واكتشاف العالم الجديد سنة 1492م[1]، ومن أجل ذلك سعى **فرديناند** إلى توحيد المملكة والقضاء على نفوذ النبلاء والإقطاعيين[2].

ومهما كان الأمر، فإن **فرديناند وإيزابيلا** اختارا لقب (الملكين الكاثوليكيين)، وهذا ما يفسر مدى التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين وإبعاد حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الإيبرية، وكان هذا وراء التحرشات الإسبانية والبرتغالية على سواحل شمال إفريقيا خلال القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر، في إطار الحرب الصليبية المقدسة التي كان يغذيها رجال الكنيسة الكاثوليكية[3].

وفي هذا الصدد، بدأ ملوك إسبانيا وصف أنفسهم بالملوك الكاثوليك، فكل مراسلاهم حول المسائل الإفريقية ومطاردة الأندلسيين تدل على الطابع الديني والصبغة الصليبية لسياستهم، فقد صرح **فرديناند** في الكثير من المرات أنه يعمل لأجل الرب، ومن أجل الديانة المقدسة، والعمل على محاربة أعداء الإيمان المسيحي الكاثوليكي[4].

وكانت للوحدة الإسبانية نتائج على الصعيدين الداخلي والخارجي:

---

(1) درج المؤرخون على اعتبار العصر الحديث أنه العصر الذي بدأ مع أحداث عالمية ثلاثة: سقوط القسطنطينية (1453م)، واكتشاف رأس الرجاء الصالح (1497م)، واكتشاف العالم الجديد (1492م).

(2) أحمد توفيق، المدني حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، ط 2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976، ص48.

(3) op ، cit ، T2 ، pp19-20.. F. Braudel ،

(4) Braudel ، « les Espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492-1577 » ،in ، R A ، (N°69) 1928 ، p. 199.

- فعلى الصعيد الداخلي: تمكن الملكان الكاثوليكيان من تنظيم السلطة وإعادة النظام، حيث أصبحت الأوامر العسكرية مرتبطة بالعرش، ومن إنشاء ميليشيات قوية ومسلحة وكل إليها محاربة السلب والنهب وأعمال اللصوصية السائدة آنذاك[1].

- وعلى الصعيد الخارجي: اتجهت إسبانيا نحو مغامرات خارجية، فقوت من وحدتها السياسية في الخارج أكثر من الداخل، وظهر المشكل الموريسكي بإسبانيا خلال عهد الملكين الكاثوليكيين

وارتبط بمعطيات سياسية واقتصادية واجتماعية حددت مسار السياسة الإسبانية تجاه الجالية الإسلامية بها، فإسبانيا كانت تبحث بقوة عن وحدتها السياسية متخطية بذلك كل الحواجز التي تعوق هذه الوحدة:

- فالحواجز الطبيعية تتمثل في انعزال العديد من المناطق التي تتمسك بذاتيتها واستقلالها (كطالونيا، والباسك، والأندلس).

- والحواجز الاقتصادية: تتمثل في التفاوت الطبقي بفعل وجود قوات إقطاعية ذات امتيازات كبيرة، وهي قوات تؤدي إلى التفكك أكثر مما تؤدي إلى الوحدة المركزية، في هذا السياق يذكر المؤرخ الفرنسي **بروديل** (F. Braudel): «إن الدولة الحديثة كانت عدة النبلاء والإقطاعيين»[2].

ففي قشتالة مثلا، كانت الأسرة الحاكمة ضعيفة الإمكانيات بسبب وجود عدد من الإقطاعيين النبلاء الذين كانوا في صراع مع السلطة، فيضيقون الخناق على مشاريعها الوحدوية، إضافة إلى مدن لها حقوقها القديمة، كما أن الإكليروس كان له دور حاسم في التدخل بسبب تبنيه لحرب الاسترداد (La Reconquista).

---

(1) Jean Descola ،Histoire d'Espagne ، Paris ، 1979 ، p. 308.
(2) Braudel ، op ، cit ، T2 ، p.54.

وفي نهاية الأمر تمكن العرش القشتالي من التغلب على الصعاب بفضل تحمسه المسيحية وإخراجه للعرب المسلمين بالاستيلاء على أراضيهم، هذا العمل كان المحور الذي دارت حوله الوحدة القشتالية أولا، والإسبانية ثانيا، إذ جعل من قشتالة مركز استقطاب لعدد من المتطوعين المتحمسين للمسيحية ظاهريا وللأطماع الاقتصادية باطنيا، لأنها هي التي كانت تحركهم وتدفعهم إلى الاستيلاء على الأراضي الجديدة المنتزعة من يد المسلمين، والعرش القشتالي جلب لذلك الجنود والضباط وأصبحت لديه الإرادة الفعالة التي تسير به نحو الوحدة.

وكان أول عمل اهتم به الملكان الكاثوليكيان هو تصفية الوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبرية، لذلك اعتبرهم جل المؤرخين الغربيين، البانين الحقيقيين الوحدة الإسبانية[1]، وقد أطلق الإسبان لفظة موريسكي على المسلمين الذين فرض عليهم التعميد الإجباري، وكلمة (Moros) أي المسلمين الأصاغر، أطلقها الإسبان على سكان شمال افريقيا، وبالخصوص على سكان منطقة موريطانيا الطنجية[2] .

وتتفق معظم الدراسات التاريخية على أن مصطلح الموريسك (Moriscos)، استعمل بعد سقوط غرناطة للدلالة على المسلم الذي دخل إلى المسيحية حديثا (المسيحيون الجدد)، لكن الباحث **سيمون الحايك** يرى أن الظاهرة برزت سنة 1463م[3].

وتذهب الباحثة الفرنسية **إيفات هرموسيلا Y. Hermossilla** إلى أن التأريخ الموريسكي يبدأ مع سقوط غرناطة وبداية حركة الاسترداد، حيث لوحظ استبدال

---

(1) Ibid . p.19.

(2) للمزيد حول الموضوع راجع مادة الموريسك– Moriscos:
Encyclopédie de L'Islam . Paris . Nelle éditions . 1993 . T.VII . p. 243-245.

و مادة (Maures) في:
Dominique et janine sondel . Dictionnaire historique de L'Islam . Paris . P.U.F .1996 . p.1010.

(3) سيمون الحايك: "الدراسات الموريسكية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة في إسبانيا"، في أعمال المؤتمر العالمي السادس للدراسات الموريسكية الأندلسية، حول وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية، (جمع وتقديم: د عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1995، ص25.

لفظ مدجن (**Mudéjares**)[1] ، بكلمة موريسكي في وثائق محاكم التفتيش، والتي نعتت الموريسكيين بالمسيحيين الجدد (Cristiano **nuevo de moro**)، وهذا خلال القرن السادس عشر[2].

وقد حدد المؤرخ الإسباني **دي إيبالزا** (M. de Epalza) وجود ثلاث مراحل للإطار الديني والاجتماعي للأندلسيين من وجهة نظر القانون الإسباني، وتشمل المراحل التالية:

- مرحلة المدجنين: قبل التعميد القسري (1502-1525م).

- المرحلة الموريسكية: والتي اعتبر فيها المسلم منصرا أو مسيحيا رديئا حيث نعتهم رجال الكنيسة بالهراطقة (Mauvais chrétiens)

- مرحلة الطرد النهائي: (1609-1614م): وهي مرحلة عودة الأندلسيين إلى ديار الإسلام[3].

درج المؤرخون على استعمال مصطلح الموريسكيين كدلالة تاريخية للتعريف بآخر مسلمي الأندلس أو العرب المتنصرين الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين 1499-1526، وبقي أحفادهم حتى عمليات الطرد النهائي (1609م).

---

(1) عندما سقطت الحواضر الإسلامية بالأندلس ودب الضعف في دول الطوائف، ظهر عنصر المدجنين، وهم المسلمون الذين افتكت أراضيهم واندمجوا في وسط وحياة الممالك المسيحية، وحافظوا على مساجدهم وتقاليدهم، واعتبرت طليلة مركزا لهم.

(2) Cardaillac (Y) ، Hermossilla ، la magie en Espagne morisques et vieux chrétiens XVIè et XVIIe siècle ، Bordeaux ، 1994 ، T1 ، p.33-36. .

(3) M. de Epalza: l'identité onomastique et l'linguistique des morisques ، in ، Actes du II symposium international du C.I.E.M ، sur (Religion ، identité et sources documentaires sur les morisques Andalous) ، Etudes reuniés et présentés par A. Temimi ، Tunis 1984 . T1 ،pp. 269-279.

ويعتقد المؤرخ الفرنسي **لوي كاردياك** L. Cardaillac، أن مصطلح الموريسك ظهر هذا المفهوم حوالي سنة 1560م، ليشمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه الجزيرة بعد سقوط غرناطة، والذي أرغموا على اعتناق الذين المسيحي الكاثوليكي(1).

وسعت إسبانيا إلى فرض العقيدة النصرانية على المسلمين، وهذا ما يفسر تعدد إنشاء محاكم التفتيش وملاحقة الموريسكيين.

وقد باركت البابوية بروما مشاريع ملوك إسبانيا، وهذا من خلال المساعدات الإستراتيجية التي قدمها البابا **ألكسندر السادس** (ALEXANDRE VII) (1492-1503م)، ويقضي الفرمان المؤرخ في 15 ماي 1492 بدفع الضريبة الصليبية والمتمثلة في الدعم المالي والروحي للملكين الكاثوليكيين، حيث دعا البابا جميع المخلصين للمسيحية إلى تدعيم إسبانيا ودفع الضريبة كل خمس سنوات وتسمى بـــ : (La Crusada)، وهي عبارة عن إمدادات مالية تقدم إلى خزينة الملكين الكاثوليكيين لتمويل مشاريع الحملة الصليبية، وتسهيل عملية القضاء على النفود الإسلامي بالأندلس واستئصال جذور المسلمين الثقافية والدينية، بل وملاحقتهم إلى شمال إفريقيا في إطار الصراع القائم بين الهلال والصليب(2).

ب – أوضاع شمال إفريقيا قبيل مجيء الأتراك العثمانيين.

يصور لنا المغرب الإسلامي في نهاية القرن الخامس عشر حالته السياسية والعسكرية المنحطة ووضعيته الاقتصادية المتدهور، في استقرائنا لأحداث تاريخ المنطقة بعد انهيار دولة الموحدين (1130هـــ / 1269م) تتبين لنا سمة التفكك السياسي الغالب عليه والسائد في جميع بلدانه.

---

(1) لوي ،كارديك، المرجع السابق، ص 150.

(2) Braudel ،les Espagnoles ... op.cit ،pp.200-201. .

وكانت منطقة المغرب في بداية القرن السادس عشر تتقاسمها نظريا ثلاث دول: بني مرين الوطاسيين في المغرب الأقصى، وبني زيان في المغرب الأوسط، وعاصمتهم تلمسان، وبني حفص التي كانت قاعدة ملكهم مدينة تونس، وتضم كلا من الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وإفريقية حتى إقليم طرابلس.

وكان المغرب الأوسط في أغلب الأحيان مسرح صراع على النفوذ بين القوى السياسية الحاكمة في القطرين المجاورين، ونظرا لفقدانه وجود سلطة مركزية، مما فقد كان مسرحا لفوضى القبائل، وكان من جراء هذا التمزق أن أصبح المغرب الأوسط وحدة تتناحر فيه وتتصارع عليه عدة كيانات صغيرة، فأنفقت في ذلك الأموال واستهلكت الحروب جزءا كبيرا من ثروة البلاد، كما أدت إلى عدم الاستقرار(1)، ومن هذا المشهد السياسي نستخلص العناصر التالية:

- ليس هناك دولة مركزية موحدة قوية ومعترف بها في المغرب العربي.

- غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين وتحقيقهم لمشاريع توسعية.

- بروز البحارة الشرقيين والموريسكيين الذين اعتبروا قوة بحرية جديدة في الفضاء الجغراسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس عشر؛ وهو الأمر الذي مكنها من مجابهة ومحاربة إسبانيا، ومد يد المساعدة للأندلسيين داخل إسبانيا، ومن هذا المنطلق وضعت المملكة الإسبانية آلية احتواء واحتلال لسواحل وموانئ المغرب الأوسط(2).

---

(1) محمد خير،فارس، المرجع السابق، ص 6-7.

(2) عبد الجليل، التميمي: "التشكل الإداري والجغراسياسي للإيالات العثمانية بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب (1557-1588)"، في كتاب تقديري للأستاذ خليل الساحلي أو غلو، (جمع وتقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان، سيرمدي 1997، ج2، ص451-452.

وقد كانت خطة إسبانيا بعد سقوط مملكة غرناطة عام 1492م قائمة على غزو سواحل شمال إفريقيا وتصفية النفوذ الإسلامي نهائيا، من شبه الجزيرة الإيبرية.

وقد أسفر هذا الانتصار الذي حققه الملكان المسيحيان ضد المسلمين على انتعاش الروح الصليبية من جديد وتعقب الأندلسيين الذين التجؤوا إلى موانئ شمال إفريقيا، فإسبانيا بدأت بإنزال حملاتها على سواحل المغرب الأوسط، فاحتلت ميناء المرسى الكبير(911هـ /1505م)، ثم أخذ نطاق العمليات الإسبانية يتسع منذ 1508م، حينما تولى قيادة الأساطيل الملكية **بدرو نافارو** (Pedro Navarra)، الذي تمكن من احتلال وهران (915هـ/ 1509م)، ثم بجاية (916هـ/1510م)، وتحت هذا الضغط الإسباني اضطرت موانئ دلس والجزائر إلى دفع جزية لإسبانيا، لأن الزيانيين أثبتوا عجزهم في حماية هذه الموانئ نتيجة للتفكك السياسي الذي أصاب دولتهم وللثورات الداخلية التي نشبت ضدهم كرد فعل عن كثرة الضرائب التي فرضوها في تلك الفترة على الأهالي، بحجة الغزو الخارجي، واضطرت السلطات الزيانية إلى عقد صلح مع إسبانيا سنة 1512م. اعترفت فيه باستيلاء إسبانيا على عدة موانئ في غرب الجزائر[1].

وبسبب ضعف المملكة الزيانية، استولى الأسبان على تنس وقلعة البنيون (الصخرة)، ومستغانم، وكان سقوط المرسى الكبير ووهران خسارة عظمى لمملكة تلمسان، ولم يعد تجار البندقية يقصدون وهران لكونها مليئة بالجنود الإسبان، فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين[2].

---

(1) حول موضوع الاحتلال الإسباني لموانئ المغرب الأوسط، أنظر: يحي، بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص 11-12.

(2) الحسن بن محمد، الوزان، المصدر السابق ج2، ص9.

وهكذا، وضعت إسبانيا لنفسها موضع قدم في شمال إفريقيا، كانت عبارة عن نقط ارتكاز أمامية منعزلة للدفاع عن سواحلها الخاصة، كما شيدت سلسلة من القلاع على طول ساحل الشمال الأفريقي. إلا أنّ القلاع والحصون الإسبانيه عاشت في حالة حصار طوال فترة الاحتلال، وكانت حياة الجند شاقة، وبلغ اليأس بالجند مبلغا جعلهم يفكرون في أن يتحولوا إلى مغاربة[1].

وقد ساعد التدهور والتفكك الذي شهده المغرب الأوسط، على إفساح المجال للفتن الداخلية وفتح الباب للهجمات الخارجية والغارات الإسبانية؛ وفي مقابل هذا التشتت، وقفت إسبانيا بعدما استكملت وحدها، تعززها القوى الروحية التي منحتها إياها البابوية، أمام العالم المسيحي عندما باركت مشاريعها الصليبية - تعمل من أجل حل الخلافات التي كانت قائمة بينها وبين مملكة البرتغال. ولقد كللت المساعي البابوية بالنجاح حيث أبرمت اتفاقا بين الدولتين سنة 1499م تم بمقتضاه تقسيم العالم الغير الأوروبي إلى منطقتي نفوذ بينهما، وكان المغرب الأوسط في هذه القسمة من نصيب الإسبان.

وفي ظل هاته الظروف السياسية والنفسية، حدثت تلك المبادرة التاريخية لسكان مدينة الجزائر، التي سوف تغير وجه المنطقة، والتي تتمثل في دعوة **عروج** لقيادة حركة الجهاد انطلاقا من مدينة الجزائر.

ج – الجزائر والملف الموريسكي الأندلسي:

أرسل سالم التومي[2] باسم مجلس أعيان مدينة الجزائر[3] رسوله إلى مدينة جيجل طالبا المساعدة من **عروج** وأخيه **خير الدين** على تخليص مدينة الجزائر من الإسبان، فلبيا الطلب وجهز الأخوان حوالي ثلاثة آلاف من رجال القبائل، واتجهوا

(1) شارل أندري، جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية(تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة)، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص.325

(2) كان سالم التومي شيخ بني مزغنة، وهو ينتمي إلى إحدى العائلات المتيجية الثرية.

(3) هذا المجلس هو عبارة عن برلمان يضم فقهاء وأعيان وأثرياء مدينة الجزائر آنذاك.

لإمداد مدينة الجزائر تحت قيادة **عروج**، وتمكنوا من دخول المدينة وعندما أدرك شيخ بني مزغنة، **سالم بن التومي**، أن عهد المشيخة قد ولى، بدأ في خلق المصاعب أمام **عروج**، مما أدى إلى القطيعة بين الرجلين، فكانت النتيجة إعدام **سالم التومي** والتخلص من مؤامراته(1)

وبعد وفاة **سالم بن التومي**، أخمدت نار الفتنة وفسحت المجال واسعا أمام عروج للتحكم في زمام الأمور وإعداد نفسه لتحقيق مشروعه التحريري التوحيدي الذي قام على أساس المبادئ التالية:

- تنظيم المؤسسة العسكرية، وذلك بإقامة التحصينات القوية وإنشاء حاميات عسكرية خارج المدينة.

- توسيع نفوذه وذلك بإخضاع القبائل إلى السلطة المركزية.

- تقسيم الأراضي الموجودة تحت سيطرته إلى مقاطعتين شرقية وغربية. فالغربية عاصمتها الجزائر، وكان يديرها بنفسه، أما الشرقية التي كانت عاصمتها دلس فقد عين لإدارتها أخاه **خير الدين**.

توجهت أنظارعروج، قبل القيام بمحاولة أخرى لتحرير مدينة الجزائر من الحصن الغسباني المواجه لها، إلى القضاء على الحكام الموالين للإسبان، ومنهم سلطان تنس، وملك تلمسان.

وكان حميدة العبد، سلطان تنس، يعد هجوما كبيراً على عروج للتخلص منه، بالتنسيق مع عرب المناطق الغربية لمدينة الجزائر، الذين لم ينسجموا مع الحكم الجديد، الذي فرض سيطرته عليهم بالقوة، وألزمهم بدفع الضرائب، فاستخلف عروج على مدينة الجزائر أخاه خير الدين، وتحرك على رأس(1000) من الأتراك

---

(1) علي، أجقو: "الدولة الجزائرية الأولى 1514-1830: دراسة مؤسساتية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، العدد2، ديسمبر 1994، ص 140-141.

و(500) من الأندلسيين، نحو تنس، وتمكن من الإنتصار على قوات حميدة العبدي معركة قرب نهر الشلف في صيف 1517م.و ذلك بفضل السلاح الناري الذي كان بحوزته.و زحف عروج نحو تلمسان لتخليصها من أبي حمو الثالث، وتمكن من تحقيق النصر عليهفي معركة أغبال، والدخول إلى تلمسان في سبتمبر 1517م[1].

واستطاع **عروج** فتح مدينتي تنس وتلمسان، الشيء الذي أضر بالمصالح الإسبانية بوهران، مما دفع الملك **شارل الخامس** إلى أن يطلب من حاكم وهران المركيز **دي قوماز** (M. de Gomaz) مجابهة تلمسان، وإعادة السلطان الزياني أبي حمو إلى السلطة[2]، وانتهت الحملة باستشهاد **عروج** وهو في طريق العودة إلى مدينة الجزائر سنة 924هـ/1518م.

تولى **خير الدين** القيادة بعد وفاة أخيه، ورفض طلبا تقدم به أعضاء مجلس الدفاع يتضمن تعيينه ملكا على الجزائر، ولكنه اشترط على أعيان مدينة الجزائر الاستنجاد بالسلطان العثماني **سليم الأول** (1512-1520م)، وبالفعل فقد أرسل السلطان ألفين من جنود الأنكشارية وأربعة آلاف من المشارقة، بالإضافة إلى إرساله لبعض المدافع والذخيرة الحربية[3]، ويعتبر هذا الاتصال بين **خير الدين** والدولة العثمانية بداية لانضمام إقليم المغرب الأوسط إلى حوزة الدولة العثمانية[4]

ظهرت شخصية **خير الدين** عندما كان يغير على السواحل الإسبانية، حاملا معه الغنائم والعبيد والموريسكيين الراغبين في الفرار من الاستبداد الإسباني.

---

(1) Haedo ,op.cit ,pp.25-27.

(2) عاد السلطان الزياني أبو حمو إلى الحكم سنة 1518، وأرغمه الإسبان على دفع ضريبة سنوية تقدر بـ 1200 دوكة ذهبية، للمزيد من التفاصيل راجع: جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص29-30.

(3) نفسه، ص30-31.

(4) حول انضمام المغرب الأوسط إلى الخلافة العثمانية، راجع:

عبد الجليل، التميمي، "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 6، جويلية 1976، ص 116-120.

وكان هؤلاء اللاجئين يشيدون بخصال **خير الدين**، على أنه بطل مسلم، يمكن أن يقود ذات يوم جيشا منصورا إلى إسبانيا نفسها[1]، وإن النجاح الذي حققه **خير الدين** قد أكسبه سمعة وهيبة لدى الجزائريين والموريسكيين الأندلسيين على حد سواء.

أما السلطان **سليمان القانوني** (1520-1566م). الذي اتصل بلائحة شكاوي من الموريسكيين، فقد سارع بإرسال فرمان إلى **خير الدين** يأمره بالتحول إلى إسطامبول للمشورة ومناقشة موضوع إنشاء أسطول عثماني، وإمكانية تدخل الدولة العثمانية في غرب البحر الأبيض المتوسط[2].

وأدرك السلطان **سليمان القانوني** جيدا خلفية وأهداف السياسة الإسبانية في المغرب العربي ووضع الموريسكيين ووجوب العمل على تقوية الوجود العثماني في البحر المتوسط الغربي، وهذا وفقا للإستراتيجية العسكرية التي يسعى خير الدين إلى تنفيذها وتحقيقها.

وقد سلم السلطان **سليمان** إلى **خير الدين** شخصيا بتاريخ 6 مايو 1534م علما وصولجانا وسيفا كعلامة تشريفية، واستجابة لهذه الرؤية اتخذت عدة قرارات، منها:

منح **خير الدين** لقب بيلرباي ثم بعد ذلك لقب قبودان باشا أي أمير البحرية العثمانية[3].

وعندما دعا السلطان العثماني خير الدين إلى إسطامبول سنة 1532م، كان السؤال المطروح هو: هل ستحدث حرب في البحر الأبيض المتوسط بين الدولتين العثمانية والإسبانية؟ وهل يتمكن العثمانيون من تحطيم الإمبراطورية الإسبانية؟ وهل يمكن لقوة إسلامية أن تستعيد الأندلس وتصحح المظالم التي تكبدها الموريسكيون الأندلسيون؟

---

(1) نفسه.

(2) حول هذا الموضوع راجع مادة: الجزائر عثمانية في دائرة المعارف الإسلامية:

Marcel . Colombe : « Algérie Turque » . in . Encyclopédie de L'Islam: op. cit . T1 . p: 378-380.

(3) عبد الجليل، التميمي: التشكل الإداري، المقال السابق، ص45.

وانطلاقا من سنة 1519م، عندما ارتبطت الجزائر بالإمبراطورية العثمانية، يمكننا أن نتحسس على ضوء الأحداث خلفية التدخل العثماني في منطقة الحوض الغربي للمتوسط.

وبعد استرجاع قلعة البنيون سنة 1529م من يد الإسبان، وهو الأمر الذي كان وراء إرساء الوحدة السياسية والإدارية لإيالة الجزائر العثمانية[1]، والنقطة المركزية في الصراع بين الدولتين، العثمانية والإسبانية، أصبح يطلق على أيالة الجزائر اسم (مسرح الحروب)، وتنعت بالقاعدة الخلفية في الجناح الغربي المتوسطي للدولة العثمانية[2].

إن استقرار الحكم العثماني بالجزائر، و(عثمنة) فضاء المغرب الأوسط، وتزايد عمليات الجهاد البحري، أدت كلها إلى تغيير الخارطة الجغراسياسية لمنطقة البحر المتوسط الغربي، ليصبح الصراع العثماني الإسباني ذا أبعاد عالمية، وبموجبه أصبحت إيالة الجزائر محورها الرئيسي، وخاصة بعد تدفق تيار الهجرة الأندلسية على سواحل شمال أفريقيا، والدور الفعال الذي قامت به البحرية الجزائرية العثمانية في عمليات الإنقاذ. ويرى المؤرخ الجزائري **سعد الله** أن الدولة العثمانية دخلت رسميا في الحرب ضد إسبانيا بعد أن أصبحت الجزائر إحدى إيالاتها في شمال أفريقيا[3]

وقدر للجالية الأندلسية التي بدأت هجرتها منذ سقوط دولة الموحدين ثم ازدادت بصورة ملحوظة منذ مطلع القرن السادس عشر، أن تلعب دورا بارزا في تاريخ المغرب الأوسط.

---

(1) جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 60.

(2) نفسه.

(3) أبو القاسم سعد الله، ج1، ص 130

القسم الثالث:

الحضور الأندلسي في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء وثائق المحاكم الشرعية.

شهدت الجزائر هجرة أندلسية واسعة وهامة خلال مراحلها الثلاث الكبرى نحو [illegible]، إلا أن الوثائق المتعلقة بها وبالجالية الأندلسية محدودة، والموجود منها ما يزال [illegible] موزعا عبر مختلف أرشيفات دول البحر الأبيض المتوسط، زيادة على وضعية [illegible] الأندلسية بالجزائر وطبيعة الحكم العثماني بالإيالة، وكلها أمور جعلت [illegible] الموريسكية الأندلسية بالجزائر تتأخر عن مثيلتها بتونس والمغرب الأقصى[1].

[illegible] عرفت الجزائر خلال المرحلة الأولى من الهجرة الأندلسية التي تمتد من [illegible] إلى 1492م، وصول موجات هامة من هؤلاء المهاجرين الذين تضاعف [illegible]، وذلك موازاة مع حركة الاسترداد المسيحي (Reconquista)، وسقوط [illegible] الإسلامية الكبرى بالأندلس كقرطبة 1236م وبلنسية 1283م وإشبيلية [illegible]م، إلا أن حظ مدينة الجزائر من هذه الهجرة التي شكل معظم صفوفها رجال [illegible] والثقافة، قد كان ضعيفا نسبيا بمقارنتها بالأعداد الهامة التي نزلت على بجاية [illegible] وتلمسان الزيانية، لكونهما المدينتين اللتين كانتا تعدان من أهم المراكز [illegible] في المنطقة، وللعلاقات الزيانية – الأندلسية السابقة من جهة أخرى.

[illegible] تأسيس الحكم العثماني بمدينة الجزائر (1520)م، كأولى قاعدة عثمانية [illegible] الصراع الإسباني – العثماني[2] والنشاط البحري الذي بذله الإخوة بربروسة

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) أثناء القرنين السادس والسابع عشر، حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، الجزائر 1993، ص 107-129.

(2) [illegible] التحرك العثماني في شمال إفريقيا ونجاح خير الدين بربروسا في ربط إيالة الجزائر بالدولة العثمانية، [illegible] في إسقاط قلعة البنيون الإسبانية سنة (1529)، ثم فتحه لتونس سنة 1534، والانتصارات المتلاحقة

في الحوض الغربي من البحر المتوسط من حملات بحرية واسعة على السواحل الإسبانية، واستغاثة الموريسكيين ونقلهم، كل ذلك أعطى لمدينة الجزائر سمعة وشهرة في المنطقة واستقطاب أنظار ليس فقط لحكومات شارل الخامس (1516م-1556م) وفليب الثاني (1556م-1598م) لتكثيف حملاتهم للحد من التوسع العثماني في المنطقة، ولكن كذلك أنظار العديد من مهاجري المرحلة الثانية التي تبدأ بسقوط غرناطة (1492م)[1] لاختيار مدينة الجزائر كملجأ والحكم العثماني كنفوذ مجدد ومناسب لآمالهم، ولهذا ربطوا مصيرهم بالأتراك العثمانيين[2].

ولا نبالغ إذا قلنا أنه كان لهؤلاء المهاجرين دور فعال في تثبيت الحكم العثماني بالجزائر، وهذا للمساعدات التي قدموها للأتراك للتصدي للحملات الإسبانية من جهة والقضاء على الإمارات المحلية من جهة أخرى.

1- الأندلسيون والنشاط الاقتصادي:

استطاع أفراد الجالية الأندلسية بفضل نشاطهم الاقتصادي الواسع تكوين ثروات ضخمة ساهمت في فعاليات اقتصاد إيالة الجزائر، وكان الأندلسيون يمارسون

= جعلت الملك الإسباني شارل الخامس يتحرك إيمانا منه بأن العثمانيين يمثلون تهديدا مباشرا لأمن المسيحيين ولممالكه بأوربا.

انظر: التفصيلات حول الموضوع في المقالات التالية:

- عبد الجليل ،التميمي، الخلفية الدينية للصراع الإسباني-العثماني على الإيالات المغربية في القرن السادس عشر المجلة التاريخية المغربية، العدد 10-11، تونس، جويلية 1978، ص5-44.

- عبد الجليل، التميمي: "التشكل الإداري والجغراسياسي للايالات العثمانية بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب (1557-1588)"، في كتاب تحية تقدير للأستاذ خليل الساحلي أوغلو جمع وتقديم: د. عبد الجليل التميمي، تونس، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، أكتوبر نوفمبر 1997، ج2 ص 451-466.

(1) محمد عبد الله، عنان: نهاية الأندلس ص 240-245.

(2) عبد الجليل، التميمي: رسالة من مسلمي غرناطة ص 37-47.

... المعروفة آنذاك، حيث تخصصوا في مختلف الحرف السائدة في مجتمع الجزائر، ... أحد المؤرخين نشاط الأندلسيين بإيالة الجزائر، مقارنة مع نظام الطوائف ... بأنها تمثل النخبة البورجوازية التي تحتكر دواليب الحركة الاقتصادية، ... هذه الجالية بمثابة المؤشر المالي للرأسمالية الحديثة في الجزائر العثمانية(1).

وقد امتد نشاط أفراد الجالية الأندلسية في الجزائر إلى كافة مجالات الأنشطة ...ادية، واستطاعوا أن يلجوا أبواب معظم الحرف المهنية والحرفية، واحتكروا ...ال بها، ويمكن تقسيم الحرف المهنية التي اشتغل بها الأندلسيون في الجزائر إبان ... العثماني إلى مجموعتين أساسيتين:

الحرف الصناعية التي ارتبطت في بعض جوانبها بالنشاط التجاري.

حرف خاصة بالأعمال غير الصناعية كالدلالة والحياكة.

... أوضحت وثائق الوقف الخاصة بسجلات المحاكم الشرعية نشاط ... بالجزائر، حيث تعطي لنا فكرة عن المهن والصنائع، وللوقوف على ... الحرف وأهميتها الاقتصادية، لا بد من وضع قائمة بها من واقع المحاكم ... التي سجلت اشتغال الأندلسيين بها، وبفحص سجلات المحاكم الشرعية، ... أن كثيرا من أصحاب الصناعات الحرفية في الأوساط الأندلسية، تتصل ... بالألقاب المهنية، مثل الحوكي بن محمد الأندلسي، والحداد محمد ...، وصانع الشواشي الحاج علي بن الحسن الأندلسي، والعطار أحمد بن ... الأندلسي، وصانع الصابون علي بن عمر الأندلسي، والخياط يحيى(2).

---

(1) Denis . Brahimi . Quelques jugements sur les maures Andalous dans les r... turques: in . R.H.C.M. . (N°9) . Juillet 1970 . p. 39-40.

(2) ... "سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع ... الجزائر في العهد العثماني"، مجلة إنسانيات، وهران، مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية ... 3، 1997، ص. 60-86.

ومن أهم الحرف التي اشتغل بها الأندلسيون في الجزائر في العهد العثماني صناعة النسيج والملابس وحياكتها، وقد قدر عمال النسيج في مدينة الجزائر في الربع الأول من القرن السادس عشر بما لا يقل عن 3000صانع، كما اشتهرت مصانع الحرير الأندلسية في مدن الجزائر والقليعة وشرشال وبرشك بجودها، و كان الجزء الأكبر من هذا الإنتاج يصدر خارج الجزائر[1]، واشتهرت المناطق الغربية من الجزائر بصناعة الزرابي ذات الطابع الأندلسي، وخاصة في مناطق هنين وتلمسان وقلعة بني راشد[2]، كما اهتم الأندلسيون بدباغة الجلود وصناعة الشاشية والأنسجة الحريرية، واشتهرت عائلة القلانسي وبوناتير بحي باب الواد بصناعة الشاشية[3]، واختصت عائلات أندلسية بصناعة المخمل (القطيفة)[4]، وسيطر أهل الأندلس على مصانع الأسرجة والنسيج والإسكافة والحدادة بتلمسان وقسنطينة، وامتازت زرابي تلمسان وشرشال بأسلوب أندلسي راق[5].

2 – الأندلسيون والنشاط التجاري:

قدر لأبناء الجالية الأندلسية الذين استقروا بالجزائر في العهد العثماني، أن يكون لهم دور المشاركة الفعالة التي كانت أبرز أوجهها محصورا في التجارة، فقد امتدت المتاجر الأندلسية في مدينة الجزائر وخاصة في الشارع الممتد ما بين باب عزون إلى باب الواد المتفتح على حومة الأسواق الرئيسة أسفل المدينة.

---

(1) Haedo (F. Diego de) . Topographie et histoire général d'Alger . trad . Mannereau et A. Berbrugger in R. A(N°14) . 1871 . P495..

(2) محمد ،الطمار: تلمسان عبر العصور، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص237

(3) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني): الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص141.

(4) نفسه.

(5) . bibliographie commentée des Morisques Martine .Ravillard . doucement imprimés de leur origine à 1982 . thèse inédite . paris 1980 . p. 146. .

الأسواق في مدينة الجزائر العثمانية تتمركز في شارعين، ففي الشارع من سوق الكتان وسوق الزيت وسوق الشمع وسوق الفكاهين وسوق الصباغين وسوق الحديد وسوق الشمع وسوق الخضارين الثاني نجد سوق السمن وسوق القيصارية، وبهذه الأسواق كانت والحمامات والفنادق[1]

اتسع نشاط هؤلاء التجار الأندلسيين، وبخاصة تجارة بيع الأسرى وتمويل مشاريع الجهاد البحري، وهي مؤسسات حيوية وهامة ظلت لمدة موردا هاما للرزق ومصدرا للثروة وعاملا حاسما في تنشيط الحركة بالجزائر، كما كانت حكرا على أفراد الإدارة العثمانية.

وأصبح للأندلسيين فائض مالي كبير، وكان لا بد من البحث عن ميادين إلى جانب عملهم التجاري لاستثمار فائض رأسمالهم فيها، وكانوا حريصين على أن تعطى لهم هذه المجالات الاستثمارية ربحا، وتميز الثغريون[2]، الأكثر تحالفا ونشاطا مع السلطة الحاكمة من بين مختلف الفئات الأخرى الجالية الأندلسية، وذلك لنوعية النشاط الممارس وتمركزهم بمدينة الجزائر الحكم العثماني، فالثغريون استفادوا من مداخيل القرصنة وبيع الأسرى من تجارة الرقيق بضاعة وتجارة مربحة على حد تعبير أحد الباحثين الغربيين، عاملوا الأسرى الإسبان بسوء وقسوة[3].

وتشير بعض الدراسات بأن عدد الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يباعون في مدينة الجزائر ما بين (1520م-1660م). كان يتراوح ما بين خمسمائة ألف ألف نسمة، كما توجد قصص عن سوء معاملة القساوسة من قبل

---

(1) س، م، ش، علبة: 102-103، علبة: 32، علبة: 1-47، علبة: 5-1.

(2) لقب موريسكيو مدينة الجزائر في العهد العثماني بالثغريين، والثغر هي الحدود، ربما هم سكان منطقة

(3) Haedo .Topographie op . cit . p 68

الموريسكيين، وكان هؤلاء يعملون في تجارة الفداء التي كانت مظهرا هاما من مظاهر مجموع اقتصاد إيالة الجزائر[1].

والحقيقة أن المتتبع لدور التجار الأندلسيين وخاصة في مدينة الجزائر، واستثمار أموالهم في عمليات القرصنة (غنائم الجهاد البحري)، ليقف مندهشا لهذا الدور الذي لعبه هؤلاء في المجال التجاري! حيث اشتهروا بتحصيلهم للضرائب ومساعدتهم للأتراك في تنظيم موارد الخزينة العامة.

ولا غضاضة في أن نعتبر هذه الفئة التجارية طبقا لاتساع نشاطها المالي وبفضل خبرتها التجارية أنها أصبحت تمثل النخبة المدبرة لشؤون القرصنة والتجارة ومبادلة الأسرى في الجزائر العثمانية[2].

وقد شجعت إيالة الجزائر القرصنة وهي التي كانت تدر عليها غنائم طائلة بفضل الموريسكيين الذين يتقنون اللغة الإسبانية ويعتبرون أكثر الفئات علما بدخائل الصراع السياسي والعسكري بالبحر الأبيض المتوسط.

ومن الأمور المتعلقة بثراء الأندلسيين في مدينة الجزائر التي يجب الإشارة إليها، أن كثيرا من أفراد الجالية الأندلسية إلى جانب استثمارهم للعقارات قاموا بوقف الكثير منها، إما على أنفسهم مدة حياتهم، ثم على ذريتهم من بعدهم أو على أوجه البر وطلبة العلم، أو على فقراء الأندلس وفقراء الحرمين الشريفين.

وجاءت هذه الأعمال لتجنب الأندلسيين لمضرات الزمن، وخاصة تخوفهم من مصادرة السلطات لمثل تلك الأملاك، ومن واقع سجلات المحاكم الشرعية، ما جاء في عقد نشره ابن شنب يتضمن شراء جنة بفحص طريلية من طرف الولية عائشة

(1) جون (ب) وولف، ص 207-214.

(2) Laugier de Tassy . histoire du Royaume d'Alger . paris . ed loysel . 1992 . p.69

... الأندلسي بثمن قدره 1550دينارا، وهذا بتاريخ أواسط شوال ...هـ /1648م[1]، وتشير وثيقة أخرى إلى أن الحاج أحمد بن سعيد الأندلسي ... بفحص السد خارج باب الواد بثمن قدره 3000دينارا، وذلك بتاريخ ... من عام 1052هـــ/1643م، ومما جاء في الوثيقة[2]: (.المكرم الأفضل ... أحمد بن سعيد الأندلسي اشترى جميع الجنة المذكورة وحقوقها وحرمها ... ومرافقها داخلا وخارجا فيما صحت والخيار بثمن قدره: الجنة المذكورة ... سوقها ثلاثة آلاف دينار، كلها خمسينية العدد[3]) .[4].

... الأندلسيون والحياة الاجتماعية:

لا يستطيع الباحث في تاريخ الجزائر الاجتماعي في العهد العثماني، وفي إطار ... الاجتماعية السائدة آنذاك، أن يغفل الدور الكبير الذي لعبته الجالية الأندلسية ... الحياة الاجتماعية بالجزائر، إن اشتغال الأندلسيين بالعمل التجاري والحرف ... وطلب العلم والتدريس، مكنهم من ربط علاقات واسعة وقوية بمختلف ... وطوائف المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

وقد اشتهرت العائلات الأندلسية باشتغال أفرادها بالتجارة والصنائع، مثل ابن ...ل وابن هني وابن زوان وبرحال وابن تشيكو وابن الكبابطي وابن الشاهد،

---

(1) Bencheneb :" un acte de vente adressé à Alger en 1648 » , in , R , A (N°89) , 1945 , p 287-290.

(٢) لقد حرصنا أثناء نسخ نصوص وثائق المحاكم الشرعية خلال هذه الدراسة على الإبقاء على الصيغة الأصلية، ... حافظنا على الشكل الذي تدم به؛ كي يتعرف القارئ على اللغة المستخدمة، وعلى الطريقة المعتمدة من طرف الموثقين وقتذاك.

(٣) عملة جزائرية أصبحت متداولة منذ العشرينيات من القرن 16م.

(٤) س، م، ش، علبة: 106.

دارا بمدينة الجزائر بتاريخ 1073هـ/1663م، عن طريق الشراء بثمن قدره 6000 دينار ذهبية، وحبسا المنزل لفائدة فقراء الحرمين وفقراء الأندلس مناصفة بينهما[1]، وتكشف لنا الوثائق مدى إسهام الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية والثقافية بما حبسوه من ممتلكات وعقارات على المؤسسات الدينية والثقافية.

وعليه فإن أوقاف أهل الأندلس ما لبثت أن اضمحلت وتلاشت وتقلص مردودها ولم يعد يستفيد منها عام 1837م سوى 71 فردا ينتسبون إلى أفراد الجالية الأندلسية، كما تعرضت زاوية أهل الأندلس إلى الهدم من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1843م[2]، ويرجع السبب في تلاشي العنصر الأندلسي بمدن إيالة الجزائر إلى ضعف نشاط أفراده في الميدان المالي في أواخر العهد العثماني، نتيجة مضايقة واستبداد الحكام الأتراك وقادة الجيش، وهذه العوامل أضعفت إمكانيات التطور الاجتماعي والاتصال القائم على مبدأ العمل والمبادرة الفردية للجالية الأندلسية.

وبالإضافة إلى انغلاق الطائفة التركية على نفسها، ومنافسة جماعة الكراغلة والأهالي، وضعف القبائل المحلية والجماعات الريفية على الوسط الحضري للمدن، حيث تمركزت الجالية الأندلسية، وشيوع البداوة، كلها أمور عملت على طمس المساهمة الأندلسية في مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، وعلى الرغم من اسم الأندلسي (Andalous) الذي وحد أفراد الجالية، فإن اختلاف مصادر الثروة ونوعية النشاط الممارس ومراحل ومكان الاستقرار والتوزيع الجغرافي بالجزائر، كانت كلها عوامل جعلت الحديث عن الأندلسيين بالجزائر لا يكتسي نفس البعد من التشابه والمضمون لدى التحدث عن العناصر الأندلسية بتونس أو المغرب الأقصى[3].

---

(1) س، م، ش، عبلة: 47/1.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات، المرجع السابق، ج2، ص58.

(3) شكيب، بن حفري:" موقف الدولة العثمانية من الجالية الأندلسية بالجزائر ما بين سنتي 1571 و1573"، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية حول الذكرى خمسمائة سنة لسقوط غرناطة (1492-1992م)، ديسمبر 1991، زغوان: سيرمدي، 1993، ج2، ص47.

القسم الرابع

الذاكرة الموريسكية في الكتابات العربية والتراث الألخميادي

1 - الأندلسيون في كتابات أحمد المقري التلمساني (أزهار الرياض نموذجا):

إذا كان الباحثون والمؤرخون الغربيون وبعض الدارسين العرب محظوظين ... للعثور على معلومات تاريخية هامة من المصادر الأرشيفية التابعة لمحاكم ... أول العدول الإسبانية، وكذلك من المخطوطات الألخميادية بمدريد ... جميعها بالتاريخ الموريسكي. فإن المصادر العربية قد ألقت أضواء جديدة ... عدد من التساؤلات. ومن هذا المنطلق فإن المعلومات التي أوردها المقري ...ص الأندلسيين من خلال كتابه: (أزهار الرياض) يقدم لنا إطارا جديدا ...الأندلسيين الفارين من اسبانيا، ومن جهة أخرى منحنا هذا المصدر التاريخي ...مات مفيدة حول مشاعر الكره والحقد ضد الموريسكيين ومواقف السلطات الإسبانية تجاه قضيتهم ومأساتهم.

يهدف هذا البحث إلى دراسة موضوع الأندلسيين من خلال ما أنتجه المقري، ...ال لدقة هذا الفضاء التاريخي حيث حاولنا تسليط الأضواء على أهمية العنصر الأندلسي في الكتابات التاريخية للمقري، وهذا من خلال كتابه (وأزهار الرياض) ...هو لا يزال المصدر الرئيسي للباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب العربي.

ونحن بحرصنا على دراسة مأساة الموريسكيين الحضارية بالأندلس، استنادا إلى مضامين الإشارات التاريخية التي تعرض إليها المقري بخصوص صرخة الأندلسيين واستغاثتهم بالسلطات العثمانية بواسطة قصيدة شعرية أوردها في (أزهار الرياض)، وهي طويلة في نحو مائة بيت[1].

---

(1) أحمد ،المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،(تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري)، القاهرة، 1939-1942،ج1، ص109-11

وابن عمار، وخوجة[1]، ووصف دي تاسي[2]الجالية الأندلسية بطبقة الأغنياء في مجتمع الإيالة الجزائر، فهم يسكنون المدن ويقيمون في منازل كبرى ويملكون الثروة ويتعاطون التجارة وخاصة تجارة الفداء[3].

إن حساسية البعد الثقافي الاجتماعي والاقتصادي بين أهل الأندلس والطبقات الاجتماعية المكونة لمجتمع الإيالة، كانت من العوامل التي دفعت بأغنياء الجالية إلى تأسيس جمعية أشرفت بدورها على إقامة مسجد وزاوية ومدرسة،وذلك في شهر محرم عام 1033هـ/1624م، وكانت هذه الجمعية الأندلسية مكونة من الأشخاص التالية أسماؤهم: محمد الآبلي وإبراهيم بن محمد بوساحل، والمعلم موسى ومحمد شلالة ومحمد بن العنجدون ومحمد السميح وعلي بن عمر ويحيى الخياط[4]، وحبس أغنياء الأندلس على ذلك أوقافا داخل مدينة الجزائر وخارجها، لتنفق على شؤون العبادة وتقديم العون لفقرائهم، وكانت هذه الأوقاف تشمل العديد من الأملاك العقارية والأراضي الزراعية، حيث جعلوا محمد الآبلي مشرفا عليها والذي أصبح فيما بعد وكيل أوقاف الأندلس[5].

(1) ناصر الدين، سعيدوني، "صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر": المجلة العربية، العدد 27، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سبتمبر 1994، ص238.

(2) دبلوماسي فرنسي كان مسؤولا عن القنصلية الفرنسية بالجزائر، بالإضافة إلى أنه كان مندوب للبحرية من طرف ملك إسبانيا في هولندا، زار الجزائر في 1685.

(3) L. de Tassy ، op ، cit ، p.54.

(4) ناصر الدين، سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1988، ج2، ص40.

(5) Devoulx ، » les édifices religieux de l'ancien Alger » in ، R ، A (N°12) ، 1868 ، p. 277-280..

وكان الأندلسيون يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري، وخصوصا لدى العثمانيين، حتى أن بعضهم كان يعين على أوقاف حنفية عثمانية مثل حميدة الأندلسي الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات[1]، ومثل سليمان الكبابطي الذي عينه خضر باشا وكيلا على أوقاف جامع سوق اللوح[2].

وإذا كانت التركات تعرفنا بالثروة المخلفة عن المتوفى، مما يسمح لنا دون شك لدراسة مستوى الثروات، وهو أمر في غاية الأهمية، فهي تعكس لنا شتى مظاهر الحياة المادية التي كان يحياها الفرد من بساطة ورفاهية.

وتفيدنا تركة عائشة بنت أحمد حويجات أنها خلفت حانوتين أحدهما كائن بالخضارين والآخر بالفكاهين قرب شارع باب عزون، واختص الحانوتان بنشاط التجارة وبيع الصابون، وبعد تسوية الإرث الحاصل، اشترى الحاج علي بن حبس الأندلسي صانع الشواشي الحانوتين بثمن قدره 2800دينار، وأشهر على نفسه بأنه بحبسهما لفائدة فقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة وفقراء الأندلس مناصفة بينهما، وجعل الناظر على فقراء الحرمين الحاج محمد بن سالم، والناظر على فقراء الأندلس كلاً من الحاج يحي الخياط وابن محمد الأندلسي[3].

ونقرأ في أحد العقود الشرعية أن جماعة من شرفاء الأندلس وهم على التوالي: الحاج ابن الناسك الخير والحاج ابن محمد بن قاسم والناسك ابن الحاج يوسف بن سليمان والناسك ابن الحاج أحمد بن جعفر والمكرم محمد بن قاسم، أنهم تملكوا

---

(1) تذكر المصادر أن تاريخ مؤسسة سبيل الخيرات يرجع الى سنة 999هـ/1584م، وتدعمت مكانتها في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، حيث أصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد مؤسسة الحرمين من حيث وفرة مداخيلها وكثرة أوقافها، للمزيد راجع:

Tableau de la situation des établissements français :année . 1830-1837 . p. 223.

(2) أبو القاسم، سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص237-238.

(3) س، م، ش، علبة 10، ملف

ولد أحمد المقري ونشأ وتثقف في تلمسان (986هـ-1578م)، وقد ظل وفيا لهذا التكوين الأصلي حتى وهو يتمتع بالجاه والحظوة في القاهرة ودمشق. ...
المقري إلى أسرة ذات علم وصلاح، تعود أصولها الأولى إلى بلدة مقّرة بمنطقة ...
بالشرق الجزائري، استقرت بتلمسان وتولى أفرادها وظيفة القضاء والإفتاء و...
والإمامة. وكانت مصادره تعتمد أساسا على الروايات ومعارفه كشاهد عيان ...
في الأندلس في حياته أو ما أخذ من الجيل الذي سبقه من أهل الأندلس المطرودين[1]
ومن الواضح أن إنتاج المقري غزير وحياته خصبة وتأثيره كبير، وكان يذكر ...
تلمسان وجمالها وهو في المغرب والمشرق وكان يقارنها بفاس ودمشق. وتؤكد بعض
الدراسات إلى أن الفتن التي عاشتها الجزائر في بداية العهد العثماني هي السبب في
هجرة المقري نهائيا من تلمسان إلى فاس[2].

وأوجب المقام في هذا الصدد أن الوطن كان دائما في ذاكرة المقري وهو ...
أشار إليه في هاذين البيتين:

بلد الــجدار[3] ما آمر نواهـــا		كلـــف الفؤاد بحبها وهواهـــا.
يا عاذلي في حبها كـــن عاذري		يكـــفيك منها ماؤها وهواهـــا[4].

ويمتاز المقري بمعاصرته للأحداث (986-1041هـــ/1578-1631م)، إذ عاش في نهاية القرن السادس عشر، وبداية القرن السابع عشر الميلادي، مما سمح له

(1) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ج2، ص212-223. وحول ترجمته يرجى العودة إلى: ناصر الدين، سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، ص 327-336.

(2) لقد كثرت هجرة علماء تلمسان إلى المغرب خلال فترة المقري، وأشار إليها ابن مريم في كتابه: البستان، وابن سليمان في كتابه: كعبة الطائفين.

(3) بلد الجدار هي تلمسان.

(4) - أزهار الرياض، ج1، ص6.

... الأحداث التي تحدث عنها، خصوصا المتعلق منها بالأندلس. إن المعلومات ... عليها مصادر المقري، تقدم لنا إطارا جديدا حول إثارة موضوع ... الاستغاثة الموجهة إلى السلطات العثمانية بعد سقوط غرناطة (1492م). ... أخرى منحنا (أزهار الرياض) معلومات مفيدة حول ظروف الهجرة ... في اتجاه بلدان المغرب العربي ومواقف سكانها من ذلك.

نداء الاستغاثة الشعري:

لقد حفظ لنا المقري القصيدة الشهيرة التي وجهها الأندلسيون إلى الدولة العثمانية في شخص سلطانها **بيازيد الثاني** (886-918هـ/1481-1512م)، وهي ... يستصرخ فيها صاحبها السلطان العثماني ويستغيث به لنصرة إخوانه ...رين[1]، ويصف له ما تنزله إسبانيا المسيحية برعاياها الجدد وما يصيبهم من ... ديوان محاكم التفتيش.

ومن المرجح أن هذه الرسالة أو القصيدة، وجهت بعد انتفاضة البشارات (1501م)، وما تلاه من إجراءات القمع ضد العرب المتنصرين، وذلك حوالي سنة 1501م، وهي تلخص وضعا آل إليه المسلمون في الأندلس بعد سقوطها بيد المسيحيين عام 1492م[2]. لقد كان سقوط غرناطة (1492م) نهاية للحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، وانتصارا للحضارة الغربية المسيحية، فالإسبان جعلوا من سقوط الأندلس مؤشرا لحركة الاسترداد، وتوحيد إسبانيا دينيا وجغرافيا. وقد تضمنت بنود معاهدة تسليم غرناطة حقوقا وامتيازات للمسلمين، سرعان ما تحولت إلى سياسة قمعية وخرق الاتفاقية المبرمة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي،

---

(1) الدراسات الموريسكية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة في إسبانيا، في أعمال المؤتمر العالمي السادس الدراسات الموريسكية الأندلسية، (جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي) زغوان، سيرمدي ،1995.ص 25-27.

(2) ليلى الصباغ: "ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568 والدولة العثمانية"، ، ص 346-347. مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 27، سبتمبر، أكتوبر 1973.

فاستهدفت تنصير وتهجير العناصر الإسلامية قسرا من غرناطة[1]. وإليك بعض ما ورد في تلك القصيدة المؤثرة في وصف أنواع الاضطهاد والتعسف الذي نزل بالموريسكيين، بعد ديباجة نثرية قصيرة وديباجة شعرية طويلة في تحية السلطان العثماني بايزيد:

سلام كريم دائم متجدد		أخص به مولانا خير خليفة
سلام على مولانا ذي المجد والعلى		ومن ألبس الكفار ثوب المذلة
سلام عليكم من عبيد تخلفوا		بأندلس بالغرب من أرض غربة[2]

وانطلاقا من هذه الأبيات يبدأ مشهد المأساة الموريسكية من مختلف الجوانب الإنسانية والحضارية والثقافية، فمن خلال المادة الشعرية التي بين أيدينا، يمكننا حصر هذه المأساة من خلال ثلاث مراحل كبرى[3]:

التنصير القسري:

تؤكد الوثائق المكتشفة في أرصدة محاكم التفتيش أن الإسبان لم يحترموا بنود معاهدة تسليم غرناطة، وحاربوا كل ما هو غير كاثوليكي، ووزعت محاكم التفتيش بيانا كاشفا عن مظاهر اتباع الدين الإسلامي للوشاية بالمسلمين.

وقد تسبب هذا البيان في محاكمة الآلاف من المتهمين الذين وقعوا في فخ الوشاية والحقد والانتقام، وحكم على الباقين بالسجن والجلد والاسترقاق والتهجير.

---

(1) أسعد، حومد، محنة العرب في إسبانيا، بيروت ،1980،ص 107-116.

(2) أزهار، ج1، ص109.

(3) Djemaa,chikha, Les Morisques dans la poésie Andalous , Tunis, 1984 T1, pp.171-180

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم		بـــدأ غـــدرهم فينا ينقص العزيمة
و حان عهودا كان قد غرنا بها		ونصرنـــا مرها بعنف وسطـــوة
غـــدرنا ونصرنا وبدل ديننـــا		ظـــلمنا وعوملنا بكل قـــبيحة[1].

كان الأندلسيون بين رحى التعذيب والهجرة قبل فرض سياسة التنصير وحيث ... ألا يغيب عنا أن الدين قد أثر على فكر وسلوك الإسبان خلال القرن السادس عشر. وعليه فإن التعصب الديني كان قابعا في سياسة ملوك إسبانيا إذ ... عنه الخوف المستمر من بقاء المسلمين بإسبانيا وتواصل الفتوحات العثمانية في ... أوروبا، لهذا لجأت الحكومة الإسبانية إلى تعميم الإرغام على التنصير، والواقع أن النصوص الشعرية صورت مختلف الواجهات لسياسة التنصير:

1- الاحتفال بالشعائر الدينية:

كان لزاما على الموريسكيين حضور مختلف الطقوس المسيحية، وإلا يتعرضون لمصادرة أملاكهم أو السجن وهذا ما سجلته الأبيات:

ومن لم يجي منا لموضع كفرهم		يعاقبـــه اللباط شـــر العقوبة
ويلطـــم خديه ويأخـــذ ماله		ويجعله في السجن في سوء حالة[2]

وللسير قدما في تطبيق سياسة الاندماج، قررت السلطات الإسبانية تحت إشراف الأساقفة، أن كل الموريسكيين يجب عليهم تلقي مراسيم دفن كنسي وأنه يتحكم عليم دفن موتاهم في نفس مقابر المسيحيين.

---

(1) أزهار، ج1، ص113.

(2) نفسه، ج1، ص112.

ومن جاءه الموت ولم يحضر الذي		يذكرهم لم يدفنـــــوه بحيلـــه
ويترك فـــي زبل طريحا مجلـــدا		كمثل حـــمار ميت أو بهيمة[1]

قد توبع الموريسكيين من قبل رجال الكنيسة وأعوان محاكم التفتيش ... الصلاة والصوم، ومنعوا من تأدية الشعائر الإسلامية.

ومن صام أو صلى ويعلم حاله		ففي النار يلقوه على كل حالة
وفي رمضان يفســـدون صيامنا		بأكـــل ورب مرة بعـــد مرة[2].

وظل الموريسكي متمسكًا بعبادته، وهو في السجن وتحت وطأة التعذيب وسيتحول هذا الشعور إلى حقد المسيحيين على الموريسكيين، ويتطور بشكل ... ليتنقل من حقد ديني إلى حقد عام وشامل لجميع التقاليد والعادات الموريسكية.

2- التقاليد والعادات:

أجبر المسيحيون المرأة الموريسكية على التبرج وأكل الخنزير والـ... وبالاختلاط مع الأجانب بالإضافة إلى عدم التلفظ باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل بشتمه أيضا وهذا ما يوضحه البيت التالي:

وقد أمرونا أن نســـب نبينـــا		ولا نذكره في رخاء ولا شدة[3].

الإقصاء الحضاري:

تميزت هذه المرحلة بقيام الموريسكيين بعشرات الثورات ضد التعسف، فكان ... نتيجة السياسة اندلاع ثورة في حي البيازين بغرناطة عام 1502م[4]. ومما لا شك فيه

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) ليلى ، الصباغ، المقال السابق، ص 119.

... الملكين الكاثوليكيين (إيزابيلا وفرديناند: 1474-1516م) كانا على اتفاق مع ... بأعمال التنصير القسري. فقد كان هؤلاء يؤمنون بأن وحدة العقيدة ... هي الأساس الأول الذي يمكنه من توحيد إسبانيا المجزأة، وتمسك المسلمين ... أواصر الصلة بينهم وبين إخوانهم بالمغرب وفي العالم الإسلامي، ولا سيما الدولة العثمانية، ومن ثم فإن تنصير المسلمين وإخراجهم هو الضمان الوحيد ... إسبانيا ووحدتها.[1] وقد واكب هذه السياسة أن اقتلعت إسبانيا جذور ... التاريخية من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية:

أ. الناحية الدينية:

تعمقت روح الكراهية عندما أصدرت السلطات الأوامر بحرق المصاحف ... الآلاف من الكتب العربية الحاملة للعلوم والثقافات والتي قدرها المؤرخون ... الألوف[2]. وكان الهدف من وراء هذه العمليات الإقصائية هو طمس ... الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس وفي هذا السياق تشير القصيدة:

وأحرق ما كانت لنا من مصاحف		وخلطها بالزبل أو بالنجاسة
وكل كتاب كان في أمر ديننا		ففي النار ألقوه بهزء وحقرة[3].

(1) Fernand,Braudel,La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II Armand colin, 2éd, Paris, 1966, T 2, p.577.

(2) نهاية الأندلس، ص346.

(3) أزهار، ج1، ص112.

ب. الناحية الثقافية:

لقد تم القضاء على الموروث الحضاري الإسلامي الذي خلدته الأندلس عبر الأجيال زهاء ثمانية قرون، حيث تشير القصيدة إلى ذلك صراحة:

ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم		**ولا مصحفا يخلى به للقراءة.**[1]

ج. الناحية الاجتماعية:

منعت السلطات الإسبانية الموريسكيين من ارتداء الملابس العربية وأجبرتهم على تغيير أسمائهم العربية الإسلامية إلى أخرى إسبانية مسيحية.

وقد بدلت أسمائنا وتحولت		**بغير رضا وغير إرادة.**[2]

وبإلحاح من البابا بروما أصدر ملك إسبانيا فيليب الثاني (1556-1598م) قرارات ذات تدابير صارمة في حق الموريسكيين منها توصيات اقترحها رجال الكنيسة يمكننا حوصلتها في النقاط التالية:

- منع استعمال الألبسة العربية.

- إجبار الموريسكيين على ترك أبواب بيوهم مفتوحة أيام الجمعة والأعياد.

- يمنع النساء من التنظيف ودخول الحمامات.

- يمنع على المرأة الزواج طبقا لمبادئ الشريعة الإسلامية.

(1) نفسه.
(2) نفسه.

منع الآباء من تلقين أبنائهم الشعائر الإسلامية.

إجبار الأطفال على حضور الحفلات الدينية المسيحية في الكنائس(1).

وقد تعرض الموريسكيين الذين كانوا يعيشون في مختلف مناطق الأندلس إلى ... جماعية وهذا حسب ما ورد في القصيدة:

وقد بدلت أسمائنا وتحولت		بغير رضا منا وغير إرادة(2).
فسل وحرا عن أهلها كيف أصبحوا		آسارى وقتلى تحت ذل ومهانة.
وسل بلفيقا(3) عن قضية أمرها		لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة.
ومنياقة(4)بالسيف مزق أهلها		كذا فعلوا أيضا بأهل البشرة(5).
والدرش بالنار أحرق أهلها		بجامعهم صاروا جميعا كفحمة(6).

الطرد:

ومن المعروف أن ترتيبات إقصاء الموريسكيين من إسبانيا وطردهم كان من ... الجوهرية المقاومة المستمرة التي أبداها المسلمون في الأندلس طوال خمسة ... (1492-1609م)، لذلك أصدر فيليب الثالث (1598-1621م) بتاريخ 22 ... الثانية 1018هـ الموافق لـ 22 سبتمبر 1609م، مرسوما ملكيا يقضي بطرد ... الموريسكيين. وجاء تبرير الملك حول هذا الطرد «**لقد حاولت منذ سنين**

(1) لوي، كاردياك، المرجع السابق، ص43.

(2) نفسه.

(3) قلعة بالمرية، أنظر: أزهار، ج1، ص41.

(4) البشارات جبل بمنطقة غرناطة.

(5) Djemaa,chikha,op.cit, p 177.

(6) المصادر العربية والأسبانية تؤكد على مثل هذه الجرائم والمثلة في المقابر الجماعية المكتشفة في أسبانيا في ... 1980، وهي تؤكد على صدق هذه الأبيات وكأنها ليست من نسيج خيال البشر.

طويلة على تنصير موريسكي هذه المملكة وإصداري لقرارات العفو المتتالية في شأنهم وبمساعدي رجال الدين في تحويلهم إلى ديانتنا المقدسة لكنهم أصروا على التمسك بدينهم.»(1)

ويتبين لنا عند دراسة بداية المأساة الموريسكية أن نداءات الاستغاثة بدأت بمراسلات مسلمي غرناطة للسلطات العثمانية ومطالبة **بيازيد الثاني** بالتدخل لدى البابا بروما، ومطالبة الأسبان باحترام حرية الأديان بمثل ما يحظى به الرعايا المسيحيين في البلاد الإسلامية، ومن جهة ثانية السماح لهم بالهجرة .و هذاما تعكسه الأبيات التالية:

فسل بابهم أعني المقيـــم برومـــه		**بماذا أجازوا الغدر بعد أمــانـــة**
و ما لهم مالوا علينـــا بغدرهـــم		**بغير أذى من غير جريـــمــــــة.**
و قد بلغ المكتوب منكم إليهـــم		**فلم يعلمـــوا منه جميعا بكلمـــة.**(2)

والذي شجع الموريسكيين على الهجرة صدور فتاوى من طرف فقهاء المغرب و التي أكدت على وجوب الهجرة «**أن الهجرة من أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة ولا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية (الملك) لعنة الله على معاقلهم وبلادهم إلا قصور العجز بكل وجه، وحال الوطن والمال، فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع**»(3). وتجدر الإشارة هنا إلى أن القصيدة تنصح وتحذر الأندلسيين وتشجعهم أيضا على الهجرة، وكأنها تحث

(1) Garcia Arenal, Mercedes,Los Moriscos, Madrid, 1975.,pp.251-254.

(2) أزهار، ج1، ص112.

(3) أحمد الونشريسي، المعيار والجامع المعرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب،(إشراف: محمد حجي)، بيروت،دار الغرب الإسلامي، 1981، ج2، ص121-122.

... النفسية والمادية لاستقبال اللاجئين في الضفة الأخرى من العالم الإسلامي ... على الصعيدين: الشعبي والرسمي.

ومن شـــاء من البحر مؤمنـــا		بما شـــاء من مال إلى أرض عدوة[1].

والواقع أن إسبانيا قد استغلت رخاء الأندلس من خلال هجرة الموريسكيين ... منتصف القرن السادس عشر، وهذا بفضل مصادرة أملاكهم وإرهاقهم ... والتتبع للأحداث التاريخية يلاحظ بأن الأجواء والخلفيات التي حفت ... الطرد، كانت نابعة من إرادة سياسة محضة. لكن القصيدة التي أوردها ... في (أزهار الرياض) تعكس وجهة القرار الذي كانت أبعاده أعمق بكثير ... تتجلى في البعدين البسيكولوجي والاقتصادي معا. فعلى الصعيد ...كولوجي، كان قرار الطرد (1609-1614) يسبب الخوف والقلق المستمر من ... الإسبان شعبا وحكومة والذين شاهدوا بأعينهم تصاعد الثورات والرفض ... الذي أبداه الموريسكيين ضد سياسة التنصير والإدماج. أما على الصعيد ...ادي فيتضح من خلال الحقد والانتقام النابع من نفسية المسيحي تجاه ...ريسكي الذي عرف بنشاطه التجاري والحرفي المميز بالرخاء في إسبانيا ...سيحية.

(1) أزهار، ج1، ص108.

2ـ الحرف العربي: تعبير مقدس في نصوص المخطوطات الألخميادية الموريسكية.

إن فترة الحضارة الأندلسية قد ملأت نفوس الناس إعجابا واعتزازا، باعتبارها إحدى الحلقات الأساسية الفاعلة في فلسفة الحضارة العربية -الإسلامية و... المختلفة، وتطعيم مضمون المعرفة الإنسانية الشاملة حيث منحتنا الأندلس عن ... أمرائها وعلمائها وفلاسفتها وكتابها وفقهائها وشعرائها وعمرائها أفضل ... وأخلدها. فلا غر وأن عزف الناس باحثين ومؤرخين عن دراسة مأساة شعبها ال... حورب في لغته ودينه وهويته وحضارته.

سقوط غرناطة الإسلامية:

كان لسقوط غرناطة سنة 1492م صداه الكبير في الدول المسيحية التي ... جوابا على سقوط القسطنطينية قبل حوالي أربعين سنة (1453م) وكانت ... قد أوجدت دواوين التحقيق (محاكم التفتيش)[1] سنة 1476م لمطاردة ال... واعتبرت المناطق الإسلامية في مملكة غرناطة وشرق الأندلس، والثغر الأ... وقطلونية وإقليمي لامنشا واسترامادو المجال المناسب لقمع المسلمين.

وتولى شارل الأول شارلكان[2] (1516-1556م)، حكم إسبانيا، ... المشرف على سياسة جميع الأراضي الإسبانية ضد المورسكيين، وفي عهده ... عدة مراسيم كانت تهدف للقضاء على أي انتماء عربي إسلامي للموريسكيين ... أبرزها:

---

(1) اسم محاكم التفتيش هو المشهور لدى الكتاب والمؤرخين وأصل الاسم ديوان التحقيق.

(2) ... الأول بالنسبة لإسبانيا، والخامس بالنسبة للإمبراطورية الألمانية، وشارلكان يعني الخامس.

- مرسوم خاص بالملابس الإسلامية ومنعها.
- مرسوم خاص بالذبائح ومنع الطريقة الإسلامية بها.
- مرسوم خاص ببيع العقارات غير المنقولة.
- مرسوم خاص بمنع الكتب العربية ومنع اللغة والأسماء العربية.
- مرسوم خاص بمنع الأسلحة وحملها واقتنائها على الموريسكيين.
- مرسوم خاص بالإرث وتحريمه على المسلمين.
- مرسوم خاص بمصادرة ممتلكات الهاربين من الموريسكيين.
- مرسوم خاص بمعاقبة من يمارس الشعائر الإسلامية.
- مرسوم خاص بالزواج[1].

[illegible] زار شارلكان غرناطة سنة 1526، وقدم له ثلاثة ممثلين عن الموريسكيين [illegible]

[illegible]دون فيرناندي بنيفش، ودون ميخيل دي أراغون، وديغو لوبث بنخارة» [illegible] مظالم إخوانهم وخاصة تلك الأحكام القاسية التي أصدرها المجلس [illegible] في سنة 1518م على الموريسكيين. وخوفا من غضب الإمبراطور، [illegible] لجنة ملكية لتقصي الحقائق، وكانت نتيجة تقرير اللجنة أن أمرت [illegible] بما يلي:

---

(1) [illegible]، شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ط1، بيروت: دار العلم للملايين 1993، ج2، [illegible]

1 - يغفر للموريسكيين ما ارتكبوه حتى عام 1526م.

2 - منع الموريسكيين من استخدام اللغة العربية سواء في المحادثة أو الكتابة وعليهم تعلم اللغة الإسبانية.

3 - عدم ارتداء الملابس العربية وارتداء الملابس الإسبانية.

4 - حظر استخدام الحمامات.

5 - منعهم من ممارسة الاحتفالات والتقاليد الإسلامية.

6 - نقل محاكم التفتيش من جيان إلى غرناطة لمراقبة الغرناطيين وهم أكبر تجمع موريسكي في اسبانيا زمنئذ ومركز انطلاق الثورات.

7 - فرض التنصير وإطلاق أسماء إسبانية على المواليد الجدد[1].

قضى الملك الإسباني فليب الثاني (1556-1598م) على آخر ما تبقى من السياسة المعتدلة التي حاول أن ينتهجها أبوه شارل الخامس، فأصدر عدة مراسيم تبين من جهة مدى الفزع الذي أصابه من الغزو الإسلامي الجديد للمنطقة وتبين من جهة أخرى مدى التأثير الذي يمارسه رجال الكنيسة على الملك لجعل السياسة في خدمة الدين، ومن جملة المراسيم التي أصدرها الملك، الأوامر الصادرة عام 1566[2].

وقد صدرت توصيات هامة منها:

- منع استعمال اللغة العربية، ويمنح الموريسكيون مهلة ثلاثة أعوام لتعلم اللغة القشتالية، وكل المعاملات والعقود بهذه اللغة تعتبر باطلة.

- منع استعمال الألبسة العربية.

(1) مصطفى، شاكر،المرجع السابق، ص 1336.
(2) تدخل البابا وأبلغ فليب الثاني بضرورة اتخاذ تدابير صارمة بحق الموريسكيين حيث يبقون على عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية.

إجبار النساء الموريسكيات على كشف وجوههن.

- إجبار الموريسكيين على ترك أبواب بيوتهم مفتوحة في أيام الأعياد لمراقبة ما ... فيها.

- يمنع الموريسكيون منعا كليا من امتلاك العبيد[1].

والجدير بالذكر أن المؤرخ الفرنسي بروديل (Braudel) قد أشار في دراسته ... : «أن المشكل الموريسكي صراع ديني، وبمعنى آخر أعمق صراع حضاري، وهو بهذه الصفة يصعب حله وبالتالي فهو مدعو لأن يستمر»[2]. وبالفعل فقد كان كل طرف متشبثا بهويته الحضارية، بل ويحاول أن يستوعب الآخر في إطار المواجهة ورفض الاندماج.

لقد كان المويسكيون هدفا لكراهية شاملة من طرف المسؤولين ورجال الدين ومحاكم دواوين التفتيش حيث ضيقوا عليهم الخناق وقطعوا عليهم الطريق والأمل وافتكوا منهم كل عناصر مقومات حياتهم، فأصبحوا في أواخر القرن السادس عشر كلهم يجهلون اللغة العربية ويتكلمون اللغة القشتالية. وهذا ما يسفر وجود ما لا يقل عن ثلاثمائة مخطوط في العالم حررت بالأحرف العربية ولكن باللغة القشتالية وهو ما أطلق عليه بالألخميادو.

وقد ترجمت هذه المخطوطات عن معاناتهم اليومية للحفاظ على انتمائهم العربي الإسلامي وتشبثهم المستميت بثقافتهم وحضارتهم. مع العلم أن التعصب الديني الأعمى كان وراء حرق مئات الآلاف من المخطوطات العربية في الساحات

---

(1) محمد، رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م،ط3، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991،ص90-91.

(2) Fernand, Braudel, la Méditerranée…,op.cit, T2, P.402.

العمومية بالأندلس، وهي المخطوطات التي ترجمت عن فلسفة الحضارة العربية الأندلسية والتي تعتبر بحق إحدى الحلقات الذهبية في مسيرة الفكر البشري.

لقد قضت السياسة الإسبانية يومئذ بتهميش المجتمع الموريسكي وتجهيله تماما بعد أن قدم هذا المجتمع رصيدا فنيا وحضاريا ومعرفيا لم تعرفه مجتمعات البحر الأبيض المتوسط الأوروبية إلا بعد عصر النهضة، لقد حرمت عليهم تعليم اللغة العربية وأمرت بالاستيلاء على كل المدارس وملاحقة الفقهاء والمعلمين الذين كانوا يؤمنون سرا تعليم الأطفال المسلمين، ومنعت الالتحاق بالجامعة ولا الحصول على الثقافة العلمية وهذا بسبب قوانين صفاء الدم[1].

في حين كانت جامعات الأندلس مفتوحة أبوابها لكل الطلاب مسلمين ومسيحيين ويهود، هو ما يترجم واقعا وحقيقة عن عالمية المعرفة العربية الإسلامية، وفي هذا العدد تشير بعض الوثائق الإسبانية إلى محاكمة أحد الموريسكيين من طرف محاكم التفتيش ومعاقبته بـــ 200 جلدة وقضائه خمس سنوات كجذاف على ظهر السفن الملكية الإسبانية ومصادرة أملاكه، والسبب هو العثور على عدد من الكتب العربية في بيته[2].

(1) جاكلين فورنال، قارين "الصيدلية الموريسكية وممارسة الطب لدى المجموعة الموريسكية بمنطقة أرغوان 1540-1620" (تعريب: د. عبد الجليل التميمي)، المجلة التاريخية المغربية، العدد 15، 16 – تونس، جانفي 1979، ص 50-52.

(2) لوي، كارادياك، الموريسكيون ...،المرجع السابق، ص 69.

الإقصاء الحضاري:

..اك دراسات متخصصة تسعى لشرح طبيعة السلوك الموريسكي خلال القرن ... عشر، على ضوء تفكيرهم ومواقفهم وآثارهم الكتابية. وإننا نعلم الشيء ... عن الاحتضار السياسي للموريسكيين، لكننا لازلنا نحتاج إلى تأطير ...ارهم النفسي والثقافي. لقد استعمل الموريسكيون اللغة الإسبانية المعروفة ... الأخميادو -الموريسكي ونسخوها بالأحرف العربية. وقد سجلوا لنا في ... المخطوطات جوانب بالغة الأهمية في صراعهم الحضاري وارتجاجاتهم النفسية، ...اعهم عن هويتهم الثقافية وتمسكهم بمبادئ دينهم(1).

وبسبب السرية والمراقبة التي فرضتها عليهم محاكم التفتيش الإسبانية إلتجأوا إلى ...عمال الأدب الأخميادو. والفترة الألخميادية كتبت بالخط المغربي الذي تعود عليه ..ريسكيو القرن السادس عشر. وهذه النصوص لها مميزاتها السرية، فهي إلى جانب أنها ..كست وجهة النظر الإسلامية من خلال محاولة المسلمين تحديد الموقف بالنسبة لإسبانيا التي مزقتها الحروب، إلا أنها من جهة أخرى بينت أن الموريسكيين على الرغم من عدم قدرتهم على استعمال اللغة العربية لغة أجدادهم العلماء الأندلسيين، فقد أظهروا التشبث بها، وهذا على الرغم من تحريم استعمالها رسميا، عن طريق عدد من

(1) نصبت مجموعة من اهتمامات الباحثين المعاصرين على مثل هذه المخطوطات وبرزت على إثرها أسماء لكبار الباحثين في حقل الدراسات "الألخميادية" كالبروثاليس (Alvaro Galmes) وأطمار هيثي (Ottmer Hegyi)، ومانويل آلبار (Manuel Alvar)، وكشفت نظرياتهم عن مدى أهمية الجانب اللساني في هذا التراث، وإجماعهم على بروز فعالية روح المقاومة عند الفرد الموريسكي الذي جابه عصره بتحدياته المجسدة في ابتكار مثل هذا النوع من الثقافة المزدوجة.

للمزيد من التفاصيل راجع:

عبد الله، حمادي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616، الجزائر: الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 107-108.

المراسيم خلال القرن السادس عشر. كما يفسر أن عددا كبيرا من هذه المخطوطات بحكم سريتها لم تكشف وتدرس إلا منذ زمن قصير جدا. وقد اكتشف بعضها عن طريق الصدفة مختبئة في أعمدة البيوت أو سقوف البيوت الإسبانية[1].

يعتبر هذا الأدب التنبئ وهو ما أطلق عليه بالألخميادو -الموريسيك، ذي الروح اليائسة والمعقدة، بمثابة انقلاب إجباري وقع للموريسكيين في نهاية القرن السادس عشر، واعتبره المؤرخون كمصدر تاريخي بالنسبة لأحداث القرن السادس عشر، حيث توجد به حقائق للصراع الدائر بين الموريسكين والمسيحيين[2].

ترك الموريسكيون تراثا ثقافيا، عمد مؤلفوه إلى تسجيله بلغة خاصة وجديدة تعد من ابتكاراتهم، والتي اصطلح على تسميتها باللغة الألخميادو -أي الأعجمية- وقد جاءتها هذه التسمية الغربية من كونها اعتمدت في التعبير عن معانيها اللهجة (الرومنثية) الإسبانية - وهي العامية اللاتينية، وقد سجل هذا التراث الثقافي الموريسكي، واعتمد الحرف العربي كإطار خارجي عوض الحرف اللاتيني.

وتؤكد المصادر التاريخية على امتداد هذه الثقافة الهجينة في إسبانيا طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين[3].والمخطوطات الموريسكية هي نتاج مرحلة ارتبطت زمانيا ومكانيا بالصراع الحاد في إسبانيا بين ديانتين ونظامين حضاريين يختلفان سياسيا واجتماعيا وثقافيا.

---

(1) حول استعمال الأدب الألخميادو-الموريسكي في إسبانيا. راجع الدراسة القيمة

Nejib, Ben Jemia, la langue des derniers musulmans de l'Espagne, Publications de l'université de Tunis 1987, p.138.

(2) لوت لوباز، بارالت "النبوءة في الأدب الألخميادو-الموريسكي الأندلسي من خلال مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس" (تعريب: عبد الجليل التميمي)، المجلة التاريخية المغربية، العدد 21-22، تونس جويلية 1981، ص 50-61.

(3) عبد الله، حمادي، المرجع السابق، ص 103-107.

و ـ لبت الاداب الأعجمية انتباه اللغويين نظرا للأهمية التي تنطوي عليها ا ا يها البيانية واللسانية وتفاعل الحرف العربي مع المعنى الأعجمي، وهو ما أفضى ا. ـ دمختصين بمجموعة هامة من الأنماط الصوتية ساهمت في كشف العديد من ا...ا١ا الألسنية المعقدة. كما كان لها فضل في كشف التباين بين الأصوات في ..ـ ا، اللغات المتوسطية[1].

ولعل الأقليات الموريسكية حين استعمالها للثقافة المزدوجة كانت تهدف إلى ا ا.ا.ا. على المقومات الشخصية وإنقاذها من خطر الذوبان والإندماج، ولعل ا ـ ار الحرف العربي كمظهر خارجي للتبليغ من طرف الموريسكيين، يبقى بمثابة ا. ا، الإسلامي أو القناع الواقي وهو ما ينفك يلوح كعلامة على مدى التلاقي ا ا.اي بين الحرف العربي والبعد الروحي عند الإنسان المسلم المضطهد. ولعل ..ي ظاهرة الاقتراض من اللغة العربية وخاصة حين يتعلق الأمر بالشعائر الدينية ا ـ. ظاهرة ملفتة للانتباه داخل هذا التراث المتبقي والمسجل بعزيمة المقاومة.

ونجد تأثير اللغة العربية في الآثار الأدبية المورسكية من خلال حضورها البارز ، إطار الأعمال والاقتراض والاشتقاق والاقتباس من كل ما يمت بصلة للغة الـ بية. وخاصة إذا تعلق الأمر بالمفاهيم الاصطلاحية الفقهية، وفي هذا السياق ..ير وثيقة ألخميادية تحت رقم 5053 موجودة بالمكتبة الوطنية بمدريد، حيث .ـنمن مسائل حول نزول القرآن، والوحي، وعلاقتها بالمسيح عيسى عليه السلام ، حيث طرح أحد الباحثين إشكالية حول أهمية النصوص الألخميادية وعلاقتها .الموروث اللاتيني والإغريقي المعروف بالرصيد الكلاسيكي، وعن إمكانية فهم الـصوص الألخميادية وحل رموزها من خلال الرجوع إلى استعمال اللغة العربية[2].

---

(1) نفسه، ص 108.

(2) Reinhold, Kon Tzi, « La ascension del profeta Mahoma a los cielos en manuscritos Aljamiados y en el manuscrito arabe M 518 », in, A.S.I, du C.I.E.M, sur « Religion, identité

لقد خلد الموريسكيون رغم القهر والحصار مجموعة من الآثار الفكرية والأدبية يمكن حصر محاورها الرئيسية في المجالات التالية:

1 - كتابات ذات الموضوعات الدينية، وتشكل نصف التراث المتبقي من ذاكرة الموريسكيين، حيث حرص هؤلاء منذ سقوط غرناطة عام 1492 على ترجمة كل ما هو ديني إلى اللغة (الألخميادية) لتقريب المفاهيم للأقليات الموريسكية حتى لا تفقد رباطها الحضاري مع موروثها.

2 - كتابات ذات طابع قصصي، استمد مادته الأولى من تاريخ الفتوحات الإسلامية والمغازي.

3 - كتابات ذات طابع جدلي، والتي خصّصها الموريسكيون للدفاع عن العقيدة الإسلامية وإثبات صلاحية الرسالة الإسلامية[1].

4 - كتابات فقهية، والهدف منها تنظيم حياة الموريسكيين الدينية والاجتماعية[2].

إن هذا الجانب من التراث الموريسكي، يعتبر مجالا واسعا للدراسات المعاصرة التي أبهرت قدرة الموريسكي في استعماله لغة ذات ثقافة مزدوجة خلدت الذاكرة الجماعية للموريسكيين في زمن الاضطهاد، وعبرت عن الشتات الذي كان يعاني

---

et sources documentaires sur les morisques Andalous », (Etudes réunies et présentées par A.Temimi), P.I.S.D. N° 4 ,Tunis, 1984, T2, PP.45-54.

(1) قام المؤرخ الإسباني ألبارو بنشر دراسته حول الثقافة والفكر الموريسكي من خلال اللغة الألخميادية، وأشار إلى رفض هذه الجماعة لفكرة الاندماج مع المجتمع المسيحي. ووصل إلى أن الأدب الموريسكي يعد إطار مرجعيا للأدب الإسباني في بداية العصور الحديثة.

(2) عبد الله، حمادي، المرجع السابق، ص 116.

... ورجمت المستوى الثقافي الذي بقي من الثقافة الأندلسية التي انطفأ نورها ...ط غرناطة 1492م.

التأثير اللغوي المزدوج:

إن موضوع التأثير اللغوي المزدوج ينحصر أساسا في مسألة الإسهام الأندلسي ... في مجال اللغة. والواقع أن هذا النوع من الإبداعات الأدبية، ساهم بمستواه ... والأدبي على عقد مقارنات، ومقاربات وموازنات. ومن هنا يمكننا رصد ...مة العربية في الحضارة الإسبانية في العصر الوسيط وخلال القرن الذهبي وذلك ... لأطروحة أمير كوكاسترو[1].

وسنقدم بداية نبذة عن الصلات اللغوية بين الأندلس وإسبانيا المسيحية. ففي ...اب صدر سنة 1970[2] ، بين وولف بأن مفردات عربية وفيرة دخلت إلى اللغات الإيبرية بلغت نحو 4000 كلمة[3]. وأن عددا كبيرا من المفردات العربية ما زال ...كل حتى يومنا هذا مصطلحات الري، بدءاً بكلمة noria، التي انتقلت إلى الفرنسية عبر الإسبانية وهي مأخوذة عن كلمة (ناعورة) العربية، وهذه بعض الأمثلة الأخرى acquia (ساقية)، Aberca (بركة). Azuda (سد)، alqantiralla (قنطرة). كما توجد نسبة كبيرة من المفردات العربية في ميدان علم النبات، حيث ...هد غالبية أسماء الفواكه وأزهار الحدائق في الإسبانية على مدى ما استعارته من

(1) تم تسليط الضوء على غلبة التأثير العربي في الحضارة الإسبانية خلال العصر الوسيط والقرن الذهبي من قبل ...استرو حيث انجر من خلال البحث اللغوي إلى معاينة بعض التعبيرات والتنبيه إلى استيراد بعض المفردات المتعلقة بقطاعات حياتية بالغة التنوع.
انظر: أميريكو، كاسترو، اسبانيا في تاريخها، مسيحيون ومسلمون ويهود، بيونس أيرس، 1948 (بالإسبانية).
(2) فليب، وولف، الأصول اللغوية لأوروبا الغربية، باريس 1970، (بالفرنسية).
(3) نفسه، ص 76.

العربية، ومن بين أشهر هذه الأسماء abaricoque (برقوق)، arriz (أرز)، naranje (نارنج - برتقال)، Limon (ليمون)، algodon (قطن)، aceituna (الزيتونة).

وطبيعي أن كيانا سياسيا وفضاء حضاريا من حجم الأندلسيين، جدير بإثارة اهتمام المفكرين والمؤرخين واللغويين. ومن هنا سنتوقف عند التأكيد على تعامل اللغة العربية في المصطلحات القروسطية وحتى الحديثة للمؤسسات الإسبانية فمفردات التحصين، والحياة المدنية، وكذلك الأنشطة التجارية، كل ذلك ما زال يحمل حتى اليوم ميسم الحضور العربي في إسبانيا، وهو ما تمثل عبارات، alcala (القلعة) وTapia (السور) وadobe (الذباع) وAlbanil (البناء) وatalaya (البرج).

وقد بينت مؤخرا بعض الدراسات مدى التأثير العربي في التسمية الإسبانية للموازين والمكاييل والنقود (Fanega, quintal)، وبعض وظائف السلطة المدنية مثل (صاحب المدينة)، و(صاحب الشرطة)، ثم تبنيها من قبل المسيحيين الإسبان تحت اسم Zalmedina وZavazirda. أما أمين التجار فقد احتفظ طويلا باسم almotacen، وهي صيغة محرفة مأخوذة من كلمة العربية (المحتسب).

وتكثر في أسماء الماكن الإسبانية الحالية، الاستعارات العربية، سواء تعلق الأمر بالأنهار مثل Guadalquivir (الوادي الكبير)، أو بالقلاع مثل Almodavar (المدور) أو بالمدن مثل calatayud (قلعة أيوب)[1].

---

(1) بخصوص التأثيرات العربية، يمكن الرجوع إلى الكتب التالية:

- دوزي وإنغلمان، معجم الكلمات الإسبانية والبرتغالية المتأتية من العربية، ليدن، 1869.

- فيليبي مايو، سالفادو، الآثار العربية في اللغة القشتالية في العصر الوسيط (اعتبارات تاريخية وفيلولوجية) شلمنقة، 1983.) (الإسبانية)

وقد سبق لإيفير يستوليفي– بروفنسال، أن لاحظ أهمية الظاهرة اللغوية وأن قال ... الاستعادات في هذا العدد: «تبين، أفضل من كل الوثائق التاريخية التي حوزتنا، ... الحضاري الحقيقي الذي مارسته الأندلس على إسبانيا المسيحية»[1].

وقد سلط أمير يكوكاسترو الضوء على عادة إسلامية بقيت سارية في إسبانيا ... القرن الثامن عشر، تلك المتمثلة في جلوس النساء على مصطبة، تسمى la ...، مغطاة بالسجاد وبين الكاتب أن العديد من صيغ المجاملة المستعملة في اللغة الإسبانية متأتية من العربية. وهناك رواسب إسلامية في قول أحدهم (ésta esu ...) لمن يزور بيته للمرة الأولى. وهي تشير إلى اعتبارات عربية مثل (البيت بيتك).

لقد استطاع الموريسكيون الوافدين إلى مدينة الجزائر من العمل على شيوع لغة ... (langua Franca)[2] ، التي تغلب عليها الكلمات الإسبانية وذلك لكون العديد من العائلات الموريسكية في القرن السادس عشر كانت تميل إلى استعمال ... (اللغة الإسبانية)، وهذا ما أكده بعض الرحالة والقناصل ورجال الدين الأوروبيين الذين زاروا الجزائر أثناء القرن الثامن عشر، أمثال لوجي دي تاسي Laugien de Tassy (1725)، والطبيب شاو (D. Shaw) (1732)، وكوندامين (Condamine) (1731) وغيرهم عن مظاهر التأثير اللغوي الذي يبدو في استعمال ...لة من الألفاظ الإسبانية في لغة التخاطب، وهي لا تزال مستعملة في مناطق

(1) إ.ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، نظرة عامة، طبعة جديدة، باريس 1948، ص 128، (بالفرنسية).

(2) هذه اللغة كانت عبارة عن صبير (لغة التعارف بالإسبانية)، وهي خليط من المفردات العربية والإسبانية والتركية والإيطالية، كانت مستعملة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حتى سنة 1830.
ويعتقد الفرنسيون أنها كانت لغة الموريسكيين. راجع:
M. Emerit, « Le voyage de la condamine à Alger, 1731 », in, R.A (N° 98), 1954, P.375.

عديدة من مدن الجزائر، وقد أثرت في لساننا بواسطة الموريسكيين أو بواسطة الإسبان أنفسهم. والجدول التالي يبين تأثير العربية ببعض الكلمات الإسبانية دون شك:

اللفظ باللسان الإسباني	مدلوله	اللفظ باللهجة الجزائرية
Babor	باخرة	بابور
Barraca	كوخ	براكة
Plaza	ساحة	بلاصة
Blusa	لباس	بلوزة
Pandera	دف	بندير
Bravo	ممتاز	برافو
Placa	لافتة	بلاكة
Balcon	شرفة	بلكون
Duro	نقد إسباني	دورو
Cantina	حانة	كانتينا
Capote	معطف	كبوط
Carro	عربة	كارو
Cocha	الفرن	الكوشة
Kif	النشوة	الكيف
Lambara	مصباح	لامبة
Lata	قطعة من الحديد الأبيض	لاطة
Armoir	خزانة الملابس	الماريو
Marca	النوع - الصنف	الماركة
Sala	قاعة فسيحة	صالة

سندالة	نعل	Sandalia
صباط	حذاء	Zapato
غالطة	خطا	Falta
فبريكة	معمل	Fabrica
فنطزية	المختال	Fantazia
قرداش	آلة تستعمل في كربلة الصوت	Cardas
سمانة	أسبوع	Semana
نانة	كلمة تعظيم للمرأة وفي الإسبانية تستعمل للجدة والحاضنة.	Nana

وأدركنا أن استعمال الموريسكيين للغة الإسبانية في شمال إفريقيا حسبما تقدم هو من باب السعة الثقافية، ومن آداب الخطاب عند العربي الكامل مخاطبة الناس بما يفهمون. ولا غرابة في ذلك ما دامت اللغة كائنا حيا وكل كائن حي قابل للتأثر والتأثير عند احتكاكه بغيره. فكما تأثرت الإسبانية بعديد من الألفاظ العربية يطول ذكرها منها على سبيل المثال لا الحصر[1]:

اللفظ العربي	اللفظ الإسباني
الدوار	Aduar
الديوانة	Aduana
القصر	Alcazar

(1) الكلمات ومرادفاتها بالإسبانية الواردة في الجدول هي من الدكتور هلايلي حنيفي. وقد أنهى جوزيف شتيق نابليون دور دواوين التحقيق في إسبانيا سنة 1808م.

Alcazaba	القصبة
Alcoba	القبة
Alferez	الفارس
Atabal	الطبل
Aljofar	الجوهر
Almalafa	الملحفة
Almazara	المعصرة
Almenara	المنارة
Almocadem	المقدم
Almocri	المقرئ
Almohada	المخدة
almondiga	البندقية

ظل الأندلسيون بعد عملية الترحيل الجماعي (1609-1614م)، يحافظون على معتقداتهم سراً ويكتبون تراثهم بالإلخميادية طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر كما يتضح من كتابات سفراء المغرب إلى إسبانيا في تلك الفترة كالشريف الغساني سفير السلطان العلوي إسماعيل (1672-1727م) سنة 1699م. وقد ظلت الكتابات الألخميادية موجودة في إسبانيا حتى حروب نابوليون بونابرت.

وهي تكشف عن وجود الموريسكيين حتى تلك الفترة. ولهم في مخطوطاتهم شعر، ونثر جيد ونصوص قرآنية وفقهية عديدة قد يؤدي الكشف عن مخطوطاتهم إلى ظهور حقائق جديدة عن هذه الجماعات المضطهدة.

3ـ التراث الديني عند الموريسكيين من خلال المخطوطات الألخميادية.

رغم مرور عدة قرون على ضياع الأندلس، إلا أن الباحث العربي بصفة عامة لم يقم بواجبه كاملا من حيث استخلاص الدروس والعبر من تلك التجربة الفريدة، وإذا أردنا أن نتعرف على مدى علاقة الشعائر الدينية التي مارسها الموريسكيون بالإسلام الصحيح فإن أمامنا نوعين من المصادر:

1. ملفات محاكم التفتيش التي نظرت قضايا اتهام أشخاص بممارسة الشعائر الإسلامية المحظورة قانونيا.

2. المخطوطات التي خلفها الموريسكيون أنفسهم.

على أنه يجب أن نضع في الاعتبار أن ملفات محاكم التفتيش لا تتعرض لوصف الشعائر الدينية بطريقة دقيقة، ومعظم المسيحيين يصفون في بعض الأحيان شعائر لا تمت للإسلام بصلة ويتهمون من يمارسها بأنه مسلم. ومن العجب أن محاكم التفتيش الأسبانية كانت تأخذ برأيهم. قد تفيد ملفات محاكم التفتيش في التدليل على أن الأندلسيين ظلوا متمسكين بدينهم حتى اللحظات الأخيرة(1).

تعتبر المخطوطات الموريسكية، وهي مخطوطات إما باللغة العربية أو الألخميادية(2). والجزء الأعظم من هذه المخطوطات لم يدرس بعد رغم أهمية هذا

(1) للمزيد حول الموضوع يرجى العودة إلى:
Denise CARDAILLAC, « Alqayci et le moine de Lerida », ou comment affirmer une identité islamique en milieu chrétien », in Actes du II symposium international du C.I.E.M sur « religion, identité et sources documentaires sur les morisques Andalous », Publications ISD, Tunis, 1984, T1, PP.129-137.

(2) إن الألخميادية هي لغة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة وهي ابتكار موريسكي في اسبانيا القرن 16م. وقد اتخذ الموريسكيون من الأدب الألخميادو وسيلة للدفاع عن كيانهم أمام خطر الذوبان والانتشار، وكلمة ألخميادو

التراث في التعرف على إسلام أهل الأندلس بعد سقوط آخر حكومة تمثلهم في شبه جزيرة إيبريا.

وقد رسم الراهب المسيحي **بدرولونغاس** (Pedro Longas) صورة إسلام الموريسكيين على أساس تلك المخطوطات(1).

بدأت الترجمة إلى اللغة الألخميادية كبداية لنشر ثقافة الإسلام عن طريق ترجمة القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأدعية المأثورة.و اعتماد الخط العربي ذو الصبغة المغربية للدلالة على البعدين الديني والحضاري، إن التأليف باللغة الألخميادية لدليل عن حجم المعاناة الموريسكية، والكشف عن الاغتراب الثقافي.

توصل الباحث الجزائري عبد الله حمادي ، إلى تقسيم الموروث الثقافي الموريسكي إلى أربعة مواضيع في مجال الكتابات الألخميادية ،و تتمثل فيما يلي:

=(Aljamiado) مشتقة من العربية وهي نعت بني على كلمة Aljamia وأصلها "أعجمية" أي كل ما هو غير عربي، فالأدب الألخميادو هو إذا أدب آخر مسلمي الأندلس، أنظر:

محمد نجيب بن جميع: "الأدب الألخميادو والموريسكي: تأصيل لكيان" في الكتاب التكريمي لمدرسة أوفيدو، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات: تونس 2003، ص19.و أيضا: جمال ، يحياوي، سقوط غرناطة مأساة الأندلسيين 1492-1610، الجزائر: دار هومة، 2004، 283ص.

(1) حدد الراهب الإسباني لونقا الأطر العامة للإسلام الخفي المتبع من طرف الموريسكيين في إسبانيا خلال القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر من خلال أربع نقاط وهي:

الخط السياسي المتبع مع الموريسكيين في المجال الديني 1492-1605.

تمسك الموريسكيين بممارسة شعائر الإسلام.

اختلاف وضعية الموريسكيين زمانا ومكانا.

عدم فعالية وسائل محاكم التفتيش لتحويل الموريسكيين إلى الدين المسيحي.

لمزيد من التفاصيل راجع:

بدرو لونقا، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، (تعريب: جمال عبد الرحمان)، زغوان: سير مدي 1993، ص40-41.

صنف يتضمن الكتب ذات الطابع الديني: وسبب هذا التأليف الصراع الدائر بين المجموعتين المسيحية والموريسكية.

صنف يتضمن الكتب ذات الطابع الجدلي: ويدور فلكها في تمجيد الحضارة العربية الإسلامية والدفاع عن الشريعة والعقيدة من أباطيل المسيحية وشبهات الرهبان ورجال الكنيسة الكاثوليكية.

صنف يعالج الجانب القصصي: يتناول تاريخ الأمة الإسلامية، من غزوات وفتوحات.

صنف يعالج الجانب التشريعي: يتضمن الحياة العامة وأمور تتعلق بالفقه وشؤون الناس في حياتهم ومعاشهم[1].

تشير المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية بمدريد سواء المحررة باللغة العربية أو تلك التي كتبت بالألخميادية، إلى أن التراث الإسلامي الذي خلفه الموريسكيون يمكن تقسيمه على النحو التالي:

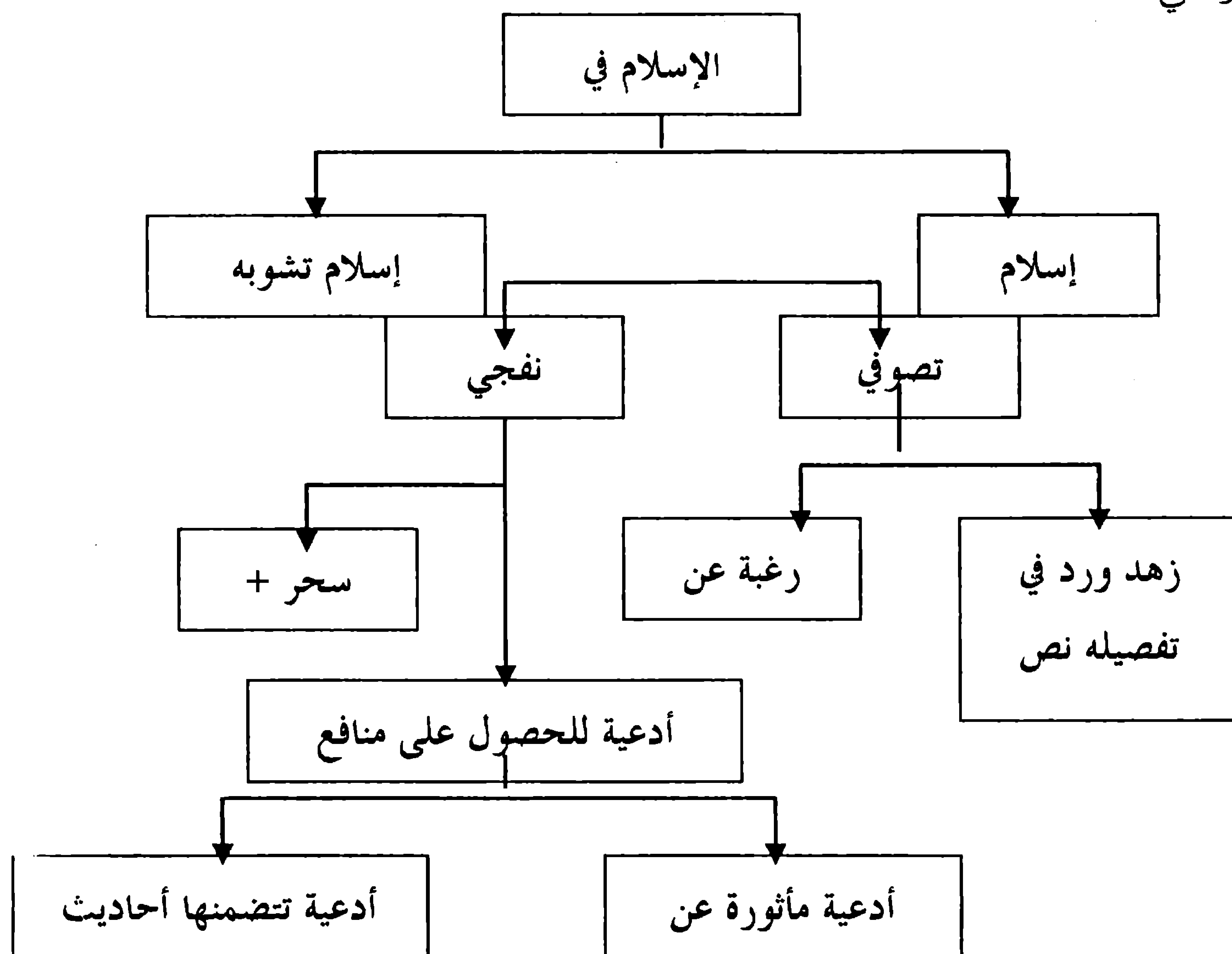
الإسلام الصحيح:

الإسلام الصحيح موجود في مخطوطات تتعلق بشتى أنواع الكتابة الدينية كتفسير القرآن الكريم أو فقه العبادات والمعاملات. ورغم أن المذهب الغالب على هذه الكتابات هو المذهب المالكي، إلا أننا عندما نتحدث عن الإسلام الصحيح، نعني موافقة هذا التراث لأي من المذاهب الأربعة. والملاحظ في هذا النوع من المخطوطات أنها شروح لكتب قديمة، والمخطوطات مفيدة لمن يرغب في دراسة كيفية تدهور مستوى اللغة العربية في الأندلس بعد سقوط غرناطة.

---

(1) عبد الله، حماذي، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616، الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص116

تتعرض إحدى المخطوطات إلى فصول عن الوضوء الواجب ووضوء السنة والتيمم، ثم تدخل إلى شرح الصلاة فتتحدث عن تكبيرة الإحرام والتشهد وصلاة الوتر ثم تفرد فصلا للزكاة وتفرق بين زكاة الحلي وزكاة الفطر وتنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الصوم، ثم تعرض أركان الحج رغم استحالة تأدية هذه الفريضة عمليا بالنسبة للموريسكيين،ومجموع الأحاديث منسوبة إلى **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه[1].



(1) Abdekjelil, Temimi, « Attachement des Morisques a leur religion et a leur identité à travers les Hadiths dans deux manuscrits morisques », in, Actes du II symposium…, op.cit, T1, PP.155-160.

الإسلام الذي تشوبه شوائب:

في هذا القسم من المخطوطات اختلط الحق بالباطل، فالإسلام التصوفي على سبيل المثال يجنح إلى الزهد في متاع الدنيا والاستعداد للآخرة. وتعتبر المخطوطة رقم 5099[1]مثلا للكتابات الزهدية فهي تتعرض لقصة الإسراء والمعراج وتصور الجزاء الذي ينتظر المقتصرين في أداء الطاعات، ويذكر مؤلف المخطوطة، أن النبي ﷺ امتطى البراق ومر بمصر فوجد ريحا طيبة تنبعث منها، أنها رائحة امرأة كانت تعبد الله مع امرأة فرعون، وتتضمن المخطوطة رقم 5390[2]- معظمها من وحي خيال المؤلف- عن الصحابة والتابعين، تهدف جميعها إلى تقديم الموعظة والعبرة، فهي تحكي قصة وفاة بلال بن حمامة (بلال بن رباح) رضي الله عنه وتعرض وصية النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري. من المهم أن نذكر أن هذه المخطوطة قد كتبت عام 1603م ولعل في هذا أبلغ دليل على تمسك الموريسكيين بالإسلام كما تنص إحدى المخطوطات الموريسكية على إمكانية أن يحصل الشخص العادي على أجر أولي العزم من الأنبياء بمجرد قراءة دعاء معين وعلى أن إنكار الدعاء يخرج الإنسان من دائرة الإيمان. إن هذه المخطوطات تمضي في هذا النوع من السرد الذي يميز بعض الأحاديث الموضوعية:

«أيما عبد دعاء بهذا الدعاء بنية خالصة يخالطها شيء من الشك أو رمضان وآخره في كل يوم جمعة وليلتها يريه الله تعالى ليلة القدر ويخلق الله له سبعون ألف ملك في مدينة النبي عليه السلام وسبعون ألف ملك في المشرق وسبعون ألف ملك في المغرب لكل ملك عشرين ألف رأس عين وعشرين ألف فم وعشرين ألف لسان

---

(1) مخطوطة رقم 4987، المكتبة الوطنية، مدريد(إسبانيا).

(2) نفسه.

يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة ويجعلون ثواب تسبيحهم لمن دعا هذا الدعاء، والدعاء نفسه عبارة عن تسبيح في بضع وستين صفحة[1].

وإنه لمن الأهمية بمكان معرفة الأسباب التي أدت إلى انحراف بعض مسلمي الأندلس عن طريق الصحيح. يتبين من خلال المخطوطات الموظفة في هذه الدراسة أن البدع كانت وراء وضع أحاديث تدعوا إلى الزهد ونسبت هذه الأحاديث إلى النبي ﷺ. ولا نستبعد مشاركة غير المسلمين في وضع أوراد تهدف أساسا إلى تعويض أركان الإسلام في الأندلس[2].

ظل الأندلسيون إلى غاية 1525م يتمتعون بمساجدهم وفقهائهم، لكن بعد فرض التعميد الإجباري أعطيت الأوامر بإغلاق جميع المساجد، وأصبحت بذلك العبادات تمارس داخل المنازل وفي مساجد سرية.رغم المتابعات المتواصلة التي كان يقوم بها المحققون فإن الفقهاء ظلوا يؤطرون الموريسكيين يعلمونهم مبادئ دينهم، ويحثونهم على التمسك بها، وعدم الانحراف وراء حملاتهم التبشير التي كان يقوم بها الرهبان، وكان دورهم بارزا أثناء المناسبات الدينية، فقد كانوا مكلفين بجمع الصدقات، وتوزيعها على المعوزين، كما كانوا يشرفون على عمليات ختان الأطفال [3].

وإليك نص ألخميادي يتحدث عن سوق غرناطة: يخاطب **يوسف بناغس** (Yuse Banegas) فتى أريفلو (El Mancebo de Arévalo)، قائلا:

«يا بني، أنا أعلم أنك لا تعرض شيئا عن أحداث غرناطة، فلا ترجع إن ذكرتك بما جرى، فلطالما طاردتني هذه الذكرى ومزقت أحشائي في كل لحظة.يا

---

(1) مخطوطة رقم 5384، المكتبة الوطنية- مدريد.

(2) ربما يكون رجال الكنيسة وراء وضع أحاديث مدلسة لتقويض الإسلام عند الموريسكيين.

(3) محمد، رزوق، المرجع السابق، ص 104-105.

... أنا لا أبكي الماضي لأن ما حدث لا رجعة فيه، ولكني أبكي ما سيحدث وما ... لو بقيت على قيد الحياة في شبه جزيرة الأندلس، وأسأل الله عزّ وجلّ أن ... تنبؤاتي، إذ سيأتي يوم يقول فيه الناس أين ذهب الأذان؟ ماذا صنعوا بدين أجدادنا؟ وستكون الحسرة والمرارة في نفس كل من يفقه. ومما يزيد ألما أن المسلمين سيلبسون لباس النصارى وسيأكلون من طعامهم. والله أسأل أن لا ...اقوا إلى دينهم بقلوبهم وأن يكون صنيعهم مجرّد تقية. قد أبدو لك متحمساً والآن ما سيكون مصيرنا إذن نحن وصلنا إلى الفاقة في وقت وجيز؟ وإن كان الأولياء يحرفون دينهم، فكيف سيرفع أبناؤهم وأحفادهم من شأنه؟ وإن لم يف ...الك إسبانيا (Fernando el catolico) بوعوده، ماذا نترقب من خلفائه؟ يا بني ستزيد حالتنا تدهورا والله أسأل أن يحيطنا برحمته وعفوه»[1]

يتضح مما سبق.أن الملك الإسباني فيليب الثاني (1556-1598م) صار في نفس الاستراتيجية العامة التي حددها أبوه شارل الخامس (1519-1556م)، وتتمثل في ضرورة اتخاذ تدابير صارمة بحق الموريسكيين، وقد تألفت لجنة لوضع أنظمة جديدة تطبق على الموريسكيين منها:[2].

- منع استعمال اللغة العربية، ويجب تسليم الكتب العربية في ظروف ثلاثين يوما.

- إجبار النساء الموريسكيات على كشف وجوهن.

- إجبارهن على ترك أبواب بيوتهن مفتوحة في أيام الأعياد.

---

(1) Harvey, « Yuse Banegas, un moro noble en Granada bajo Los Reyes catolicos », in, Al Andalus, XXI, 1956, P.297.

(2) الأوامر صدرت بتاريخ 1566.

- يمنع الموريسكيون منعا كليا من امتلاك العبيد[1]

لقد كان للموريسكيين أسلوب خاص لمواجهة المد المسيحي يرتكز أساسا على مبدأ التقية، إذ يقول **الشهاب الحجري** في هذا الصدد: «وكانو يعملون دينين: دين النصارى جهرا ودين المسلمين في خفاء من الناس»[2]

وقد أكد المؤرخ الفرنسي **لوي كارديالك**: «أن قضايا محاكم التفتيش مازالت لحد الآن ترتجف بالحياة، إذ من خلال شهادات الشهود ومرافعة المتهمين، أو اتهام الوكيل العام تنبثق أمام أعيننا الطائفة المسيحية وعلاقتها مع الأقلية الموريسكية»[3].

لقد حافظ الموريسكيون وإلى اللحظة الأخيرة، على فقهائهم وتنظيماتهم ومساجدهم، وكيف كانوا يرشدون مواطنيهم. ولا غرابة في الدور الخطير الذي كانوا يقومون به، فقد اتصفوا بالصبر والثبات حتى في أحلك الظروف: ظروف السجن، ففي سنة 1601، وبسجن طليطلة كان الفقيه (Geronino de Rujas) يجادل المسيحيين المسجونين معه ويقول لهم: «أنه يرغب في إنقاذ أرواحهم، وأن الله سوف ينصرهم وينقذهم من العمى والجهل الذي يحيط بهم»[4].

وقد صرّح (Aznar Cardona) - وكان قد مارس مهنته التنصيرية طويلا لدى الموريسكيين - بأنهم ظلوا يمارسون عباداتهم إلى آخر يوم من طردهم[5]. وهذا

(1) Jacqueline Fournel, Guérin, les Morisques aragonais et l'inquisition de saragosse (1540-1620), thèse inédite, Montpellier III, 1980, PP.155-160.

(2) الشهاب، الحجري، المصدر السابق، ص21.

(3) Louis Cardaillac, Morisques et chrétiens, un affrontement polémique (1492-1640), Paris, 1977, P.13

(4) ibid., P.65.

(5) Aznar Cardona (P), Expulsion justificada de los Moriscos espagnoles y suma de la excelencias christianas de nuestro rey don Huesca, 1612, F.49.

ا أو ... الشهاب الحجري: «..ولتعلموا ما بين عبادة الكافرين وعبادة المسلمين، ... الله على ما أنعم به علينا باعتقاد الحق، وطهارة الجسد والملبس، والجامع الطاهر النقي من الأوثان والأدران، لأنها من أعظم النقم»[1].

وكثيرا ما واجه الموريسكيون مخاطبهم بما يكنونه في صدورهم، **فايزابيل دونيا** (Dona juana Izabel) من طليطلة صرحت من «أن عقيدة العرب أفضل من عبادة المسيحيين»[2]. وقد توبع الموريسكيين من طرف محاكم التفتيش على الصوم، والوضوء والصلاة، والصدقة، بل الحج. وإذا كان الوضوء صعبا، فإن الصلاة على العكس من ذلك مارسها الموريسكيون بصيغ مختلفة، وكانوا يقومون بها في إطار عائلي أو في إطار جماعي تحت إمرة إمام يختارونه لهذا الغرض[3].

وكانوا متمسكين بالصلاة إلى أقصى حد ممكن، مارسوها وهم في السجون وهم تحت التعذيب، وهم ذاهبون إلى الحرق، وكثيرا ما اكتشفوا من طرف جواسيس محاكم التفتيش وهم يمارسونها[4]. كما حافظوا على قدسية يوم الجمعة، إذ تتوقف في هذا اليوم جميع الأنشطة التجارية، ويرتدون الألبسة النظيفة، كذلك حافظ الموريسكيون على صوم رمضان رغم شبكة الجواسيس الخطيرة التي كانت تحيط بهم، إذ يتغير في هذا الشهر سلوك الموريسكيين تماما.

امتنع الموريسكيون بصفة عامة عن أكل لحم الختزير وشرب الخمر رغم الضغوط الكبيرة التي كانت تمارس ضدهم[5].

---

(1) الشهاب، الحجري، المصدر السابق، ص 44.

(2) Louis, Cardaillac, op.cit, P.16.

(3) Jacqueline Fournel-Guérin, op.cit, P.132.

(4) ibid., p.133.

(5) Idem.

تعتبر الفترة الأندلسية تجربة فريدة بكل المقاييس، فقد وصل المسلمون إلى شبه جزيرة إيبيريا وهم في أوج قوتهم، وطردوا منها عندما بدت في دولتهم بوادر الضعف والانكسار. لقد عالجت الدراسات الأندلسية جوانب كثيرة لكن الجانب الديني لم ينل نفس القدر من الاهتمام، وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة تقديم صورة عامة لما صار عليه الإسلام بعد سقوط غرناطة، وصدور قرارات السلطات الاسبانية الخاصة بحظر ممارسة الشعائر الإسلامية واستعمال اللغة القشتالية (الإسبانية) قراءة وكتابة وتحدثا.

ملحــقـــات

ـ وثيقة رقم 1

علبة رقم 16 مكرر. وثيقة 1- 218 في شهر جمادى الثانية عام 1073هـ/1662م

موضوع الوثيقة: تناول عقد شراء وتحبيس حانوتين قرب باب عزون، من طرف الحاج علي بن حسن الأندلسي صانع الشواشي بثمن قدره 2800دينار، وحبسهما لفائدة فقراء الأندلس وفقراء الحرمين الشريفين.

«الحمد لله بحق أن خلص للحرة خديجة بنت الحاج محمد الحجام، تملك جميع الحانوتين الاثنين الكائن أحدهما بالخضارين فوق شارع باب عزون أحد أبواب محروسة الجزائر الملاصق للحانوتين الاثنين، أحدهما لصيق باب الواد المعروف لابن حارة أحمد الكائن هنالك داخل البلد المذكور، والحانوت الآخر بالفكاهين قرب الشارع المذكور بداخل البلد المذكور الشهيرة، أولهما، الصائرتين لأمها المذكورة إرثا من ابنتها فاطمة بنت علي الصبان المتوفى عنها، وعن ولديها الفاضلين السيد أحمد والسيد محمد ابني المرحوم الحاج أحمد الهنجيط بمصالحة خديجة المذكورة جانب بيت المال من البلد المذكور، عن مال من متخلف أمها المذكورة أصلا وسواء بواسطة بعلها الحاج محمد الخياط بن علي الحجام مع أولادهما الموصى لهم بالثلث وهو الحاج علي وعمر وعزيزة في متخلف أمها المذكورة حسبما ذلك كله

مسعى في رسم عن وال بين المال المذكور في التاريخ مؤرخ في أواخر جمادى الأولى من عام تاريخه.

وقبض عليها شهيدا الخلوص التام، اشترى منها الناسك الحاج علي صانع الشواشي ابن حسن الأندلسي جميع الحانوتين الاثنين المعروفة أحدهما لابن الشريف والأخرى لعلي العباد بحدودهما وحقوقهما وعامة منابعهما الداخلية فيها والخارجية عنها، وما عرف منها وعرف بها ونسب قديما وحديثا إليهما، اشترى صح عقده دون شيء يفسده من الشرط والخيار بثمن قدره في الحانوتين المذكورين وفي كافة حقوقهما ألفا دينار اثنان وثمانمائة دينار (2800) كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة تاريخه.

ثم أشهد المشتري الحاج علي المذكور شهّر به على نفسه أنه حبس على فقراء الأندلس القاطنين بمحروسة الجزائر وعلى الفقراء القانطين بالحرمين الشريفين مكة والمدينة زادهما الله تشريفا، جميع الحانوتين الاثنين المذكورتين بما لهما من حدود وحق داخلا فيها خارجا عنها، وما عرف منها وعرف لها ونسب قديما وحديثا إليهما، شطرهما لفقراء الأندلس المذكورين وشطرهما الآخر الباقي منها الفقراء الحرمين الشريفين، يقتاتون سبيله ومنواله حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وأذن المحبس المذكور للناسكين الحاج يحيى الخياط وكيل فقراء الأندلس في التاريخ وابن محمد الأندلسي والسيد الحاج محمد بن سالم وكيل فقراء الحرمين الشريفين في التاريخ في حوز الحانوتين المذكورين عنهما عنه لمن ذكر، شهد على المشتري والبائعة والحائزين المذكورين بما فيه عنهم بتعريف بعلها المذكور بتاريخ غرة جمادى الثانية من عام ثلاثة وسبعين وألف».

وثيقة رقم 2

علبة 1-47. وثيقة 7-19 في أوائل شهر شوال من عام 1073هـ/1663م

موضوع الوثيقة: تناول رسم تحبيس لدار بطريق الشراء بمدينة الجزائر، لفائدة فقراء الأندلس وفقراء المدينة المشرفة، والمحبسون هم جماعة من شرفاء الأندلس، حيث اشتروا الدار بثمن قدره 6000 دينار.

الحمد لله، هذه نسخة رسمين اثنين ينقلان هنا للحاجة إليها والتوثق بها، نص الأول منهما: الحمد لله تعالى، باع المكرم الناسك ابن الحاج أحمد بن موسى، عرف بو زويجة المذكور، مبتاع أعلاه جميع الدار المذكورة، حيث أوصى من الكرام وأخيار الأجلة الأبرار، جماعة فضلاء الأندلس، وهم الحاج ابن الناسك الخير الحاج ابن أحمد بن قاسم والناسك ابن الحاج يوسف ابن سليمان والناسك ابن الحاج أحمد بن جعفر والمكرم الأجل محمد بن قاسم، بجميع حدودهما وحرمهما ومنافعهما ومرافقهما الداخلية فيها والخارجية عنها، بثمن قدره في جميع الدار المذكورة وفي كافة حقوقها ستة (6000) آلاف دينار كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة تاريخه قبض البائع المذكور من المشترين المذكورين من الثمن المذكور أربعة آلاف (4000) دينار من الصفقة، معاينة، والباقي لتمام الثمن المذكور الذي مقداره ألف دينار واثنان ومائة دينار (1102) واحدة من الصفقة.

أنصارهم البائع بأدائها لتمام سنة تاريخه لا براءة لهم من ذلك الواجب شرعا، وبسبب ذلك ومن أجله سلم لهم ثمن بيعه المذكور لتسليم التام، يتسلموه منه

ويملكوه دونه وحل فيه محله محل ذي المال وماله وذي المال الصحيح في ملكه بعين الرؤية والتفليس والرضى، باعتراف المشترين المذكورين وفيهم الجميع، وأمضوا ذلك بينهم على رحب سنة ثم أشهر المبتاعون المذكورون أشهروا به على أنفسهم أنهم حبسوا جميعا الدار المذكورة على المكرم الأجل فضل الخير أرض المرتضى السيد أحمد العطار بن أحمد الأندلسي عرف الغماري، وعلى عقبه وعقب عقبه المذكور وما تناسلوا، فإن انقرضت عن أحدهم وتولى على جميعهم، رجعت الدار المذكورة نصفين، النصف منها حبس على فقراء الأندلس بالجزائر المحمية، والنصف على فقراء المدينة المشرفة والأندلسي منهم على ساكنها برضى من فضلاء الأندلس بالجزائر المحمية بالله، حبسوا بتاريخ أوائل شوال المبارك من عام ثلاثة وسبعين وألف في دار السيد أحمد العطار المرابط في فحص سوق الكتان بجوار زنقة الموجاجو.

1- وثائق خاصة بالجالية الأندلسية ونشاطاتها مختارة من سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة بالأرشيف الوطني الجزائري.



علبة 16 مكرر، وثيقة 1-218 ل

علبة 1-47 ، وثيقة 7-19 ف

2ـ وثائق باللغة العثمانية.

الوثيقة الأولى: مهمة دفتري رقم 23/حكم284–تاريخ 19 رجب 981هـ– السبت14 نوفمبر 1573م.

السلطان العثماني: سليم الثاني حاكم الجزائر: أحمد باشا العربي (1572–1574م) حكم وأمر إلى أيالة الجزائر.

حكم إلى بيلرباي أيالة الجزائر ، فإن أهل الأندلس والمدجنين الفقراء قاموا برفع شكوى وعرض حالتهم، بأن معظم هؤلاء الفقراء هم أهل علم وثقافة، ومادام أنهم لا يملكون قدرات للاشتغال في مجالات وأنشطة أخرى، فقد اشتكوا من ضيق وعسر المعيشة وزيادة على ذلك ففي المناطق التي استقروا وسكنوا فيها. وفي الكثير من الأحيان ورغم ظهور مناصب شغل شاغرة ، فإن قضاة وحكام تلك المناطق، كانوا يعطون هذه المناصب إلى أهل البلاد الأصليين الذين يفضلون عنهم، حتى أصبح من العسير ومن الصعب إعطاء هذه الوظائف إلى الأندلسيين والمدجنين.وبناء على ذلك، فإن أهل الإسلام فقراء أهل العلم والقرآن سواء كانوا من الأندلسيين أو من العرب المدجنين أو من غيرهم، تعطى الوظائف ومناصب الشغل لمستحقيها لا غير.

وعليه فإن عند وصول حكمي هذا ، لابد من تنبيه سائر القضاة وحكام تلك المناطق، وكذلك المشرفين على الأوقاف، بأنه في حالة ظهور مناصب شغل شاغرة

لابد من تعيين وتوظيف المستحق واللائق بها لا غير،وذلك حسب الوجه المشروع لايعذر ولايعلل هذا الموقف عند توجيه وإعطاء الوظيف بأن هذا أندلسي وذلك عربي مدجن وغيره من الأقوال.

الوثيقة الثانية: مهمة دفتري رقم 23/حكم 284–تاريخ 27رجب 981هـ– الاثنين 24 نوفمبر 1573م.

حكم وأمر إلى أيالة الجزائر.

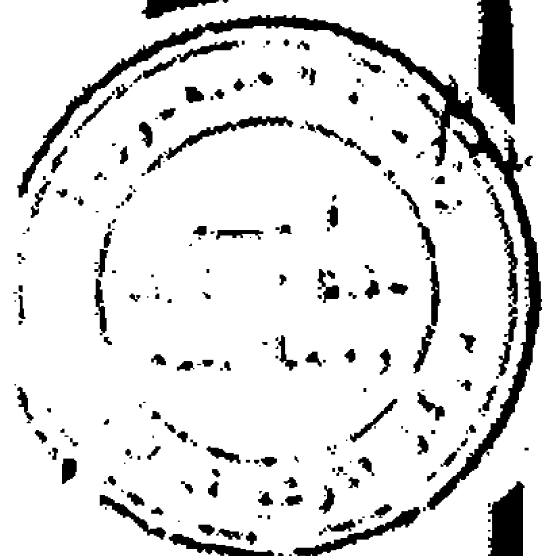
قام حاليا الفقراء الأندلسيون والثغريون والمدجنون بإرسال مبعوث إلى الباب العالي ذكر بأنهم بعد ترك أموالهم ووسائل رزقهم (بإسبانيا)، فقد نزلوا بأيالة الحرب (الجهاد) الجزائر والمناطق التابعة لها، وأصبحوا فقراء لا يملكون أي شيء.ورغم ذلك فإن قياد وحكام تلك المناطق قاموا بفرض وأخذ الضرائب منهم،كغيرهم من رعايا البلاد وتكليفهم بتكاليف أخرى، جعلتهم يشتكون من ضيق وعسر المعيشة، بل وحتى الأجور التي كانوا يتحصلون عليها من عملهم اليومي.فقد كانت تؤخذ من أيديهم وحتى البحارة فقد أخذوا أموالهم وأمتعتهم والتعدي عليهم وهذا حسب الدعوى التي رفعوها.

وعليه ما هو سبب أخذ أمتعة وأموال والأجور التي تحصل عليها هؤلاء الفقراء أهل الإسلام الذين خرجوا من دار الحرب (اسبانيا) إلى ممالكي المحروسة؟.

وعليه فإنه بموجب الأمر السلطاني عليك بالانقياد والحيطة بأن تؤخذ أموال

و أمتعة هؤلاء الفقراء ولا الأجور التي تحصلوا عليها من عملهم، وأن لا يعامل هؤلاء كعمال [illegible]، والعمل على كشف الأشخاص والتحقيق مع الذين أخذوا أجورهم اليومية وإعادة [illegible] الأموال لأصحابها وكذلك أمتعتهم وكل وسائل

رزقهم، وأن لا يتدخل أحد في شؤون هؤلاء الفقراء الذين يعفون من دفع الضرائب وكل التكاليف لمدة ثلاث سنوات كاملة، وهذا حتى يتم استقرارهم كغيرهم من رعايا الأيالة وذلك حسب القانون الجاري بتلك المنطقة،و لذا يؤكد أن الأمور المخالفة للشرع الشريف، فهي غير جائزة وكذا كل أنواع التعدي، غير مقبولة .وليبقى الأمر السلطاني هذا، هو النافذ والسائل المفعول.



[illegible]

139

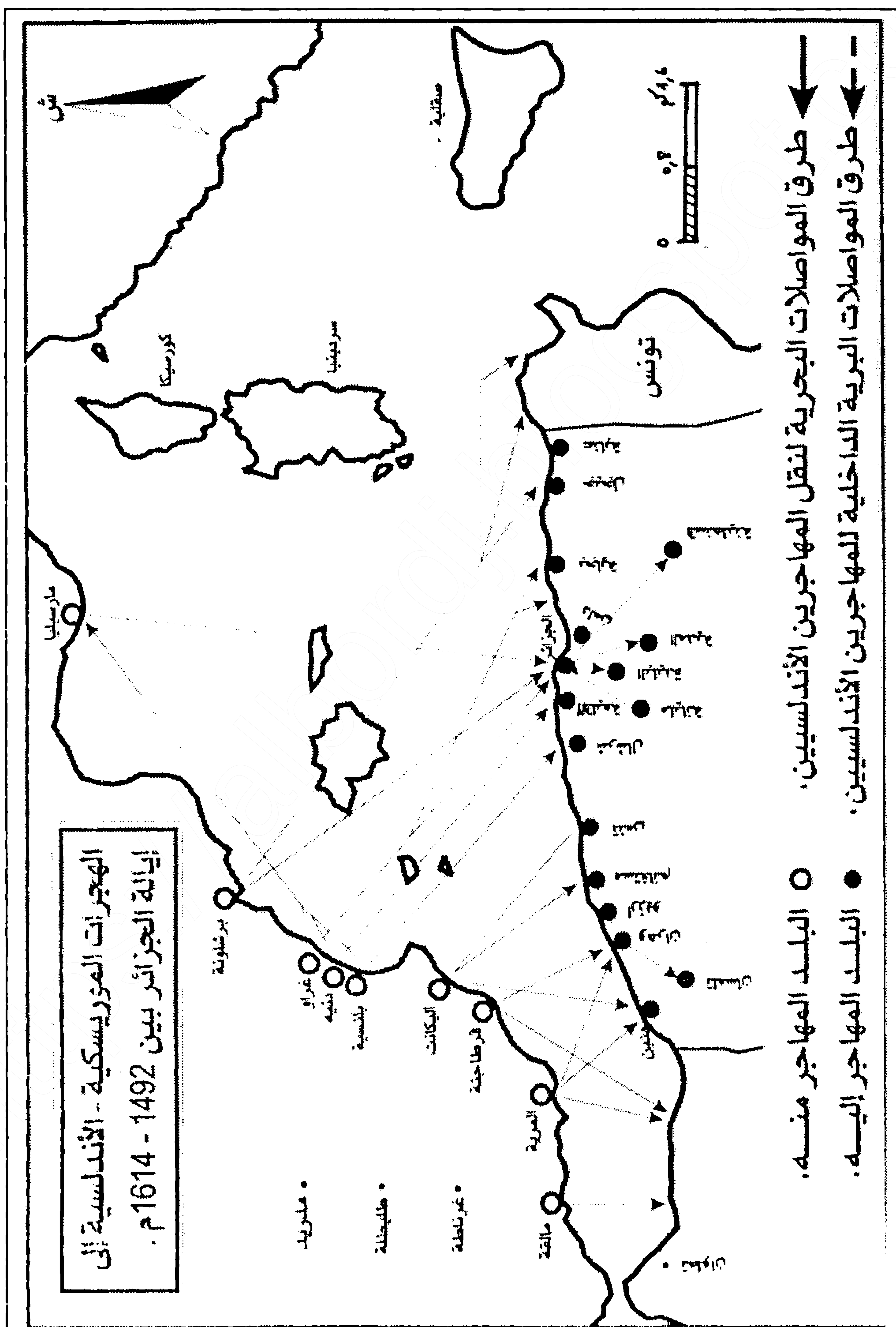
مهمة دفتري رقم 23 | حكم 284 | تاريخ 27 رجب 981 هـ |

الإثنين 24 نوفمبر 1573 م

3- مهمة دفتري رقم 23 / حكم 244 / تاريخ 19 رجب 981هـ /

السبت 14 نوفمبر 1573 م

الخرائط


الهجرات المورسكية - الأندلسية إلى إيالة الجزائر بين 1492 - 1614م.
طرق المواصلات البحرية لنقل المهاجرين الأندلسيين.
طرق المواصلات البرية الداخلية للمهاجرين الأندلسيين.
البلد المهاجر منه.
البلد المهاجر إليه.
برشلونة
غراو
دنية
بلنسية
اليكانت
قرطاجنة
المرية
مالقة
غرناطة
طليطلة
مدريد
مارسيليا
كورسيكا
سردينيا
صقلية
تونس
الجزائر
ش

خريطة توزيع الوقف الخيري بفحص الجزائر
اعتمادا على وثائق الأرشيف الجزائري

المصدر : ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ص ،81

الفَهرس

القسم الثالث : الحضور الأندلسي في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء وثائق المحاكم الشرعية.

القسم الرابع : الذاكرة الموريسكية في الكتابات العربية والتراث الألخميادي.

الملاحق

الخرائط

المؤلف في سطور



الأستاذ حنيفي هلايلي من مواليد 27 - 12 - 1967 بسيدي بلعباس
متزوج وأب لثلاثة أطفال ، يشغل وظيفة أستاذ التعليم العالي .
تحصل على شهادة الباكالوريا آداب بسيدي بلعباس سنة 1987 .
ثم تحصل على شهادة ليسانس في التاريخ من جامعة وهران سنة 1991 ،
ثم شهادة الكفاءة الأستاذية للتعليم الثانوي في ديسمبر 1992 بسيدي بلعباس ، نال شهادة الماجستير بجامعة وهران سنة 1999 وشهادة الدكتوراه بجامعة سيدي بلعباس في ماي 2004 واختص في دراسة التاريخ الحديث والمعاصر ، المؤلف له دراسات منشورة داخل وخارج الجزائر ، وله مشاركات عضوية في الملتقيات الوطنية والدولية .
صدر له 3 مؤلفات في التاريخ ، فتح 3 مشاريع ماجستير في التاريخ كما أنه أشرف على تأطير ومناقشة العشرات من الرسائل الجامعية " ماجستير ودكتوراه " ، يشغل مدير مخبر الدراسات الإستشراقية منذ 2007 ، ومدير مجلة الحوار المتوسطي ، رئيس مشروع ل ، م ، د في العلوم السياسية - تخصص : النظم السياسية والعلاقة الدولية .

هذا الكتاب :

دراسات وبحوث تاريخية تدور حول مسلمي الأندلس أو العرب المتنصرين بعد سقوط غرناطة ، الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين " 1502 - 1526 " وبقي أحفادهم حتى عمليات الطرد النهائي سنة 1609 م وهم الذين يطلق عليهم اسم " الموريسكيين moriscos " .
أهم ما يستعرض الكتاب عبر فصوله :
القسم الأول : الهجرات الأندلسية إلى الجزائر .
القسم الثاني : حرية الإعتقاد عند المورسكيين الأندلسيين بين ازدواجية مراقبة محاكم التفتيش والهجرة
القسم الثالث : الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء وثائق المحاكم الشرعية.

ISBN 9974363511



hanifi_andalous@yahoo.fr